رواية

كارلس رباشا

حضور غير مكتمل

ترجمة: عبد السلام باشا

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

كارلّس رّباشا

حضور غير مكتمل

رواية

ترجمة: عبد السلام باشا

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

عبد السلام باشا/ مترجم وصحفي مصري، له العديد من الترجمات عن الإسبانية.
أهمها " السيرة الذاتية" و"حكايات" لخورخى لويس بورخيس، ورواية "المهرطق" لميجيل ديليبس، ورواية "ليل تشيلي" لروبرتو بولانيو، ورواية "الطريق إلى إيدا" للكاتب الأرجنتيني ريكاردو بيجليا.

....

حضور غير مكتمل

طبعة 2020

رقم الإيـــــداع:2019/20049

الترقيم الدولي: 978-977-821-119-1

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البعلي

إخراج فني

علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

This is a full translation of the novel ”EREN ELLS” by Carles Rebassa
© Llibres del 9 Angle SL, 2016
All rights reserved by and controlled through Llibres del 9 Angle SL, Barcelona.
This Agreement by arrangement with SalmaiaLit

The translation of this work was supported by a grant from
the Institut Ramon Llull.
Translated from Catalan by Abdelsalam Basha.

institut ramon llull

Catalan language and culture abroad

institut d'estudis balearics

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET
elbaaly@gmail.com

This book has been published with the help of the Institut d'Estudis Baleàrics

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

رّباشا، كارلّس ١٩٧٧

حضور غير مكتمل: رواية/ كارلّس رّباشا ، ترجمة عبد السلام باشا ، الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠١٩

٣٢٢ ص، ٢٠ سم

تدمك ١-١١٩-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص الأسبانية

أ- باشا ، عبد السلام (مترجم)

ب- العنوان

٨٦٣

رقم الإيداع: ٢٠٠٤٩/ ٢٠١٩

وحينئذ، نحن الأنذال
مُحبو غمغمة الليل،
والبيوت،
والطرق بجوار النهر،
والأضواء الحمراء القذرة
في تلك الأماكن، والألم
الوديع الصامت–
كنا ننزِع الأيدي من السلسلة الحية،
ونصمت، لكن الدم
يرتعش في قلوبنا،
ولم تكن هناك عذوبة،
لم يعد هناك استرخاء عذب
بجوار النهر–
بعد أن تحررنا،
عرفنا كيف نعيش بمفردنا.

تشيزاري بافيزي

أَعيدوا لي، أَعيدوا لي سنوات الصبا
مع الأصدقاء
على الضفة، بالمتنزهات
وملاعب التنس والبينج بونج
لا. لا.
أَعيدوا لي الاندفاع الغاضب
الذي جعل مني شخصًا آخر.
لن أعد الفتى
الذي كان يلعب ويلهو.
وسأكون سعيدا بهذا

جوان فينيولي

القسم الأول

جويل

I

يقول ”بسلَّة“ إنني رجلٌ ذئب. نحن نطلق على جاومه ”بسلَّة“ لقب ”بسلَّة“ مباشرة، لأن شعره يجعله شبيهًا بماريا كوبادا وبأوراق البسلَّة. بعدما قال لي موضوع الرجل الذئب مرةً، وبما أن الأمر كان يبدو له لطيفًا مسليًا، أراد أن يطلقه الآخرون عليَ أيضًا. وبعدما قال لي هذا للمرة الأولى، ظل يسير في المدرسة خلال أسبوعين بينما يحمل كتابا بعنوان «**الرجل الذئب**»، من تأليف شخص فرنسي أو شخص مولود في البلاد التي ما زالت تتحدث الفرنسية. لم أكن أحب أن يروني بينما أقرأ. ليس لأنني كنت أشعر بالخجل من هذا، لكن لأنني أعتقد أن ما أفعل برأسي لا يخص أي منهم. لم أكن أعرف إن كان ”بسلَّة“ يحب القراءة أم يحب أن يراه الناس ممسكًا بكتاب، وكنت أسمعه يتحدث عن هذا المؤلف أو ذاك الذي لم يقرأه بالتأكيد. لم أكن أفهمه لكنني كنت أفهمه: من المعتاد هنا أن يقوم أي أحمق بتصنيف الناس بسبب لون الجورب أو لأنه يعرف شيئًا ما. كما كنا نفعل أيضا، حيث كنا نُطلق لقب ”بسلَّة“ على جاومه «بسلَّة» بسبب شعره الذي يشبه نبات البسلَّة. لا يمكنني شرح هذا بوضوح، لكن شعره كان هكذا. هناك من يعتقدون أننا نطلق عليه ”بسلَّة“ لأنه كسول، لكن لا: لم يكن من هؤلاء الأشخاص الذين يجلسون في الشمس مثل

السحالي، بينما يدخنون سجائر الماريجوانا وينظرون للناس المارين أمامهم، مثل "الشيخ". "الشيخ" شخص على هذه الشاكلة.

أنا أيضا يمكن أن أبدو هكذا، أحيانًا، إن نُظر لي بشكل سيء من بعيد، وأحيانا يكون هذا مُبهجًا لي. ماذا أفعل؟ هذه الأشياء: النظر، الجلوس، تدخين سجائر الماريجوانا، الحفر في الرمال، الخروج للهو ليلًا، حكيُ حكايات لطيفة، عدم تعقيد الأمور. لكنني أفعل كل هذه الأشياء، والكلام عن أفعالي كأنها من فعل شخص آخر، يشبه تقريبًا أن يتحدث شخص ما بعدما أصبح الفشل ذاته. أنا أفعل هذه الأشياء، لكن الحياة ليست فعل هذه الأشياء. ماذا أريدُ؟ لحُسن الحظ، هذا هو السبب الذي جعل "بسلَّة" يطلق على «الرجل الذئب». أنا طليق اللسان وهادئ، صبور ومتأمل، أبدو نبعًا للأشياء الطيبة، لكن عندما تنتابني نوبات غضب أو هياج لا يمكنني البقاء هادئًا، يتحول جسدي إلى أنا ذاتي، وأنا جسد كل الآخرين، هادئ ولطيف لدرجة أنني أشعر أن الكل يحبونني، وأكثر من صديق جاء ليقول لي كلمات طيبة. يقول "بسلَّة" إن هذا هو حظي وتعاستي، لأنني أريد المزيد من كل شيء، ويقول إنني لن أمتلك مستقبلًا بينما أجلس في أي ساحة بأحد الأحياء لأدخن وأدخل كل نصف ساعة في محلات البقالة التي يقوم عليها الباكستانيون لأشتري زجاجة بيرة كبيرة الحجم أو كيس بطاطس شيبسي أو أي شيء تافه شبيه. لا أعرف أحيانا إن كان يجب أن أصمت أم أتكلم.

أنا أصدق موضوع القمر المكتمل إلى حد ما. بالفعل، الرغبة أقوى من موسيقى الحياة ذاتها، ومنذ أيام كثيرة بلغت السادسة عشرة ويقول لي الكثيرون إن أمامي الحياة بأكملها. كلمات سخيفة، حسبما أعرف فإن حياتي بالكامل توجد خلف ظهري: أنا أعرف ما عشت وأعرف اللحظة التي أعيشها الآن. لا ضرورة لأن يشرح لي أي شخص ما هو شعور المرء عندما يبلغ الأربعين عامًا. خاصة لي أنا.

لكن الأمور ليست وردية دائمًا مع "بسلَّة". دائمًا ما يكون في معيته شيء غامض. إنه يقول هذه الأشياء لكي يبهرني، لكي يقنعنني، لأنه لا يوجد شيء أكثر بهجة له من حملي إلى الطريق الوردي في المساء، خلف المدرسة، السير على الأقدام حتى المبنى تحت الإنشاء ومنحي السعادة خلف شجرة دفلي، على مبعدة خمسة أمتار من البئر كريه الرائحة المحاط بشبكة حديدية تغطيها الأعشاب البرية. وبالطبع أتركه يفعل هذا. هكذا هو "بسلَّة"، عرقه كريه الرائحة، لعين، مهووس، طليق اللسان. أحب هذا الشعور بينما يتحدث عن التدمير من وجهة نظره، بينما يفض الأسرار ويجعلني اكتشف الأمور. يريد أن يبهرني وأتركه يبهرني، لأنني أيضا أحب أن أشعر أنني صغير، بلا حول ولا قوة، مثل شخص يعتقد أن "بسلَّة" فتى غزير القراءة ويسمعه بإعجاب. في الحقيقة عندما يمسك بكتاب لا يُطلقه: يتحدث عنه، يحمله جيئة وذهابًا. ومنذ فترة يسير بكتاب حول أشخاص يدخلون بيتا في منطقة غير مأهولة في أمريكا الشمالية، ويقتلون

عائلة كاملة لكي يحملوا بضعة قروش. قرأ لي كتبا كثيرة، على أجزاء. هكذا هو "بسلَّة": بدلا من إعطائك الكتاب ويقول لك «ها هو، اقرأ». لا، يمسك بيدك، يُقيم الطقس، يقرأ لك مقتطفات كأنه يرغب في أن يكشف لك عن شيء ما يخصه. في تلك الأيام عندما كنا «نزوغ» من المدرسة، قبل فترة، كان يقرأ لي كتابًا حول بضعة صبية في مدينة ما، أمريكية أو إنجليزية، لا أتذكر، وكان أحدهم شخص «بانك» متمرد، وانتهى به الأمر بالعمل في دورة مياه (الأمر يبدأ هكذا، كأنه شيء من عالم آخر)، وكان الآخر مدمن مخدرات، وكان يعرف شخصا يعتقد أنه نجم موسيقى روك، وكان يصادق متعصبًا مزق جسده بالاشتراك مع متعصب آخر. «هذا مُتعلق بحيواتنا يا صغير». هكذا كان يقول لي بنبرة حاسمة كأنما يقرأ على النص لأول مرة. وكنت أفكر، أي تفاهات تقرأ يا "بسلَّة"، لتقرأ تولستوي أو احملني للطريق الوردي، لكن لا تُطلق عليَ «صغير»، فهذا لا يروق لي.

"بسلَّة" ليس أبلها أو متعجرفًا لا رجاء منه. إنه يتحدث عن الوجود الجرائمي، عن المصير القاتم المفروض على كل شخص منذ لحظة ميلاده، وأشياء كهذه. إنه يقول أشياء قبيحة مثله، فهو قبيح. قُبحه ليس جذابًا، لكنه غريب. إنني لا أُقبله مُطلقًا، لأنه يجعلني أحب نفسي، كما يحدث عندما تكون ملاطفاته لطيفة للغاية، ويجب أن أزيح يده، ويجب أن أتماسك وأهدئ من نفسي، كأنما أتواجد مع رجل كبير. حينئذ يكون داخلي صمت قوي للغاية مثل حشد يصرخ وسط حصار شرطي.

ربما يكون الصمت معيقًا لي. وأنا أحاول محاصرته. لكن كل شيء يحين في وقته، والصراخ ضروري، خاصة حينما يجب الصراخ. وهذا واجب. يجب أن أعترف أنني كنت أشعر بالضيق لأن "بسلَّة" كان يرغب بأن يُطلقوا عليَ «الرجل الذئب». أعرف أنها بارانويا، لكنني كنت أشعر كأنهم يقولون إِنني أخبئ شيئا ما داخلي، شيء ما مكبوت، مثير للضيق، وكأنني أُخرجه بكل قوتي، كأنني قادر على القتل، هكذا فجأة، وبعد ذلك أتظاهر أن شيئا ما لم يحدث، لا أعرف، على طريقة المافيا أو مصاص دماء. وبعد ذلك آخذ في التفكير، لنر، ما هي الأسباب المحتملة لهذا الذئب؟ من يمكن أن يكون قد عضَّني؟ من الذي حولَّني إلى الشخص السيئ الذي أصبحت؟

وأقول لنفسي، يا سبستيان، أي شخص سيعتقد أنك قضيت طفولتك في مركز للأحداث. لكن لا. أنا لست من أكون، ولست ظروفي. لابد أنه كان ذئبًا آخر، ذئب جائع يمتلك رغبة في إعادة إنتاج جوهره المقزز، وقام بعضي ثم تركني، مُمزقا في أزمتي، حيث تنتشر خلاياه المقززة. فلابد أن ما انتابني شيء مقزز. مقزز وعندما يتراكم بإفراط ينفجر في خراء، ويتمدد، ويتحول إلى قوة بيضاء، في نوع ما من الحماس الإيجابي! تقزز أن أكون فتى طيب، تقزز أن أكون تلميذًا، وتقزز السير في الشارع والحياة في حي مليء بالأحداث كل يوم، تقزز عدم رؤية شيء سوى التقزز ذاته، حتى يقول كل شيء ذات يوم «هيا تحرك»، ويتبدى أن هناك أشياء أكثر من الأشياء السيئة، وتتحول إلى نوع من الملاك الذي

يقوم بهذه المهمة تحديدا: أن يكون ملاكًا. وهذا تحديدًا مثير للضحك.

«أنت ملكي، وأنا وأنت سنصبح شخصًا واحدًا»، هكذا كان "بسلَّة" يقول لي عندما تتملكني الطبيعة المختبئة في الجُّحر. أنا منفعل لكنني أقول لـ"بسلَّة" ألا يقول هذه الأشياء التي تخجلني، وأعتقد أنه يفهم هذا لأنه، على الرغم من الحماقة والبله، يصدق نفسه عندما يقول لي هذه الكلمات، لأن "بسلَّة" يحبني حتى إن لم أكن أحبه. ولهذا لم يكن هو الذئب الذي عضني وجعلني فتى شرير.

أنا فتى سيئ، شرير، وأكرر هذا لنفسي ملايين المرات كل مساء، بالنور مطفأ، والستائر مُغلقة، والشموع التي يكرهها رامون موقدة، والتي أشعلها لأنها تجعلني أشعر بالحياة في لحظة أخرى من الزمن، بعيدًا عن صخب البيوت الذي يتردد هنا. على الرغم من أن رامون، بهذا الوجه الغاضب، يصيح بي أنني سأشعل النيران في الشقة ذات يوم. كم أتمنى فعل هذا عندما تكون جدتي قد ماتت. أحب القيام بهذا. أحب البقاء بمفردي تمامًا، كأنما هناك حريق في الخارج ولا يصل لغرفتي. أنا محبوس بمفردي، في العتمة التي تصنعها اللوحات القليلة المغبرة المُعلقة على الجدران، الأرفف بالكتب القليلة والأشياء القليلة الأخرى المكررة على جدران الغرفة الأربعة. عالمي المكون من أربعة في أربعة، الأبعاد الثلاثة للأشياء والظلال المتأرجحة للشموع، وأفتحُ بُعدًا آخر، الرابع، بُعدٌ وجودي مع نفسي، دون مدرسة، دون صبية،

دون ”بسلَّة“ أو أي شخص. أنا نفسي، دون حياتي المُحمَّلة بالذاكرة، دون أولاد المركز، دون الأبوين الميتين، دون أختي أو رامون، دون أخي السجين، دون جدتي، الوحيدة الباردة أكثر من طائر ببغاء الراهب. أنا نفسي دون هذه الفكرة: هل كنت أفكر انطلاقًا من نفسي فقط أم من الآخرين؟

لكن رامون وأختي ليسا الذئب الذي عضني. كما لم تكن جدتي المسكينة، التي كان عليها أن تعيش بين عائلتين مثيرتين للضيق: رامون وأماندا، وهما عائلة يجب عليها أن تتحمل امرأة عجوز وطفل، أنا الطفل، حيث أُمثل عائلة الخاصة، وساقاي ويداي وأموري الغامضة أينما ذهبت. كانت الجدة تقول لهما ألا يقلقا، لأن العجوز ستموت بعد يومين، وعندما يبلغ الفتى الثامنة عشر عامًا، ستدفعه ساقاه للخروج من الباب بأقصى سرعة.

فتحُ الباب والذهاب، وعدم النظر للخلف، لكي لا أتذكر مُطلقًا حتى إن رغبت في هذا. هذه هي الذكري اليومية لدى: الباب الذي ينتظرك مفتوحًا، على الرغم من ترك كل شيء في الخلف، وبعد عبور الحديقة الصغيرة، يوجد الشارع القديم الذي تعرفه جيدًا، الشارع الذي عشته بساقين قصيرتين وبساقين مشعرتين، وبجوار الباب تنتظر الجدة بسندوتش من النقانق المقددة وقطعة شيكولاتة. كطفل عنيد، قريبا سيكون عامٌ قد مرَّ على هذا، على يوم العذاب عندما انفتحت لي أبواب مركز الأحداث كأنما ينفتح

باب السجن لسجين في السينما. كنت أحب الحياة هناك، حيث كنت كرجل ذئب بالفعل. هناك يجب أن يمتلك المرء شخصية قوية، خيالًا، يجب أن يكون شريرًا، يجب أن يكون طيبًا، يجب أن يصارع، يجب أن يبقى على قيد الحياة، يجب أن يكون كبيرًا. ربما كنت أحب الحياة هناك لأنني لم أكن أعرف سواها، بينما لم أكن أتذكر أمي ولم أكن أعرف سوى جدتي، التي كانت تأتي صباح كل سبت وتجلس أمامي خلال ساعة، صامتة أو تتحدث بالسوء عن الجيران في الشارع. حتى نادى عليَ المدير ذات يوم وحملني إلى قاعة الاجتماعات وقال لي، بذلك الصوت الشبيه بأصوات رجال الدين في الأفلام: «يا سبستيان، لقد بلغت السابعة عشر، بالإضافة إلى هذا لديك أختك. غدا ستذهب لتعيش معها. هي وزوجها وجدتك ينتظرونك». وكأنما بدأ جزء جديد في حياتي في تلك اللحظة.

وبعد ذلك، خلال ثلاث ثوان، يعتاد المرء على أن يكون كبيرًا وأن يكون رجلًا. يعتاد على الذهاب للمدرسة أو ألا يذهب، وأن يمتلك مفتاحًا لفتح الباب عندما يرغب، على الرغم من أنه يجب أن يذهب لزيارة الأخصائية الاجتماعية من حين لآخر، لأنها الأخصائية المشرفة على حالته حسبما يقولون.

أحيانا أتذكر يوم لقائي بـ"بسلَّة". سألني عما أفعل في المدرسة، ومن أين أتيت وكل هذه الأمور، وحكيت له كل شيء. قلت له «هل تريد أن أحكي لك حياتي يا جاومه؟» -لأننا لم نكن نُطلق عليه "بسلَّة" بعد-، دون أن أثق به بشكل خاص، في مساء

ممطر، حيث كانت السُحب مُحملة بالماء المتشوق للسقوط، كان "بسلَّة" هادئًا ولم يكن يقاطعني، بل لم يكن ينظر من جانب لآخر لرؤية إن كان هناك شخص ما قادمًا. وعندما انتهيت من الحكاية، عانقني، أمسك بيدي، كان يبدو أكبر، لم يكن يبدو هو ذاته، لم يكن يبدو ابن العاهرة الشرير المريض كما هو الآن، وبدا لي صديقًا ودودًا. لم أكن أفهمه لكنني كنت أرغب في هذا. كان "بسلَّة" يصبح لطيفًا عندما نسير في الطريق الوردي فقط. لكن في ذلك اليوم، لا أعرف، كنا في ميدان باريس، وعلى دكة أخرى كان هناك ألبرت أبات وشلته، وعانقني "بسلَّة" ليواسيني، لكي أشعر أنه قريب، ولا أشعر بالوحدة. كان هو أول فتى، هو و»الشيخ»، أتحدث معه عندما التحقت بالمدرسة. كان "بسلَّة"، أول من جاء نحوي، عندما كنت جالسًا في أحد أركان الفناء دون أن أقول أي كلمة أو أتحدث مع أي شخص، وقال إن ملامحي تبدو له مألوفة. كان "بسلَّة" أبلهًا من بيت طيب. وكان ابن عاهرة وفتى شرير مثلي.

كان يرغب في أن نتصاحب، أن نلتقي في المساء من وقت لآخر ونجلس على فراشه ونتكلم عن حياتينا عندما كان صغيرًا وأنا كنت اسمًا في ملفٍ، وأن نتبادل القُبل وكل هذا. لذلك السبب امتعض وجهه عندما رفضت، وغضب، أو تظاهر بالغضب، كأننا زوجين والأمر له في هذه العلاقة. ربما يكون قد خطر له هذا في ذلك اليوم، عندما عانقني ليستقبلني. وبينما كان يعانقني، بينما كنا جالسين على الدكة المواجهة لفرع بنك «لا كايشا»، كنت أنظر

خلف كتفيه كفتى يكبرني بعام، ورأيت تلك المجموعة الصغيرة على دكة أخرى، وتعرفت على ألبرت أبات، الذي كان أحد تلاميذ المدرسة، وكان ينظر لي خلال الأيام الأولى في المدرسة، عندما اقتربت من السور لكي ألف سيجارة ماريجوانا، كان فتى لا يسير بمفرده في أي مكان، دائمًا ما يكون مع أربعة أو خمسة تلاميذ يسيرون خلفه، ودائما ما كان ينظر لي كلما عانقني "بسلَّة"، ولم يكن يبدو على وجهه أي تعبير، كان ينظر لي فقط، لكنني أعتقد أنه يشعر بالغضب من النظر لي، ولأنه لم يكن معي سوى بنظرته فقط، واعتقدت أنه، أي ألبرت أبات، كان راغبًا في أن يكون وسط هذا العناق وألا يكون جالسًا مع نصف دستة الفتيان في شلته.

كنت أفكر كل يوم «مسكين "بسلَّة"». ولم يكن هذا بسبب العناق، وإنما بسبب عيني ألبرت أبات الجالس على دكة على مبعدة خمسين مترًا. أو بسبب عيني ألبرت أبات في المدرسة، العينان اللتان تبرزان فوق عيون مجموعات الفتيان والفتيات الذين يملئون الفناء مثل بساط مخملي مليء بالألوان. كان ألبرت أبات موجودًا هناك دائمًا، على مبعدة خمسين مترًا، كما هو الآن، بعد التاسعة صباحًا، في التاسعة والأربعين دقيقة تقريبًا، وألبرت أبات، الأبيض مثل بقعة سقط عليها سائل تبييض، كان ينتظر مع كارلا وكلارا، التوأم المستحيل، وكان معهم بوثا، حيث كان وسط الفتاتين، قريبًا من سور المدرسة ولا يقول أي شيء.

2

كنتم في الصالة بعد تناول الطعام. أبوك وأمك على الأريكة، يزجيان الوقت بأخبار الصحيفة ونشرة أخبار منتصف اليوم في التلفزيون. وأنت، يا جاومه، كنت جالسًا على المقعد الهزاز، وتهز ساقيك. كان أبوك ينظر لك من الجانب، بنظرة جانبية للغاية، كأنما إحدى عينيه لا تنصاع له، ويفكر، إن هذا الصغير يتحرك كثيرًا. أمك تقوم بالتأمل، تنظر للجدار الأبيض وتفكر في أمور هادئة: الفراش المُرتب في غرفتك، الجدران البيضاء الخالية من البقع، ملابسك النظيفة داخل الأدراج، الواجب المدرسي الذي تم عمله وأصبح جاهزًا للتسليم.

هذا الهدوء يثير اضطرابك، الصمت يثير ضيقك، تحديدًا لأنك تعرف أن كل شيء يمكن أن يتغير في لحظة واحدة. أنت تعرف أن كل ما يتمتع بالهدوء الآن يمكن أن ينطلق في الحركة. في صمتك البريء، تفكر أن آلية العالم قد تتغير ذات يوم وسط كل هذا الهدوء، وكل هذه السكينة، وأن «نعم» قد تُصبح «لا»، وأن الجدران قد تنصهر، وتسقط اللوحات، ويسقط كل البيت فوق رؤوسكم، فجأة، دون سابق إنذار، ودون أن يمكن لأبيك أن يفعل أي شيء، قد يحدث انهيار كبير، قد تنشأ هوة كبيرة، الشارع بأكمله قد يدخل في المكان الذي كان يشغله بيتكم ذات يوم.

حينئذ يمكن لأبيك وأمك أن ينتحبا ويصرخا ويندهشا ويتعجبا. وسيكونان أكثر تأثرًا من تأثرهما الآن، بينما يقرآن عن مقتل عجائز على أيدي أحفاد مدمنين للمخدرات أو الموت المأساوي لفتى في السابعة عشر من عمره، حيث صدمه هذا الأسبوع متوسيكل «جوتزي في 7»، بينما كان يعبر طريق المشاة.

أمك تعتقد أنكم لن تعيشوا موقفًا كهذا مُطلقًا. لكن لابد أنها تفكر في هذا. بخلاف هذا، لا يمكنك فهم سبب تنهدها وتعبير الأسى على وجهها، ثم نظرتها إليك وابتسامها. هل تبتهج لموت الناس؟ لاختفاء الناس؟ لبكاء الناس؟ أم أنها تعتقد أنك تبتهج لهذا؟ لا. هذه أشياء لم تعرفونها مُطلقا في هذا البيت يا جاومه. أنتم لستم عدوانيين يا جاومه، إنكم أناس طيبون، محظوظون، أموركم تسير على ما يرام. أبوك صامت، وثلاثتكم مرتاحون في جلستكم على الأريكة في الصالة بعد تناول الطعام.

توجد مسافة كبيرة بينك وبين أبويك الجالسين على الأريكة، المنشغلان بقراءة الصحيفة ومشاهدة نشرة الأخبار، وأنت منشغل بأمورك. أنت كألم منشار كهربائي صدئ وسط سوناتا لشوبيرت.

– يا ريكارد، حادثة ذلك الفتى المسكين وقعت هنا تمامًا.

– يا له من فتى مسكين. وأبوه وأمه أيضًا...

وأنت مرتاح في جلستك، بملابسك الغالية، لا تقول لهما إنك تعرفه، اسمه جويل، يدرس معك في المدرسة. إنكم عرفتم بهذا

في ذلك اليوم في المدرسة، وإن ذلك الفتى لم يكن له أصدقاء، ولم يكن يعيش بعيدًا عن بيتك، وفي مساء الأربعاء صعد للسماء بعدما صدمته دراجة نارية تسير بسرعة كبيرة في شارع جانبي. بكى بعض الأولاد، وتم تعليق الدراسة خلال ساعة. كان هناك شعور بالفقد، ليس لأن صبيا لم يأت ولن يأتي مرة أخرى، أو لأن شخصًا سيفتقد جويل، أعتقد أن السبب هو موت فتى. ربما إن كان الخبر هو سقوط جويل في الشارع وانكسار ساقه، لقالوا في المدرسة: «فتى مسكين، هذا أمر مؤسف، أن تنكسر ساقه»... لكن لم يقل أي شخص اليوم إن المسكين الأحمق قد مات هباء... الأبله...

الصبية الميتون يشبهون مادة تطفو بين الصبية الأحياء. الصبية الميتون يثيرون الكثير من الأسى لأنهم يجب أن يتعلموا فجأة أن الموت جزءٌ من الحياة.

كما تكلمتم عن هذا أيضا في بار «أشبيلية»، "الشيخ" وسبستيان وأنت، حيث تقوم دائمًا تقريبًا بدعوتهم لأنك الوحيد الذي يحمل مالًا في حافظته باستمرار. ،"الشيخ" لا يتكلم ولا يستمع، كالعادة، عندما تتحدثون، لأن التلفزيون يعرض مسلسلًا محببا له. يجلس كل واحد منكم في بار «أشبيلية» وأمامه زجاجة بيرة ماركة «استريا»، لم يكن سبستيان راغبًا في أن يكون سعيدًا، ولم يكن سعيدًا، لكنه أيضا لم يكن راغبًا في أن يكون حزينًا، ولم يكن حزينا أيضًا. كنتَ تتحدث عن الفرق بين الحياة والموت. وكنت تخشى أن يتوقف سبستيان عن سماعك في أي لحظة، كنت

تتحدث عن جويل الحي: فتى غريب الأطوار، بوجه طفلة، يرتدي ملابس تشبه الزي الموحد للمدارس الخاصة، دائمًا في الفصل، لا يفر من المدرسة مُطلقًا، بوجه طفل يأتي بشقاوة ويعرف أنه لن يتلقى صفعة على وجهه مُطلقًا، لأنه فتى يبدو كالفتاة، حتى وإن لم يكن يحلق ذقنه ويظهر على وجهه زغب خفيف في الشارب والذقن كالفتاة. وبعد ذلك تتحدث عن جويل الميت: الملقى بجوار عجلات سيارة بيجو متوقفة، بعظامه متكسرة وأحشاءه خارج جسده. وتقول إنه لم يتلق صفعة على وجهه مُطلقًا، لكن أحشائه خرجت من جسده دون خوف من الموت، مهروسًا في الشارع بينما تنتظره أمه لتناول العشاء ويغطيه شخص ما بملاءة قديمة ألقت بها إحدى الجارات من الشرفة. وتتساءل، بصوت عال إن كان الأحياء يشعرون بالحزن أو يبكون قبل الموت. هل يرون الحياة التي تفر بكل قوتها؟

من الطبيعي ألا يقول "الشيخ" أي شيء، أن يظل وجهه جامدًا ويبدو كقشرة عين الجمل. على الرغم من هذا، فسوف تفاجئ اليوم بالوجه النافر، الخالي من التعبيرات لسبستيان كأنما يوشك قط متوحش على خدشه. لم يكن ينظر لك، كان يتناول رشفات صغيرة من البيرة ويتكلم في صمت، مع نفسه. كان هناك صمت كبير في بار «أشبيلية»، كأنما موت الفتى قد دخل هناك. كانت كل الأصوات مفهومة وسط فراغ الصمت: إعلانات التلفزيون، ماكينة بيع التبغ، بخار ماكينة القهوة، الصوت الصادر عن الثلاجات. كان الصمت كبيرًا لدرجة عدم سماع سبستيان بينما

يتحدث، تسمع صوت ارتطام الزجاجات عندما تُمسك صاحبة البار إحداها. بدلا من الكلام بينما يجلس ثلاثتكم صامتين، تتلهى بالتفكير في أن الأرفف الزجاجية التي تتحمل كل هذه الزجاجات الممتلئة بالمشروبات الكحولية تمر عبر عينيك، وتنفصل عن الجدار، وتسقط لأسفل وسيتقشر الجدار، وتسقط الزجاجات فوق صاحبة البار، وستمتلئ الأرض بالدم وبحمام سباحة من الكحول ومن قطع ملابس صاحبة بار «أشبيلية»، لأن الزجاجات المرتطمة فيما بينها أو التي ترتطم بالجدار ستنكسر إلى قطع زجاج صغيرة وستمزق وجهها، والعجائز سينزلقون وسترتطم رؤوسهم بالأرض أو تنكسر أعناقهم وسط المقاعد العالية المُلقاة على الأرض. إن كان هذا قد بدأ يحدث، كان سبستيان سيرفع رأسه وكان سينظر إلى جانبيه بنظرة بطولية، وكان سيقول لك «اجر يا جاومه! هيا بنا نخرج!»، وكان "الشيخ" سيطلب منك أن تسرع قدر استطاعتك وكنتم ستخرجون من المدينة وتركضون في الحقول.

لماذا تريد أن تعرف دائمًا فيم يفكر سبستيان ولا تصل لمعرفته مطلقًا؟ ماذا كان يمكنك أن تدفع اليوم لكي يرفع سبستيان رأسه وينظر لك، وبتلك الابتسامة الخفيفة كان سيقول لك «أنا سعيد للغاية يا جاومه، لأن جويل هو الذي مات وليس أنت»؟

تجلس على الأريكة في بيتك، نشرة الأخبار في الخلفية، وأبواك لا يعرفان أنك تذهب للطريق الوردي وأن صديقيك هما سبستيان و"الشيخ"، ويوجد كتاب على فخديك. صوت التلفزيون العالي لا

يسمح لك بالتركيز، تبدأ فقرة، عيناك تقفزان إلى الفقرة التالية، تعود، تشعر بالاضطراب بسبب صوت المذيع، وبسبب تعليقات أمك على كل جملة، وبسبب عدم الاستقرار الذي تلحظه في قاعدة التلفزيون، التي تبلغ خمسة أشبار طولًا وتوجد فوق مائدة خشبية يبدو أنها ملصوقة باللعاب. دائما ما تبدون عائلة مثالية بعد تناول الطعام، ترتدون ملابس أنيقة كأنكم ستذهبون لتناول القهوة على كورنيش البحر. أنت تحب الجلوس بينما تمسك كتابًا، لتجذب انتباههما لك، وأن تنظر لك أمك وتسألك «ماذا تقرأ يا جاومه؟»، ويرفع أبوك عينيه عن الصحيفة، بنظارته على طرف أنفه، ويسألك عم تقرأ، وبدلًا من أن تقول له اسم مؤلف أو عنوانً، تُريه الكتاب فيهز رأسه ببطء ورضا، ليس لأنه قرأ العنوان، وإنما لأن الكتب والمؤلفين يوجدون في الموسوعات وفي عقول الرجال الناجحين. يقول أبوك إن المعرفة هي ما يحتاجه الابن لمواجهة الحياة، المعرفة تمنح المرء الحرية، تجعله قادرًا على اتخاذ القرارات، تجعل العقل أسرع وتجعله قادر على إدارة مُستقبله. وتقول «مفهوم يا أبي». لكن إذا انكسر الحامل ذات يوم وسقط التلفزيون بعنف على الأرض، ستنتفضون على الأريكة، سينكسر بلاط الأرض، وربما يتسبب الانفجار في احتراق البيت. وربما، إن حدث هذا، سيمر سبستيان في شارعك بشكل عارض وستذهب لقضاء الليلة في بيته. وفي الليل، في البيت، ستتحدث عن كل الأسرار التي تعرفها عن العالم.

أحيانا تبتهج لتذكر أول مرة امتلكت فيها الشجاعة للاقتراب

من سبستيان والحديث معه. عندما كنت تراه، في البداية، كان يبدو لك بكرًا، متوحشًا، نافرا، كأنما ملفوظ من مكان ما عجيب. في ذلك الحين، عندما التحق بالمدرسة، كنت تراه بتلك الثقة الصامتة، بينما يدخن، واقفًا في ذلك الركن، دون اكتراث بأي شيء، يدخن ولا يتكلم مُطلقًا، زميل جديد ولا تعرف من أين ظهر. كنت تراه يكتب الملاحظات في الحصص ويهرب من المدرسة بشكل طبيعي، بمفرده ودون الاكتراث بأن يراه أي شخص أم لا، وكنت تود أن تكون برفقته يا جاومه.

كنت تريد إبهاره ولفت انتباهه. على الرغم من أنك لم تكن تعرف السبب، ربما لأنك كنت ساذجًا للغاية لدرجة أنك لم تكن تعرف ماذا تقول. وكأنه أول شيء خطر على بالك، عندما وقفت أمامه سألته إن كان قد قرأ «آنا كارنينا». كنت تمتلكه على رفك. كنت قد اشتريته قبل شهرين، بمال أعطاك أبوك إياه. كان مبهجًا رؤية ذلك الكعب ذي اللون البرتقالي بجوار الكتب الأخرى، التي لم تلمسها يد، وطوال كل ذلك الوقت كنت تنظر له وتُعجب به. كنت تشعر أنك قرأته لمجرد الإمساك به في يديك. كنت تقرأ سطورًا، في بداية الكتاب أو نهايته، أو جُملًا متناثرة في وسط الصفحات. لكن العالم كان يبدو لك لا نهائيًا عندما تأخذ في القراءة. أتى سبستيان بتعبير من يتساءل عن الترهات التي تقولها، ونظر إلى عينيك طويلًا. كانت عيناه حزينتين ورموشه طويلة. كانت أنفه فطساء وتوجد غمازتان في وجنتيه، وكانتا تتجعدان عندما يبتسم. كانت أسنانه صفراء ولثته كماء نافورة بجوار مصلى

صغير منعزل في الجبال. كنت تنتوي أن تقول له إن وجهه يبدو كالصبية الذين لا يعرفون حتى أنهم موجودون، «آنا كارنينا»، لكن مع تلك النظرة الطويلة، الثقيلة اللزجة، كأنها مبتلة، انتابك الصمت وأصبحت تشعر أنك ضئيل.

كنتما بجوار ملعب كرة السلة. كنت تنظر لحامل السلة، وتنظر للوح الخشبي شبه المتآكل والحلقة الحديدية الصدئة، ورأيت مجموعة تلعب مباراة، وبينما كنت تائها في عيني ذلك الولد الذي اقتربت لتتحدث معه، فكرت بشكل عابر في سقوط الحامل فجأة، كأنما هناك إعصار مجنون، وفي انكسار اللوح الخشبي على أرضية الملعب وفي ثني الحلقة الحديدة على الأسمنت، قد يُصاب شخص ما بالأذى، وسترتفع أرضية الملعب وستنفتح حفرة، وقد يفقد أحدهم ساقيه، لكن وسط كل هذا الطوفان من الأفكار، لم ينظر سبستيان لك.

–لا. لكنني عرفت أن عمل كارنيه المكتبة مجاني.

– حسنًا، نعم، أنا أمتلكه، إن كنت ترغب، يمكنني...

– هل تحب القراءة؟ أنا أحب القراءة. كأنما هي طريقة لكي يكون المرء دون أن يكون.

– هذا عجيب... –لم تعد تعرف ماذا تقول، توترت، وصدرت هذه الكلمات عنك: –أعتقد أن القراءة تجعلك أكبر لدى رؤية الأشياء.

– لا أعرف.

– وماذا تقرأ الآن؟

– لا أقرأ أي شيء الآن. أمضي الوقت هنا. وأنت؟

– مثلك.

– شعرك غريب. أنت...

– جاومه. وأنت؟

– سبستيان. لماذا سألتني إن كنت قد قرأت ذلك الكتاب؟

– لا أعرف. هل تريد أن نتعارف؟

وأمسك بيدك، أصابع طويلة وأظافر غير مقضومة، مثالية للإمساك بمخروط آيس كريم، نصف رمانة أو نبتة لافندر. كانت أظافرك على اللحم. لم يكن هناك أي شيء يتناقض مع ملابسك النظيفة المكوية سوى أظافرك.

كنتما تتحدثان كثيراً في الأسابيع الأولى، كنتما تلتقيان عند باب السور الخلفي للمدرسة، كنتما تُطيلان من وداعكما لدى الخروج. كنتما تتجهان معا لأفضل مكان في الفصل، لكنكما لم تكونا تجلسان معا مُطلقًا. أحيانا لم يكن يذهب للمدرسة، وبدا لك أن المدرسين لم يكونوا مهتمين إن كان «يزوغ» أم لا. وفي الفصل، كان يبدو كأنكما شخصان غريبان، لا يعرف أحدكما الآخر. وكنت تشعر بالفضول تجاه ما يفعل. ليس لأنه كان يفعل أشياء ملفتة، وإنما لأنه كان يبدو كشخص غير مكتمل الحضور.

كان "الشيخ"، الذي لم يكن يُدعى "الشيخ" بعد وإنما «توفول»،

يذهب معكما أحيانا للتنزه ولبار «أشبيلية»، لكنه كان يذهب لمجرد الذهاب، وليس لأنه كان يرغب في مرافقتك أو لأن الآخر هو سبستيان. أحيانا تفكر أن "الشيخ" ليس قادرًا على التمييز بين شريحة خبز بالخراء وشريحة خبز باللحم المقدد والعسل.

عندما تصل البيت، بعد المدرسة، تجلس في غرفتك وتفكر في طريقة للاقتراب منه، لكسب صداقته خارج المدرسة أيضا. كنت تريد معرفة أين يعيش، وأن تتبعه حتى بيته دون أن يلحظ هذا. التلصص عبر نافذة غرفته، النظر إلى أشيائه، معرفة لماذا يرتدي ذات الملابس دائمًا: بنطلونان مقززان قرضتهما الفئران وثلاثة فانلات قديمة.

بعد أسبوعين، أصبح التعليق على أي شيء خارج الفصل أو الذهاب لبار «أشبيلية» أو لأي مكان مع "الشيخ" مجرد روتين رتيب، مجرد تكرار. "الشيخ" لم يقرأ كتابًا في حياته وسبستيان لا يحب الكلام عن الكتب، وتولد لديك انطباع أن كليهما، دون أن يقولا هذا، كانا يتركانك تتكلم ويصمتان بينما تثرثر. بعد هذه البداية الجميلة أصبحت تقوم بدور زعيم الشلة: تقول أين تذهبون، تأمر بأشياء. كان "الشيخ" يتكاسل عن التفكير. كان سبستيان يضحك ويوافق دائمًا. عندما تكونون معًا، تتوخى أن تكون أول من يرحل، لأنك لا يمكن أن تقبل أن يقول سبستيان «حسنًا، أنا ذاهب»، لتظل بمفردك مع "الشيخ". لم تكن تشفق على بقاء سبستيان معه بمفرده. على العكس، كنت تحلم سرًا أن يتحدثا عنك أثناء غيابك. أنت تريد (وستريد) أن يكون هناك شيء ما يربطك بعالم سبستيان. هذا هو أنت، يا جاومه.

3

أصلُ المدرسة وأول شخص أراه هو "الشيخ"، زميل في الفصل. من المؤكد أنه لم يكن رجلًا ذئب ولن يجعلني أصبح فتى شريرًا. حتى إن كانت أحشائه مليئة بسم الذئاب، لا يمكن لـ"الشيخ" أن يكون ذئبا مُطلقًا لأنه لا يمتلك أسنانًا، ولا حتى للمضغ. أقول له: «يا "شيخ"»، فينظر لي بذلك الوجه الذي يبدو عليه الملل أمام مدخل قاعة الجيمنازيوم. يقول لي:

– هل نذهب لبار «أشبيلية».

ندخل جميعا في طابور إلى الداخل. يوجد حزن عام، منذ فترة، بسبب ذلك الفتى الذي مات مساء الأربعاء. يقولون إن دراجة نارية صدمته، وإنها أطاحت به لمسافة تبلغ ثلاثة أرباع الشارع، لا أعرف. كما أنني لم أكن أعرفه كثيرًا، أو على الإطلاق. كما لم أكن أعرف اسمه. أعتقد أنه كان في فصل ألبرت آبات. لا أعرف إن كانا صديقين أم لا. لا أعتقد. ولا أعرف أيضا إن كان هذا يهمني في شيء. عينا "الشيخ" متورمتان. «أشبيلية» مجرد بار. لا يشعر المرء بالراحة أو بالضيق. مالكة البار تنظر لنا بوجه مُحمل بالضيق، لأنها لا تريد دخول أطفال للبار، لكنها تقدم لنا كل ما نطلب. لابد أنها تعتقد أننا مجرد مساكين صغار، متسخين ووحيدين تمامًا. أنا لست نظيفًا على الإطلاق اليوم. لم أستحم.

و"الشيخ" أيضا. اسمه الحقيقي كريستوفور. الكثيرون يُطلقون عليه «توفول». ونحن نُطلق عليه "الشيخ"، ولا أعرف بدقة كيف حدث هذا. ربما لأن "بسلَّة"، الذي كان يشعر بالضيق لأننا نُطلق عليه "بسلَّة" بدلا من جاومه، قد قال: «توفول» يبدو شيخًا عربيًا». وأصبح هذا اللقب نهائيًا. لم يسأله أي شخص لماذا يبدو له هكذا. أصبحنا جمعيا نُطلق عليه «الشيخ».

– هل سنذهب إلى بار «أشبيلية» يا سبستيان؟

– نعم يا "شيخ".

رغم هذا لم أكن كثير التحمس للجلوس مع "الشيخ". عندما يقوم بالكلام، وهذا يحدث قليلًا، لا يتكلم إلا عن التلفزيون، عن النساء القبيحات لكن اللائي يقبلن فعل أي شيء، عن المجلات الغريبة التي يسرقها من محل «24 ساعة»، وعن شفتي زنجية في الخامسة والثلاثين من عمرها، وحسبما يقول، فهما مخلوقتان عمدا للعق القضبان.

– هل تمتلك ورقًا يا سبستيان؟

– لا يا "شيخ".

– سأسأل "بسلَّة".

وخرج ليبحث عن "بسلَّة". وأمامه كانت كل مجموعة الصف الرابع والسنة الثانوية بينما يزجون الوقت خلسة تحتي عيني ماجدالينا تراوس، رئيسة البرنامج التعليمي، التي لم تكن تحب

أن ترى أي شخص بينما يفعل ما لا يجب أن يفعل. كان عالم "الشيخ" صغيرا، دون عناصر كثيرة. أنا و"بسلَّة" فقط.

- من الذي مات يا سبستيان؟

- أحد... - دائما ما يكون "الشيخ" فاقد التركيز، أو يُركز في نفسه فقط. - أحد الطلبة من فصل آخر. يقولون إنه كان يعبر الشارع بالقرب من هنا وصدمه موتوسيكل.

- هل تعرفه؟

- لا، وأنت؟

- لا.

- كان وجهه مألوفًا لي. بصراحة كان يبدو متخلفًا.

- اللعنة يا سبستيان! لا داعي لسب الأموات. لقد مات، ألا تدرك هذا؟

- لا أهمية لهذا بالنسبة لي يا "شيخ" -نعم، أنا حقير-. لا يعنيني في شيء إن كان حيًا أو ميتًا، لكن وجهه كان كالأبله، كان هذا واضحًا.

- أنا لا أحب ما تقول. ماذا تريد أن أقول لك.

- لا تغضب. وفي الحقيقة إن كان ميتًا فإنه لم يعد أبلهًا.

- اللعنة يا سبستيان.

بغض النظر عن أموات "الشيخ"، كان ذلك الصباح جافًا لكن

باردًا إلى حد ما، يمكن لمس الألم المخيم في الجو، لكن هذا لم يكن يهمني في أي شيء. نعم، أقول هذا. لم يكن يهمني في شيء. على الرغم من شعوري بالضيق بعد ذلك، وفي المساء أشعلت شموعًا من أجل ذلك الفتى الغريب الميت، وعلى الرغم من أنني أتعذب بينما أفكر فيه كأنما لم يمت بالكامل وأنه أمضى الليلة باكيًا في المشرحة. مثل ميكيل أنجيل، الذي يقف أمامي الآن، بذلك الوجه الموحي بأنه أمضى الليلة باكيًا، وينظر لنا، متكئًا على شجرة، بالأدق مختبئًا بين الأشجار، بهذا الوجع في الخصر الذي يبدو عليه دائمًا. ميكيل أنجيل لا يمتلك أصدقاء، الناس لا تحبه، وكثيرًا ما أعتقد أنه يثير نفورهم، وربما وخوفهم أيضا. لكنني أعرف أن ميكيل أنجيل أفضل من الولد الميت، بالإضافة إلى أنه أكثر بلهًا من ميكيل أنجيل، فهو ميت. ميكيل أنجيل حزين، حزين للغاية، وينظر لي لكي أقترب وأواسيه. ها. ليواسي كل امرئ نفسه. ليبحث كل امرئ عن المواساة بنفسه.

لكن عندما أنظر لميكيل أنجيل يحدث لي شيء شبيه بما يحدث عندما أنظر لألبرت آبات. أعرف أنهما ليسا صديقي، لكن النظر لهما يبث بي الطمأنينة. عندما أنظر لشلة ألبرت أشعر بالنأي والكسل والرغبة في البكاء، وفي الانطلاق في الجري والصراخ. رغبة في التفكير أن العالم الذي أراه أمامي ليس كما يبدو. أن العالم الموجود خلفي أكبر من عالمه ألف مرة، بانشغاله بتصفيفة شعره والمصروف الأسبوعي.

ولا أعرف لماذا أعتقد أن العالم الذي أمتلكه الآن، في هذه اللحظة

تحديدًا، قبل لحظة واحدة، يجب علي أن أصيغه بنفسي في كل لحظة، وتقترب مني كارثة في كل دقيقة. وأشعر أن ميكيل أنجيل وألبرت آبات يفهمان هذا.

- اُنظر له، يبدو كخيال المآتة -يقول "الشيخ" بينما يشير لميكيل أنجيل. وهو نفسه يبدو هكذا، كخيال مآتة، ممزق، مهلهل الأوصال، وبعينين محولتين. "الشيخ" لا يعرف أي شيء عن ميكيل أنجيل أو عني، لكنني لا أعتقد أن شيئًا ما سيتغير إن كان يعرف أي شيء. كلمة «شيء» تبدو تكرارًا، لكنها ليست كذلك.

- لا يا "شيخ".

- ألا يبدو هكذا؟

- لا يا "شيخ".

- «لا يا "شيخ"، لا يا "شيخ".» لا أعرف لماذا لا يمكنني أن أقول هذا.

- يبدو أحيانًا أنك تُقدِّر هذا التافه .

- اُصمت يا "شيخ".

- لابد أن السبب هو أنك في الحقيقة تُقدِّره إلى حد ما.

- ربما يكون هذا هو الأمر إذن. هل تريد أن تفعل أي شيء؟

- اللعنة.

- قُل يا "شيخ". هل تريد أن تفعل أي شيء؟

- لا يا سبستيان.

4

أصبح اليوم طويلًا، وأصبح واضحًا أن الصيف على الأبواب، وأن ألبرت يمضي جزءًا كبيرًا من العصر بينما ينظر من النافذة، وكانت نافذة داخلية، تطل على فناء شاسع، مليء بالشرفات والغسالات وأحواض الغسيل في مربع سكني.

عندما ترتفع درجة الحرارة وتزداد الرطوبة، يمكن لمس الهواء الخانق، والشمس تأكل الفناء ويبدو أنها تُشقق الواجهات الداخلية، وقضبان نوافذ المطابخ، والملابس التي جفَّت. دائمًا ما يكون هناك شيء من ضجيج الغسالات والأطفال الذين يلعبون ألعابًا بذيئة أو لعبة الحروب في الشرفات وفي الأفنية السفلية. الكلاب تنبح، لكنها لا تقوم بهذا في لحظة ما في العصر، حيث المدينة تتركز في الأفنية الداخلية الحارة. وفي داخل الأفنية الغريبة، المحاطة بخمسة أو ستة طوابق، تمتلك كل شقة مطبخًا، ثلاث غرف، صالة، حمامان، يزداد ضجيج السكان والدراجات النارية في الصيف مع النوافذ المفتوحة. يبدو أن هذه البيوت موجودة منذ الأزل، لكنها لم تُشيد سوى منذ أقل من عشرة سنوات. كانت أولى البنايات التي تم تشييدها لدى تطوير الحي، بالقرب من البيوت الفقيرة، بجوار الطريق الذي ما زال موجودًا.

ألبرت يجلس أمام المكتب، بإبطيه مبللين بعرق شهر مايو،

وينظر شاردًا عبر النافذة. وفي المطبخ، المجاور لغرفته، يوجد ضجيج أطباق وأوعية، يوجد برنامج حواري في التلفزيون والمدعوون ينتفضون فوق مقاعدهم ويصيحون. وفي داخل الفناء الداخلي تتواجد لغات ونبرات تلفزيونية مختلفة.

مرَّ عام منذ سمح أبوا ألبرت بأن يتواجد داخل غرفته بالباب مُغلقًا، أمور خاصة بكل عائلة. الباب لا يمتلك مقبضًا، وعندما يكون مُغلقًا يبدو كأن خلفه يوجد بيت آخر منفصل، للأبوين والأخ. قبل ذلك كان يجب أن تكون الغرفة مفتوحة دائمًا، وألبرت مُتاح للجمهور، دون خجل أو صمت أو خصوصية، لأن الأولاد، في أي عائلة، لا يجب أن ينغلقوا خلف باب غرفة. وعلى الرغم من هذا، حتى الآن لا يمتلكون عادة طرق الباب قبل الدخول.

أصابع ألبرت في إطار النافذة. الأصابع المتآكلة لأنه يقضم لحم الأظافر. الأم تغني بينما تُقلب الأوعية الثلاث على النار كما تفعل عصر كل جمعة. صباح اليوم ذهبت للسوق، كما تفعل صباح كل جمعة: خضروات وفاكهة وسمك ولحم، وذهبت للسوبر ماركت الموجود بالقرب من مبنى السجن الدائري، كما تفعل كل جمعة عندما تخرج من السوق: ماء، أوعية بقوليات محفوظة، صابون، إلخ. الأم، كما ذُكر من قبل، كما تفعل كل يوم جمعة، تقوم بالغلي والطهي والشوي وإعداد طعام في الفرن، تُعد وتطبخ من أجل كل الأسبوع. غدًا، يوم السبت، في ساعة مبكرة، سيذهب أبوه وأمه إلى الحقل الصغير الذي تمتلكه العمة «ترو»، سيقتلان أرنبًا أو اثنين، وديكًا مخصيًا، وسيحملون ثلاثة أو أربعة كيلوات من البطاطس

الملوثة بالوحل وكريهة الرائحة من الأرض الرطبة، وسيجمعان ما يجدان ثم يعودان للبيت، حيث يبقيان حتى صباح الاثنين. منذ فترة قليلة لم يعد ألبرت يذهب كل عطلة نهاية أسبوع. عدم الذهاب يشبه أن يكون الباب مُغلقًا دون غلقه. يعني أن يسير في البيت عاريًا كأنما يعيش بمفرده ويمكنه النظر لنفسه في مرآة المدخل كأنما قام بتعليقها بنفسه. يعني فتح أدراج كومودينو أبيه كأنما كلها أدراج تحتوي على أشياء ليست ملكه لكنها لا تخص أباه أيضا. كميات تكفي فردًا واحدًا في الأدراج الضخمة للثلاجة، علب بلاستيكية فردية، عليها بطاقات تعريفية، بط بالتين بالمجفف، شعرية بالأسماك، سمك دنيس، سبيط في حبره. الأم لا تزعق وإنما تغني. تتغير قوة شعلات الموقد، أوعية من الفخار، التقلية التي أصبحت جاهزة لأن الزيت ينفصل ويطفو، لأن الزيت دائمًا ما يطفو، ولا يوجد أي قدر من اللبن أو الزبد، كل شيء بالزيت والثوم والطماطم والبصل. الطعام الذي يتم إعداده يوم الجمعة يمر كل يوم على الميكروويف.

تتجمع كل هذه الروائح في الفناء الداخلي. ألبرت لم يحلق ذقنه منذ أيام، ربما منذ يوم ذهابه لبيت جويل لإعداد واجب العلوم، وعندما عاد قام بحلق ذقنه والاستحمام بالليفة أيضًا. ألبرت جالس، يضع عينًا على كتب واجب عطلة نهاية الأسبوع والعين الأخرى على شرفة أرييل، فتى من عائلة أرجنتينية تعيش في العمارة المواجهة، وعندما يبدأ الحر، يخرج بسروال داخلي بينما يمسك بمروحية يدوية يابانية ويحلق إبطيه بينما ينظر في مرآة

مربعة. كأنه فتى يعيش حياة عنف في عصر آخر.

- لا اعتراض لدى على هذا، لكن اهتمامه البالغ بشعر جسده يعني أنه مخنث أو أنه يتوفر على وقت فراغ كبير.

هذا ما قاله أبوه ذات يوم بينما كانوا يتناولون الطعام، عندما علَّق ألبرت على ذلك الجار، وتساءل إن كان يسعى لشكل متناسق أو مثالي لشعر الإبطين. أخوه «يوك»، بحدته رغم سنواته التسع، وبراءته، سأل عن معنى «مخنث»، وسألت الأم إن كان البكالاه والبقوليات المحفوظة والأرنب بالشوكولاتة التي كانوا يتناولنها طيبة المذاق.

الجو حار، ونافذة أربيل فارغة وحبل الغسيل فارغ، وألبرت يفكر خلال لحظة في فتى في الفصل المجاور، اسمه سبستيان، ذارعاه رفيعان وأبيضان بشكل لا مثيل له، لكن إبطيه مشعران، أسودان ومشعثان.

- ألبرت، ماذا ستفعل اليوم؟

إنها الأم التي تصيح عليه بصوت أعلى من الحفار من موقعها في النافذة. يتحدث أبواه من الفراش: إن كان الولد يريد أن يغلق على نفسه الباب في الغرفة، فلابد أنه ليس شيئًا قبيحًا، وإنما لأنه يريد شيئًا من الخصوصية. يقول أبوه إن أمامه الأسبوع بالكامل، وإن ذهب للبيت الريفي من حين لآخر لن يموت، ولن يشعر «يوك» بالملل. وتقول أمه: وأنت ماذا ستفعل يا رفائيل؟ هل ستلعب في خصيتيك؟ الأم لا تهتم إن سمعها الجيران: لابد أنها تسمعهم أيضا طوال الوقت.

– لن أفعل أي شيء، سأخرج بعد ذلك مع هؤلاء – يصيح ألبرت أيضًا ولا يهمه أن يسمعوه.

– حاول ألا تعود متأخرًا! لنر إن كان يمكننا الجلوس معا لساعتين غدا قبل الذهاب للبيت الريفي.

بعد برهة، عندما يتوقف ضجيج الماكينات التي تهدم البيوت الرخيصة في ميدان «بورشوس»، يدخل ألبرت الحمام، يدعك إبطيه أمام المرآة، بينما ينثر الماء في الحمام.. تقول أمه إن المرايا تجعل البيوت أكبر. ينظر لنفسه، يمضي برهة هكذا، الوقت بلا نهاية، حتى وإن افتقد جويل قليلًا، تبدو له غريبةً ذكرى ذلك الفتى، الذي لم يعد فتى لأنه ميت، بينما ينظر لنفسه في المرآة عبر بقع الماء المتناثرة.

يقول يوك الذي فتح باب الحمام دون أن يطرق الباب، وهو أمر متأصل في العائلة:

–ماما، ألبرت ملأ المرآة ببقع المياه.

– كأنك لا تفعل هذا، يا بضين.

– ماما، ألبرت قال لي «يا بضين».

– يوك، لا تتدخل فيما لا يعنيك. ألبرت، أريد المرآة نظيفة، لأن «جراثيا» لن تأتي حتى الخميس القادم.

وانتهى الأمر. يذهب الطفل، الذي يرتدي البيجاما، لرؤية المسلسل الذي يعرضه التلفزيون في هذه الساعة. قبلة للأم وهبوط السلالم. أعضاء الشلة في ميدان «باريس» الآن. ألبرت

يحمل الأقراص في جيبه. ذلك الفتى الذي يُطلقون عليه "الشيخ" لا يمتلك الكثير من المال، لكن لا توجد طريقة لجعله يفتح فمه. ذلك الفتى، "الشيخ"، دائمًا ما يسير مع سبستيان. يبدو على وجه سبستيان أنه مرهق من التدخين، أنه مرَّ بكل شيء في الحياة، أنه يدخن المخدرات منذ سنوات وأنه خبير بالعالم، لكن من المؤكد أن قدميه رطبتان، وعندما يرتدي حذائه لابد أن شعورًا شبيهًا بالنعناعِ ينتابه. كثيرا ما يقترب منه ألبرت ويقول له «كيف حالك؟»، باحثًا عن فتح حوار معه، لكن يوجد شيء ما، كلما تبادلا بضعة كلمات، شعر أنه صغير، ضئيل، كأنه لا يعرف فجأة ماذا يقول أو بما يرد إن سأله سبستيان عن شيء هام.

لا يبدو أثر القرص على ألبرت، لا يبدو أثره على أي شخص إن لم **يشخلل** جيبه. كل شخص يمتلك الحق في أن يغيب عن الوعي من حين لآخر. يجب أن يكون المرء مؤهلا فقط لرؤية العالم والشوارع الممتلئة بأشياء جيدة، لطيفة. من لا يمتلك القدرة على الشعور بتناغم أرض فراغ، وطراوة طريق أسمنتي تحت الضباب، الثرثرة على دكة في الميدان أو قعقعة الأكواب على الطاولة، لا يعرف عما يتحدث.

بشكل عام، الزمن والمادة يسيران في طريقين مختلفين. عندما نجمع بينهما ونجعلهما يسيران معا، يصبح كل شيء أسرع، ويدخل في نظام آخر. نعم يا ألبرت. كل شيء قابل للتبرير. كل شيء متناغم.

5

في منتصف صباح يوم ما، في الراحة الأولى، أنت وسبستيان و"الشيخ" جالسون بجوار الباب ومعكم حجر وقطعة حديد لتوليد شرارة، كنتم جالسين على دكة حجرية أمام حوض به شجيرات دفلي، بتلك الخضرة الحادة، بعدما أمطرت بالأمس وحلقك متخثر، وهو ما يذكرك أنك عشت طوال حياتك في هذه المدينة.

عندما رن الجرس قلت «آووو» يا جاومه. كانت «آووو» هي طريقتك لجمع الشلة الصغيرة وإخبارها أين يجب أن تذهبوا. قال توفول «آووو»، وسبستيان، «أعتقد أنني لن أذهب هذه المرة». توفول، الذي كان قد نهض، ينظر لك لكي تعود في رأيك. «حسنا، إذن، لنذهب يا توفول». لم يتحرك سبستيان. بينما كنتم تتجهان لأماكن جلوسكما، كان ينظر للأرض، ويضرب بإحدى يديه على الحجر، كان مُعتادًا على البقاء بمفرده كاعتياده على الوجود معكما. أخذتما تصعدان السلالم، وعندما أصبحتما أمام القاعة، وسط الضجيج المحبوس خلف الجدران، تقول لتوفول «لتدخل أنت، سأذهب للتبول».

الرسومات البلهاء التي يقوم بها الطلاب داخل الحمام، تجلس فوق القاعدة الصفراء للحمام، تسمع انقطاع السير في الممر. لا تقلق بشأن ضيق توفول عندما يرى دخول مدرس الفلسفة الذي

يبدأ الحصة بينما لا تظهر.

تهبطُ حتى مدخل المبنى، قاعة المُدرسين مغلقة. حارسة البوابة، بعينيها على الصحيفة، تأتي بذات حركات الفزع كأمك أمام نشرة الأخبار. من مكانك في بهو المدخل ترى أن سبستيان لم يتحرك من مكانه: انتهى من التدخين، يجلس بساقيه مفرودتين، يهتز بشكل إيقاعي، ينظر من جانب لآخر. ينهض سبستيان ويسير ببطء، يعبر بجوار المبنى، حتى الباب الخلفي. تدخلون المدرسة من الباب الأمامي دائمًا، الباب الخلفي هو الذي يحمل إلى بداية الطريق الوردي. دائمًا ما يكون الباب الخلفي مفتوحًا. يمر سبستيان ببطء بين سيارات المُدرسين، وسط دستة من الشجيرات المهملة المليئة بأعقاب السجائر.

تختبئ خلف عمود الكانتين: مظلة مثبتة إلى الجدار وتحتها أربع موائد مشغولة بالجالسين بجوار النافذة الزجاجية. مدرسة التربية البدنية، بونستيا، بصافرتها في فمها، تقوم بتوجيه مجموعة من السيقان الطويلة والوجوه المليئة بالبثور للجري في دورات حول ملعب كرة القدم.

سبتسيان، الهادئ لكن المنتبه لكل شيء، يدخل الردهة عبر الباب الخلفي، يتقدم خطوتين وينظر هنا وهناك، يفتح باب صالة تغيير الملابس الخاصة بالأولاد، على اليسار. تراه بينما يفعل هذا، بينما يعتقد أنه لا يوجد من يراه. ذلك التأثر يُجمد رئتيك ، بسبب النظر له ومعرفة أنك تمتلك شيئا ما يخصه، ويأخذ

قلبك الصغير في النبض بقوة. تسللَ دون صوت. سبستيان من هذا النوع من الأولاد، مثل جاومه الذي يفعل الأشياء بدقة شديدة أيضا، الذين لا يتركون أي أثر أو علامة أو عَرق عندما يضعون أيديهم على مقبض باب.

كنتَ بالغ التوتر، لمتابعتك سبستيان الذي يتحرك دون خوف، كشخص يوشك على اكتشاف سر كبير، ولا تعرف كيف تتلقاه، كنت تمسك بعمود الكافيتريا، تنظر لأعلى، لقبة المبنى، ردهات الطوابق الثلاثة حيث لا يوجد أي طالب أو معلم، الكوة التي تبلغ أكثر من عشر أمتار طولًا، ينتابك الدوار، كنت تشعر أن الردهات المؤدية للفصول قد تتفتت في أي لحظة، هيكل المبنى يمكن أن ينهار مثل برج مصنوع من العصي، سيسقط السقف كاملًا، خلال دقيقتين أو ثلاث، كما يحدث في فيلم عندما تحترق ناطحة سحاب مرتفعة للغاية في نيويورك، وسترتطم القبة بالأرض وسيفتت البلاط، وفي أثناء ذلك، داخل غرفة تغيير ملابس الأولاد، يفعل سبستيان ما يريد، لا يشعر بالخوف، سيموت الجميع باستثنائكما. توفول سيموت أيضا.

لا يمكنك السيطرة على نفسك تقريبًا، تسير في خطوات قصيرة، كمن يمشي في الوحل، وذهبت إلى غرفة تغيير الملابس. تتحرك مثل مخبر سري. كان هناك احتمال بأن يراك أحد المعلمين ويسألك عما تفعل هناك في تلك الساعة. تفتح الباب ببطء وبعزم. كنت تعتقد أنك ستجد سبستيان عاريًا، على وشك الدخول في الدُّش، أو راكعًا أمام الدكك الخشبية بينما يتشمم

البنطلونات التي تركها الأولاد كيفما اتفق، أو يحمل الفانلات التي تحمل شعارات «هارد روك». عندما أدرت مقبض الباب حدث تغيير في التخطيط.

كان سبستيان واقفًا وهادئًا، وبحركات سريعة كمن يعرف ما يفعل جيدًا، كان يمسك بالبنطلونات المُعلقة أو المطوية، يضع يده داخلها ويُخرج المحافظ المصنوعة من البلاستيك أو البوليستر، الكثير منها مُعلقة في سلاسل فقدت بريقها، وبحركة سريعة يفتحها، يأخذ أوراق فئة خمسة أوعشرة يورو، يضعها في جيبه، ثم يترك المحافظ في البنطلونات كما كانت.

أنت، يا من كنت ترغب في أن تكون فتى طيبًا، عندما تراه شريرًا ممعنا في شره، تبدأ في ملاحظة أن كل نقطة دم في قلبك تهبط إلى الزر السفلي في ملابسك الغالية. كنتَ تحتَّك بالباب، وكنت أكثر تصلبًا من حافته. كنت تخترق خصوصية سبستيان. كنت تخترق سريته. اكتشفت سبستيان كما كنت تتخيله: شخص يكافح للبقاء على قيد الحياة. كان البلاط مستويًا، لم يرتفع. لم تنهر الجدران. لم يكن هناك وجود للنار أو الزلازل. يمكن لباب غرفة الأولاد أن يُفتح في أي لحظة.

خبطت الباب بقدمك رغمًا عنك وصدر صوت مكتوم. رفع سبستيان رأسه، رآك ونظر لك بعنف. داخل عينيه الشبيهتين بعيني قط، وفمه المغلق واللسان المرتكن على أحد جانبي الأضراس، رأيت حضارة كاملة من المذنبين والأبرياء، من

المُعاقبين والجلادين. بإشارة من يده، إشارة سريعة وطبيعية أيضًا مثل قيامه بوضع الأوراق المالية في جيبه، أمرك بالخروج. لم يكن هناك أي شخص في الممر. بعد عشرة ثواني كنتما في الفناء الخلفي. كنتما تسمعان أصوات التلاميذ في حصة التربية البدنية، لكنهم لم يكونوا يرونكما. لم يكن سبستيان متوترًا. كان سبستيان ينظر لك كأنه يريد إخافتك يا جاومه، كأنك يجب أن تُمسك بمدية وتجرح وجهه، وتمر بالمدية على وجهه، على فمه، وعلى جيبه الممتلئ بالأوراق المالية.

-ماذا تفعل يا جاومه؟ هل جننت؟

يقف أمامك، وكأنك تراه عاريًا. تشعر أنك كجزار يوشك على ذبح حيوان في المذبح، كالدجاجة التي يجب أن تذهب لترقد على البيض، مثل الأخ الذي يفاجئ شقيقه الصغير ممسكًا بمجلة وبنطلونه ساقط على ركبتيه. فكَّرت أن سبستيان سيتحول إلى ذئب إن ظهر قمر مكتمل خلف بيوت حي «سون باريرا»: سيتمدد وجهه، ستظهر أنياب قاتلة في فمه، وسيمزق عنقك ووجهك بمخالبه.

-هل أنت مجنون أم ماذا يا جاومه؟ هل تتجسس علي؟

الأولاد يجرون من مكان لآخر في حصة التربية البدنية، والأوراق المالية في جيب سبستيان. لم تكن تعتقد أنهم سيتحدثون عن هذا فيما بينهم، ومن المؤكد أن أحدهم سيذهب لإبلاغ المدير. كنت تعتقد أن سبستيان محظوظ، أنه لا يجب أن يقلق، على

الرغم من أنك قد رأيته، فقد اكتشفت في نفسك، في التو، عقلًا إجرامًا فائقًا، ذكيًا، شاعريًا، وبلا أي وازع من ضمير أو أخلاق. قررت هذا فجأة، أفكارك تأتي مشرقة، متألقة، فجأة: أنت وسبستيان ستتشاركان، ستعملان معا. وإن عرف أي شخص بهذا، ستكون أنت وسبستيان قد فررتما، ستكونان بعيدًا، فيما وراء الطريق الوردي، تتقاسمان الغنيمة. وستتحملَّان المسؤولية معا إن كان هناك من يجب أن يتحملَّها. اثنان أقوى من السلطة دائمًا. عندما يكون شخصان متحدين، يمكنهما مواجهة حشد غاضب ممسك بمشاعل متقدة. أصبح واضحًا لك أنه بدءًا من تلك اللحظة، ستتحول أنت وسبستيان إلى شخصين فارين، شخصين ماهرين في البقاء على قيد الحياة، شخصين خبرتهما كبيرة، لا يمكن هزيمتهما، لا يمكن الإمساك بهما، لا يمكن توقع أفعالهما، لا يمكن التعرف عليهما. في تلك اللحظة أدركت أن مصيرك هو الإجرام، على أن يكون تكريس نفسك للجريمة كاملًا، وليس من حين لآخر، لا يمكن للمرء أن يعمل بشكل متقطع في الجريمة المُنظمة.

كنت تعرف أن سبستيان لم يدخل للسرقة في غرفة تغيير الملابس من أجل المتعة، مثلك، كما فعلت في ذلك اليوم الذي لم يمر عليه وقت طويل، في حمامات سباحة سانت يورينث. خرجت من حمام السباحة، وفي غرفة تغيير الملابس رأيت حافظة تطل من جيب بنطلون مُعلَّق كيفما اتفق. كنت قد انتهيت من ارتداء ملابسك وكان هناك رجل يستحم. كنت قد رأيته بينما كان مرتديًا

المايوه، كان كبير الجثة مشعرًا، له وجه بولدوج إسباني. ذكَّرك برجل أصلع ذي شارب كان يأخذك في طفولتك وذات يوم عرضت عليه مزيل العرق الخاص بك، وقال لك إنك طفل قذر وأشياء أخرى كثيرة لم تخرج من فمك مُطلقًا. الرجل، الآخر، كان يستحم، وكان يستمتع منذ وقت طويل تحت الماء الساخن والبخار المتصاعد من البلاط. اقتربت من المحفظة، أمسكتها: كان بداخلها ثلاثة أوراق من فئة المائة. قبل أن تعيدها للجيب، توقفَّت أمام شارة، بدت لك خاصة بالحرس المدني. «فتى في السابعة عشر يسرق محفظة أحد رجال الحرس المدني...»، أمك ستشد شعرها، «وماذا يجب أن تفعل بمحفظة أحد رجال الحرس المدني...؟». خرجت من غرفة تغيير الملابس بالأوراق المالية دون الشارة. اختبأتَ في مدرجات ملعب كرة القدم، بينما تربح الوقت لكي لا يسجل النظام الإلكتروني خروجك من المبنى بينما يستحم رجل الحرس المدني، وتندم على أنك لم تأخذ الشارة. عندما يعمل شخص ما في مكافحة الجريمة، يمكن للشارة أن تفتح له أبوابًا كثيرة.

الجريمة هي سرديتك الخاصة يا جاومه. لكنك ستدرك في ذلك اليوم أن سبستيان قد دخل ليسرق لأنه فقير. أعطاك هذا المزيد من العزم. لم تكن بحاجة لمعرفة كل شيء عنه. كنت تخلقه وتعدِّل فيه: كنتَ تكتبه. لقد كتبت يا جاومه إنك وسبستيان يمكن أن تكونا الثنائي الحديث في السرقة والهروب من المدرسة. أحدكما بسبب الحاجة والآخر بسبب الهواية. توازن ممتاز. وإن قررتما ذات يوم أن تتجاوزا الأهداف الصغيرة ودخلتما بيتًا في

صباح يوم ما، لن تكون مثل القاتل القصير الذي قتل عائلة كلاتر، العائلة التي ماتت بدم بارد في كتاب كابوته. لن تكون مثله، حيث ذهب برغبة في فض بكارة طفلة العائلة. ستفكر دائمًا في فتى عائلة كلاتر، الذي مات بمعصميه مقيدين خلف ظهره، بمؤخرته مكشوفة، عارية.

- هل أتيت لتراني يا جاومه؟ هل تتبعني؟

بشكل غير معهود فيك، لم تسرع لاختراع عذر قابل للتصديق، لتوحي بانطباع شخص غير قلق ويتمتع بكاريزما. تبتسم، كنت هادئًا، كنت متوترًا، منفعلًا.

- كنت أود معرفة ما تفعل واتبعتك.

- ها أنت تعرف. ماذا ستفعل؟ تكلم، هل ستفضحني؟

- لا. هل تسرق لأنك بحاجة للمال؟

- أسرق لإزجاء الوقت، إن لم يكن هذا يضايقك.

يسرق لإزجاء الوقت. لأول مرة ينظر لك سبستيان متوترًا، غريبًا، كأن مصيره بين يديك. ألا توجد طريقة أفضل من استخدام سره من أجل الاقتراب منه، لكن تكونا اثنين بالفعل؟

- سأعطيك النصف، إن لم تقل أي شيء.

- ليس المال هو ما أريد.

- ماذا تريد إذن؟

– سنتحدث عن هذا لاحقًا. يمكننا الالتقاء هنا، في مدخل الطريق الوردي، بعد الثامنة.

ظل سبستيان صامتًا وهز كتفيه. عندما كان صامتًا، بدا لك فتى يطيع كل ما يؤمر به طوال حياته. وكان هناك في الثامنة تمامًا. كنت قد ذهبت بضعة مرات في الطريق الوردي، غالبًا بمفردك. ذات مرة حملت ميكيل أنجيل هناك. كنت قد التقيته بينما يطوف بالشوراع خلف المدرسة. اتبعك ولم يتحدث مُطلقًا طوال الوقت بينما كان مستندًا على الجدار وكنتَ تمسك بخصره. بعد بضعة أيام مرَّ أمامك. تظاهرتَ أنك لم تنتبه له. أنتَ عقل سريع، يقظ وفريد. لم يكن هناك أي شخص يريد ميكيل أنجيل.

في نهاية الطريق الوردي توجد أرض خلاء مليئة بالأعشاب وأكوام التراب حيث يتعلم أطفال المدينة كيف يتقافزون بالدراجة. يوجد هيكل مبنى تحت الإنشاء منذ سنوات، فلا يوجد أي شخص يعمل هناك منذ سنوات. يوجد خلاط خرسانة صدئ ومليء بالتراب بالقرب من بئر قذر، يُحيط به سور من الطوب والأسلاك الشائكة، وتصدر عنه رائحة كريهة لكلب ميت ومياه خضراء.

قلت لسبستيان إنك تحب الذهاب هناك، قلت له إنك تحب التواجد معه كثيرًا. قال لك إن المكان مُعبق برائحة البول والغائط الجاف. قلت له إن الصيف قريب ويمكنكما السير هناك طوال الليل. قلت له إنك لن تقول أي شيء عما رأيت في الصباح، وإن أطاعك لن

تقول أي شيء مُطلقًا. قال لك إنه رهن إشارتك. كان فتى مطيعًا، يعوي من حين لآخر ويؤلم. كان رقيقًا، نظيفًا، خبيرًا. لم تكن رائحته كطفل، أو صابون أو عرق الإبط. كان تلقائيًا، وطبيعيًا للغاية، لدرجة أنك شعرت أنك قذر ومهمل. مع كل دفعة كنت تعرف أنك تثيره، وكان يتركك تثيره. وصلت للسعادة مرتين.

بعدما انتهيتما، جلستما على صخرة، لم تكن راغبًا في الرحيل. قبَّلته قُبلة وتركك تُقبِّله. أحطت ظهره بذراعك وتركك تحيط ظهره بذراعك. أخذت تشم أنفاسه وتركك تشم أنفاسه.

قال:

–نبدو كأبلهين.

سمعت هذا وابتهجت.

– لقد أصبحتُ أبلها بالفعل. وأنت؟

–لا، أنا لا. – وشعرت أنك وحيد تمامًا كأنك تحيط ليلة شتوية بذراعيك.

بعد ذلك أصبحتما، أنت وسبستيان، صديقين لا ينفصلان، صديقان في علاقة من ثلاثة، لأن توفول كان يرافقكما دائمًا. إن قلت نذهب إلى هنا، تذهبون إلى هنا، وإن قلت إلى هناك، تذهبون إلى هناك. بجواره كنت أنت نفسك، جاومه، العاقل البالغ، خاصة يوم حكى لك حياته في ميدان «باريس»، عن إقامته في مركز

الأحداث، عن أمه التي ماتت عندما كان صغيرًا، عن أبيه الذي كان يتاجر في المخدرات في أحد مقاهي المدينة ودخل السجن، عن أخيه، الذي قتل أبيه عندما خرج من السجن. أعطاك حياته كأنما يعطيك قميصا يعجبك، وكان قد ارتداه خلال يومين أو ثلاثة متواصلة.

لكنك تشعر الآن بالوحدة، بالنأي، بالضآلة. تشعر أنه كان يوافقك في الرأي أحيانًا لكي لا يأمرك بالصمت، وبينما كنت تتكلم كان يتذرع بالصمت بينما يفكر في أمر آخر. كنت تشعر أنه لم يكن يفكر فيك عندما لا يكون معك، كأنما تكون مُهمًا عندما تكونان في الطريق الوردي فقط، بينما تمر الدقائق، والسيارات تعبر الطريق السريع.

ذات يوم كنتم جالسين بجوار الباب الخلفي للمدرسة بينما تنظرون إلى تجويف سقف الطريق الوردي، وقال سبستيان:

– يا توفول، ألا ترى أن شعر جاومه يشبه أوراق نبات البسلَّة؟ بدءًا من الآن سنُطلق عليه "بسلَّة".

شعرت بوخزة في الدم وشعرت أن ما يجري في عروقك وحل جليدي. كيف يجرؤ سبستيان على أن يقول لك شيئًا كهذا أمام الجميع؟ نظرت حولك: لم يكن هناك سوى ثلاثتكم، لم يسمعه أي شخص آخر. أنت لست مشهورًا في المدرسة، لست اجتماعيًا ومعروفًا مثل ألبرت آبات، أو جابريل جونكوسا أو ماريا أنجيلس ريبوي، التي كان أبوها كاتبًا. أنت لا تذهب سوى إلى بار «أشبيلية»

مع "الشيخ" أو إلى الطريق الوردي مع سبستيان. أدرت رأسك لترى إن كان هناك أي شخص، ولم تر أحدًا. انفجر توفول في الضحك. وبدأت تفكر كيف ترد الإهانة لهذا الأحمق الخائن.

بعد ضحكات سبستيان وتوفول، اللذان بدوا كصديقين طوال الحياة، بدأت تشعر بوخز في القفا. بدا وكأنما توفول قد أصبح فجأة فتى عاديًا، بأفكار وأفعال فتى يخرج مع أصدقائه ويشارك في عالمهم المشترك. كنت تهرش، بينما تشعر بالإهانة، وكلاهما ينظران لك بينما يضحكان.

في الأيام الأولى كنت تبكي عندما تصل للمدرسة ويقول لك سبستيان «صباح الخير يا "بسلَّة"». بعد ذلك جاء دور توفول الذي لم يكن يجرؤ في البداية، لكن عندما رأى سبستيان غير متردد، أصبح يقول لك بصوت خفيض «يا "بسلَّة"....». وبعد وقت قصير أصبح ألبرت آبات وشلته، بوثا وأرناوا، يحيونك قائلين «سلام يا "بسلَّة"». وانتشر الأمر بسرعة كوباء من الجراد. وخلال بضعة أيام كنت نافد الصبر لأن الجميع يخاطبك باسم "بسلَّة"، بتلك البهجة التلقائية، كأنما عثروا على شخصية تناسبك، هوية جمعية. وحرفيًا، أوشكت على تهشيم رأس جويل، الفتى الذي مات، عندما قال لك «يا "بسلَّة"، هل يثقل عليك العمل؟ ألهذا أصبحوا يطلقون عليك "بسلَّة"؟»

– لا تغضب يا رجل. إنها مزحة، والكل يحبها – هكذا قال لك سبستيان عندما كنتما على انفراد، وقلت له إنك غير سعيد على

الإطلاق بهذا اللقب السيئ. لقب سيء غير مفيد في الإعلان عن سجل جرائمي مبهر، مثل كلايد، سيرايونجا، وأنخيل فيرناندث فرانكو، الذي كان مجرما وتحول إلى ممثل شهير، وبيلي الطفل، وبوب.

بعد أسبوعين، عندما لم يعد اسمك هو جاومه لأن اسمك الجديد أصبح كبقعة الزيت، خطر على بالك أن تقول إن توفول يشبه شيخًا عربيًا. لم تُحضِّر لهذا، خطر على بالك فجأة. كنت تفكر منذ أيام في إنك يجب أن توازن الأمور، فلا يمكن أن تتلقى فقط. في اليوم السابق، بينما كان أبوك وأمك جالسين أمام نشرة الأخبار، كان هناك خبرًا عن شيخًا عربيًا من الكويت. كانت عينا الشيخ المعني شبه مغمضتين، كانت رأسه مرتخية إلى الأمام، يداه معقودتان مثل رجل دين، وبدا لك مملًا ومألوفًا. منذ تلك اللحظة أصبح توفول هو "الشيخ". فتح سبستيان عينيه وفمه وكشف عن بريق أسنانه وجمال لثته، طرقع أصابعه وأصبح الأمر نهائيًا. تنفست الصعداء. وأدركت بوضوح أيضا أن سبستيان لن يحمل لقبًا على الإطلاق، لأنك وتوفول شيء، وهو شيء آخر.

تلقى الجميع في المدرسة تغيير اسم «الشيخ» برضا. هزَّ الشيخ كتفيه. هزة كتفي الشيخ تعني أمورًا كثيرة. تعني أنه يمتلك أفكارًا أيضًا، رغم أنه لم يكشف عنها بعد، وأنه لا يكترث بأي شيء. ذلك اليوم أيضا كان يعني أنه يفضل لقب الشيخ أكثر من لقب "بسلَّة".

وفكَّرت: لماذا يمتلك سبستيان السلطة التي كنت ترغب في امتلاكها، والتي كنت تعتقد أنها موجودة في الصورة التي كنت تراها لنفسك؟ فكرت في هذا بشكل جاد يا جاومه. لدرجة أنك فكرت ذات يوم في أن تُطلق عليه لقب «الرجل الذئب»، خاصة لأنه هكذا وأنت تعرف هذا، لكن أيضا لكي يكون مساويًا لك، لكي يكون لكل منكما لقب سيء (حتى وإن كان اسمك اسم صنف خضروات)، اسم إجرامي، تشتهران به في كل مكان. لكن سبستيان لم يعجب بهذا، ولم يُطلق عليه. والآن يقول لك أبوك إن نشرة الإخبار قد انتهت منذ فترة، وإنه سيخرج للتمشية لبعض الوقت، وإن أمك ستصفف شعرها.

6

نعم. ألبرت فتى طيب يبدو على وجهه الرضا دائمًا. يبدو أنه يقول ذات الكلمات دائمًا، حذر، ذكي، يبدو كالزعيم. يبدو أن أنفه تشم ذات الأشياء دائمًا، وعيناه تريان ذات الوجوه دائمًا: الأب، الأم، علب الطعام ويوك، والمُعلمين، وبوثا وأرناو ومارك وكارلا وكلارا (التوأم المستحيل)، اللتان تستندان بمؤخرتيهما على ظهور المقاعد في ميدان «باريس».

ميدان «باريس» ساحة تمثل العالم: توجد فيها بيوت ومقر للحي وبار ومكتبة ومحل جزارة وفرع بنك ومحل خردوات وشارعان يصعدان لأعلى وشارعان منحدران لأسفل. في الصيف، أثناء النهار، لا يمكن الجلوس في الميدان لأن الشمس تشوي كل شيء، بما فيها مؤخرات الأرانب البرية. عندما تُمطر لا يوجد ملاذ، لأن الأشجار مؤلفة من نخيل وأشجار موز نحيفة. أما عن الجليد، فهو لا يسقط مُطلقًا. لكن الدكك تصبح رطبة وخشنة في الشتاء. شهر مايو هو الوقت المثالي للجلوس هناك. ميدان باريس مكان مناسب للجلوس. كأنه صالة جلوس الحي. أو كأنه فناء داخلي حيث يمر الجميع.

بينما يجلسون على دكة في جانب، وكلارا وكارلا في جانب آخر، يأخذ الفتيان في التعليق على أمور، يتحدثون، يقتلون

الملل بأمور مكررة، أفكار وأشياء تبدو كالأفكار. بين موضوع حوار وآخر، يأتون بتعبيرات على وجوههم ويقفون لأخذ صور تضيع في التليفون المحمول أو في الشبكة. عندما يكون الجو لطيفًا، يصبح قضاء الوقت جيدًا في ميدان باريس وفي الأراضي الفراغ بجوار الطريق السريعة وفي بار «لويرنا»، الذي توجد به مائدة بلياردو وأضواء ديسكو في القبو، ولا يهتم مالكه بعمر الزبائن طالما دفعوا طلباتهم. مالك «لويرنا» ليس مثل مالكة بار «أشبيلية» التي لا تهتم إن دفعوا أم لا. ألبرت لم يدخل هناك، في بار «أشبيلية» سوى مرة واحدة، وفي ذلك اليوم كان يرتدي بنطلونًا قصيرًا، وشعر بالحرج. إن كان شخص ما قد سأله، لكان قد قال إنه لا يعرف لماذا ذهب بمفرده في ذلك اليوم لتناول مياه غازية بمذاق البرتقال، لكن بما أن أحدًا لم يره، احتفظ لنفسه بهذا الأمر لأنه كان يعرف أن سبستيان يذهب هناك من حين لآخر مع ذلك الفتى الذي يعطيهم أقراصًا ومع "بسلَّة"، الذي يسير خلفه دائمًا. عندما خرج من بار «أشبيلية» في ذلك اليوم، رأى أرييل يمر أمامه. أرييل هو فتى الإبط في العمارة المقابلة. ولا يعرف أرييل أن ألبرت يعرفه، وأنه ينظر له من حين لآخر عبر منظار مُكبر يُستخدم في الأوبرا، وكان لجدته. كان ألبرت قد أخذه من أحد الأدراج في الصالة الصغيرة المجاورة للمطبخ. كانت الجدة قد ماتت ويذهب كل بضعة أيام ليقضي القيلولة هناك. كانت المفاتيح في درج بجوار مرآة المدخل. توجد أشياء كثيرة لم يرها بعد لأنها داخل الأدراج.

– كم الساعة؟

– ساعة تناول الطعام، لمن لم يتناوله بعد.

– يا ألبرت، ألا تشعر بالجوع؟ ألن تأكل أي شيء اليوم؟

– أنا أريد هامبورجر من «ماستر».

– نعم يا كارلا، لابد أنك تستعينين بشيء ما لتكوين الشحوم في فخديك.

– يا ابن العاهرة، يا ذي وجه الفأر. لتلعق فرجي، فالجمال جمال داخلي وليس خارجي.

– إن كان ما بالداخل كبيرًا كما يوجد بالخارج، فلابد أنك تتمتعين بقدر كبير من الجمال.

– هذا يكفي يا بوثا.

– نعم يا بوثا، لتصمت وتسد فمك.

بينما كان كل منهم يسخر من الآخر، من حبوب الشباب وأفكار مارك، من كتفي أرناو العريضين للغاية، من شراسة كلارا، من أسنان بوثا الشبيهة بأسنان الفأر –يُطلقون عليه لقب بوثا لأنهم يخاطبونه به في المدرسة–، من الدهون العارقة لكارلا والوقفة المثقفة لألبرت، يقضون الوقت، وكأننا نقول أيضًا أن الوقت يمر أمامهم.

– ماذا نفعل اليوم؟

– كان يجب أن أكون في البيت الآن. سنذهب لزيارة جدي في فيلافرانكا غدا.

– على الأقل يجب أن تستحمي وتصففي شعرك، لنر إن كان فتى في العشرين يرغب في الزواج منك.

– سأدعو الجميع إلا أنت أيها الحقير.

وسط صخب وحديث الأصدقاء، يبدو الضجر على حركات ألبرت، كما يحدث عندما يشاهد ذات المسلسل عصر كل يوم ويقومون بتكرار الحلقات. يفكر ألبرت أن هذه الحوارات المضحكة، بسبب مللها، تشبه علب الطعام في خزانة البيت. يفكر في هذا في هذه اللحظة. عندما ينتبه إلى أنه يفكر في هذا –وانتبه لهذا بضعة مرات فيما سبق–، يقرر عدم قول هذا بصوت عال، لأن الآخرين ينظرون له بأفواه فاغرة، بوثا يتظاهر بالاهتمام، وهذا يشبه إعطاء زهور الأقحوان للخنازير، أليس كذلك؟ هل أنت يميني إن كنت تفكر هكذا؟ لكن الفكرة تتواصل: في هذه الساعة، كما في كل يوم جمعة، لابد أن علب الطعام فوق رخام المطبخ، مفتوحة لكي تبرد، وبكرة الملصقات جاهزة لوضع اسم كل صنف. لابد أن الأم تنظر لصف الآنية الزجاجية، لأن البلاستيك يسبب السرطان، لكن الميكروويف لا، تقول هذا فخورة بعملها، مؤهلة للذهاب للاستحمام، تنتظر وصول الأب، وكأنه بوفيه طعام في عطلة نهاية الأسبوع، يختار ما يريد للعشاء. ألبرت لا يدعو أي شخص لتناول الطعام لأنه يشعر بالخجل من النظام الصارم لأمه. مثل كل يوم

جمعة، برؤوس الفتيان في الشلة مرهقة وساخنة بعد الدراسة طوال الأسبوع، ينتظرون أن تبرد مثل العلب الزجاجية المختلفة، بألوان ومذاقات مختلفة. يشعر ألبرت في ميدان «باريس» بذات شعوره في بعض أيام الأحد عندما يذهب للبيت الريفي، أو يوم سبت ما عندما يذهبون لتناول الطعام في قرية ما عندما يرحلون عن بيت العمة ترو، هو وأبوه وأمه ويوك ، ويجلسون في المطعم كما يجلسون إلى مائدة المطبخ. العائلة، المائدة، الشلة، الميدان، المدرسة. يفكر: ماذا يوجد بعد هذا؟ أحيانا يقول ألبرت لنفسه إن الزمن لن يبدأ بالنسبة له حتى تصبح تلك العصاري في ميدان باريس كشيء يراه من بعيد. والآن يفكر، كأنها فكرة كالبرق، أن زمنه مستمر لكن زمن جويل قد انتهى. جويل ترك كل شيء.

– كم أنت محظوظ يا ألبرت لأن أباك وأمك يسافران في عطلة نهاية كل أسبوع.

– نعم، هذا حقيقي، أمي تضع أذنها معي ليلًا ونهارًا.

– يمكننا الخروج اليوم، لقد قلت إنني سأنام في بيت كلارا.

– ماذا تقولين؟ أنا أيضا قلتُ إنني سأنام في بيتك. بوثا، ألا يمكنك البقاء لبعض الوقت دون أن تلف سيجارة ماريجوانا؟

– عندما أراك أشعر بالرغبة في التدخين. تجعلينني أشعر برغبة كبيرة في لمسك، لدرجة أنني يمكن أن ألفك في ورقة وأدخنك بالكامل.

– نعم فأنت تتشوق لهذا يا تيس – هكذا قالت كارلا، التي تشعر بالغيرة لأن بوثا يغازل كلارا ولا يغازلها. ولكي لا تعترف بالحقيقة، تتظاهر كارلا بأن قول صديقتها إنها يجب أن تذهب للمذاكرة يعني أنها ذاهبة مع بوثا، أيضا بحجة مساعدته في التعرف على الأعضاء، ويتضجعان كالأرانب في غرفته في أيام غير متواصلة، بطريقة وحشية إلى حد ما، بينما يشعران تقريبًا بشيء من الحب، كسر لا يعرفه الأصدقاء. بينما مهبل كلارا وحمامة بوثا يتبادلان المتعة بينما يحتلك كل منهما بالآخر، تتناول كارلا الفستق والفول السوداني وتتساءل إن كان يجب أن تبكي لأنه لا يوجد أي فحل ينظر لها، ولأن بوثا تحديدا يبحث عنها من حين لآخر.

– في الحقيقة يمكنك عقد حفل ذات يوم.

– تعني حفلًا دون أن تخبر أباك وأمك؟

– بالطبع يا غبي. إن أخبرتهما سيفسدان الحفل.

هذا حقيقي: فجأة يتخيل ألبرت أمه بينما تقضي ساعات في يوم جمعة لتعد له علب سندوتشات اللانشون، وسندوتشات صغيرة، وكفتة بالصلصة وكعكعات، وتخبره متى يجب أن يُخرج كل شيء منها من الفريزر، بينما يقول له أبيه، بينما يقف بجوار باب المطبخ «يا ألبرت، أنت تعرف أنني لا أريد خمورًا أو مخدرات في هذا البيت».

– ربما يمكننا إقامة الحفل.

– لن نحطم لك البيت.

– وكلارا وكارلا ستذهبان في اليوم التالي للتنظيف.

– أمك عاهرة.

– وأنت ابنة لسبعة أباء.

– وأنت ذبابة طنانة يا بوثا.

– إن توقفتما يمكننا التفكير ماذا يمكننا أن نفعل.

– أرناو، لا تكن مملًا.

– ماذا يوجد اليوم؟

يفكر ألبرت «ماذا يعني بماذا يوجد اليوم؟. أصبح هذا الممل لا يطاق. إنه يمتلك الشخصية لكي ينهض وينظر لأرناو ويقول له إن هناك العصب الوحيد الذي يعمل بأقصى سرعة، أو بسرعة متوسطة، التي تُسمع دقاتها «تيك- تيك» عندما ترتطم بجدران الجمجمة. ويود أن يكون تعليميًا أيضا، ويشرح لأرناو والرفاق أن هناك أشجار وأسفلت، وأن السيارات تسبب التلوث، وأن هناك أناسًا يعيشون في هذا المكان، وأن مطعم (ماستير) وبار لويرنا والدكك المتقشرة وأحجار الشارع ذات الحواف المكسورة ومؤخراتهم الملولة الجالسة على الدكك المتقشرة التي لن تغيرها البلدية حتى تتم إعادة تجديد الحي، حتى يتم هدم كل البيوت الرخيصة ويبنون عمارات بيضاء متشابهة، قبيحة حداثية، لكي تمتلئ بأناس يموتون من الملل، عرض كبير، بيوت للنوم على

مبعدة خمس دقائق من سلسلة الجبال، منطقة سكنية راقية. ألبرت رجل ذئب دون ذئب أو قمر.

- ماذا تعني بماذا يوجد؟ يوجد ما نراه بأعيننا. ما يهم هو ما سنفعل. ما سنبني اليوم؟

- ها هو الفيلسوف. إنها طريقة للكلام.

- طريقة الكلام هي طريقة للنظر. - هذا ما قرأه ألبرت أول أمس في مجلة لأبيه، ويشعر الآن بسعادة غامرة لأنه قال هذه الجملة. تناسب الموقف تمامًا.

- ماذا نمتلك من المال؟ هل يوجد ما يكفي لكي نذهب إلى (24 أوراس)؟

- هناك يوجد البائع الأجنبي الذي يطلب بطاقات الهوية، أليس كذلك؟

- ليدخل أرناو هناك. ألم تبلغ الثامنة عشر هذا العام؟

- نعم، لكن بهذا الكتف وهذا الوجه الطفولي الأبيض، أعتقد أنهم سيبيعون له علبة عصير.

- ليذهب بوثا -هكذا قال مارك. بوثا يمتلك لحية كثيفة وكاملة، وذارعين وساقين مشعرة أكثر من كل الشلة.

- روم. هل نشتري روم؟

كلارا وبوثا هما الوحيدان اللذان يشربان من الزجاجة مباشرة

عندما يشترك الستة في شراءها. الآخرون يتناولون بضع رشفات فقط. ألبرت تذوق الويسكي والروم والجين والفيرموت، وهو المشروب الوحيد الذي يتناوله بغزارة لكن بعد ثلاثة أو أربعة أكواب يشعر بالدوار ويتقيأ. قال له أبوه إنه لو خرج وشرب أكثر من اللازم سيعود إلى البيت بعدما يكون قد فعل ما عليه. لم يفهم معني هذه الكلمات عندما قالها لأول مرة.

عندما يعود بوثا وكلارا من دكان (24 أوراس)، تكون كارلا قد شعرت بألم في ظهرها لكثرة ما استدارات وانحنت لترى إن كانا عائدين، وتمسح بقايا المايونيز المتساقط من الهامبرجر بعصبية. وعندما يصلان، يأكل بوثا الهامبرجر في قضمتين، وللتنويع يقترح الذهاب إلى بار «لويرنا». واختفى ثلث الزجاجة الملفوفة في الورق. ما زال هناك أناس في هذه المدينة، مثل بائع محل (24 أوراس)، يتساءلون عم يفعل فتى وفتاة في الثامنة عشر بزجاجة روم رخيص سعة ثلاثة أرباع لتر. الهواء يبرد بسرعة، والليل يدعوهم للرحيل.

7

بمفردك في البيت. هكذا ببساطة: ذهب أبواك لتناول العشاء مع أصدقائهما وأنت بمفردك في البيت. ويمر الوقت. ولديك هاجس وحيد يا جاومه بعدما دخنت ثلاثة سجائر ماريجوانا، الواحدة تلو الأخرى، لقضاء الوقت. سرقت العشب من الجيران، من سطح الجيران، جيران البيت المجاور، حيث يمكنك القفز من سطح لآخر. لديهم أربعة نبتات رائعة. عندما تصعد للسطح للعزف على الجيتار أو للنظر لما يحدث في الشارع، عندما تصعد لتتخلص من همومك، تنظر للنبتات الأربعة الرائعة.

في الليلة السابقة صعدت لتقطع منها أوراقًا غضة وفروعًا. قرأت في رواية لوليام بروزو إن الأوراق، إن كانت خضراء، يجب أن تنضج على البخار وبعد ذلك توضع في الفرن. ربما تكون قد أفرطت، لأنك قطفت ما يقرب من عشرين ورقة وعشر فروع. يجب أن تفكر في احتمالية شكهم في أنك اللص.

هذا مُحتمل، لكنك لا تكترث لهذا. لا يعرف أي منكم الآخر فعليًا. أبوك وأمك يصعدان للسطح، يريان هذه النبتات ويُظهران الاشمئزاز ثم ينظران للجانب الآخر. تفترض أن الجيران لن يطرقوا الباب ثم يقولون «ابنكم يسرق منا الماريجوانا، ماذا ستفعلان؟». بالإضافة لهذا، لن يصدقهما أبواك. حتى وإن أمسكا

بك بالماريجوانا في يدك، إن قلت لهما إنك لم تسرقها سيصدقانك.

الجيران أربعة: رجل وامرأة وابنان؛ ولد وبنت. البنت طفلة، والولد مراهق، ولحسن الحظ فهو مراهق للغاية. يسير منحنيًا كأنما لمسته اليد الإلهية لكنه فظ اللسان دائمًا، كأنه ناقم على الحياة ويطالبه الجميع بالتعقل، كأن الحياة تدين له بأشياء كثيرة لمجرد أنها جعلته يعيش في العالم.

تقنيا أنت أيضا مراهق، لأنك في السابعة عشر عامًا، لكن عندما تنظر في المرآة لا يبدو لك هذا. لابد أن هذا الفتى لا يتجاوز الرابعة عشر بحد أقصى يا جاومه. لا ترى المرأة كثيرًا. لا يعيشون بجواركم منذ وقت طويل، لكنك تسمعها كثيرًا: صوت حاد لاذع. لابد أن النبتات تخص الأب. يبدو شخصًا متخصصا في العلاج بالأعشاب أو العلاج بالمنتجات الطبيعية أو شيء شبيه، وجهه ضجر، حاد، مثل كل الكبار. ذات يوم قال لك «صباح الخير» ورددت عليه «صباح الخير».

أحيانا تفكر فيهم يا جاومه كأنهم آل كلاتر، وشخص ما، أنت نفسك، أنت، أو أنت وسبستيان، خطران، تتفاديان الأخطار، تدخلان من باب الحظيرة وتقتلان الأربعة. خاصة الابن المراهق، الذي لا تعرف لماذا جعلك تفكر في هذه الحكاية الغريبة. ربما يجب أن تسأله ذات يوم إن كان يريد أن يأتي لقضاء بعض الوقت في غرفتك.

نعم، إنك تفكر في هذا منذ أسبوعين: لكي تضع مشروعك

الإجرامي قيد التنفيذ، يجب عليك أن تدخل ذلك البيت خلسة ذات ليلة، بعدما تكن قد وضعت خطة لهذه الليلة يا جاومه، أنت وسبستيان يا جاومه، عندما يكون الجميع نائمين. ستحدث سبستيان عن هذا الأمر ذات يوم ولا تعتقد أنه سيرفض. يجب أن تحددا يومًا لتتحدثا طويلًا.

بالطبع ليسوا مثل آل كلاتر. ومن المؤكد أنهم يمتلكون خزانة. ولابد أنهم يحتفظون داخلها بأموال أو مجوهرات ومخدرات أو أشياء أخرى يا جاومه، وهذه الأشياء ستكون جيدة لسبستيان، لأنه فقير، وسيكون ممتنًا لك، سيحبك، على الرغم من أنه يُطلق عليك اسم "بسلَّة" أحيانًا، لأنك أعطيته الفرصة ليفعل ما يحتاج. وستتولى بنفسك أمر الجار الصغير. عندما تراه في الشارع في المرة القادمة ستوقفه وتسأله عن اسمه وعن أحواله.

8

الشلة في قبو بار «لويرنا»، بين أضواء متقطعة لامعة من مصباح يكرر نفس التوليفات ويدور بسرعة مفرطة. السقف منخفض. مالك المكان، الذي امتلك بارًا ليليًا في المدينة وسارت أحواله بشكل جيد خلال بضع سنوات، رسم على السقف مجرات ونجمات عابرة وكواكب ونجوم تشكل أنظمة شمسية. قبل الدخول، أخرج ألبرت الأقراص ووزعها: وضع واحدةً فوق كل لسان. في قبو بار «لويرنا»، مع اللعين "الشيخ"، الذي يمتلك من الإيحاء الذاتي ما يفوق التأثير الحقيقي، يمر الفتيان بلحظة من التشوش والرعشة بعد الوعي، يعثرون على بعضهم البعض ويتوهون، يتخيلون أنهم على كورنيش البحر أو غيروا مدينة إقامتهم، وأنهم في العشرين من أعمارهم.

كل منهم يشعر بالغيرة من حالة دوار الآخر. مارك وبوثا يحبان القيام بأشياء بلهاء، مالك المكان يشغل موسيقى إلكترونية وموسيقى راقصة، من حين لآخر يتصرف كأنه في صالة ديسكو، توجد مجموعة من الفتيان الأكبر عمرًا الذين يلعبون البلياردو ويتبادلون الجلوس على المقاعد العالية، يوجد بضعة مخمورين يشربون الكوب تلو الآخر ويفكِّرون في الماضي (الأفضل من الحاضر) وفي المستقبل (الأفضل من الحاضر أيضًا). الحاضر

يثقل على هؤلاء الشاربين، يُشعرهم بالعطش. التوأم المستحيل ترقصان، ترقصان معا، وتجلسان مع بوثا معا. ذات يوم قال لهما ألبرت إنهما لفظين مقلوبين متناقضين، نظر له كل من مارك وأرناو وأخذا يضحكان. ورغب بوثا في أن يقول له إنه غريب الأطوار لكنه لم يقل أي شيء، إنهم لا يقولون لألبرت أي شيء شبيه لأنهم يكنون له احترامًا خاصًا. بوثا وأرناو يقولان ترهات ويضحكان. مارك، الذي دائما ما يسافر للفضاء ويندفع للرقص بينما يحرك ذراعيه وساقيه كالدجاجة، يبدو كأنما يبحث عن الحياة على الجدران.

لا توجد شبكة في قبو بار «لويرنا»، ولا يمكن لأي أب أن يستخدم المحمول لإفساد الحفل. مالك البار لا يمتلك الكثير من الموسيقى، دائما ما يضع ذات الأغاني، ودائما في سي دي. إنه لا يكترث بهذا. «لويرنا» لا يربح من الشلل التي تذهب لتناول المخدرات ولعب البلياردو وإنما من الزبائن اليوميين الدائمين، الرجال الذين يغبون الأكواب وبعد ذلك يعودون إلى بيوتهم في صمت أو يذهبون للتمشية خلف البرج الدوار للسجن. إنها علب لحفظ الطعام يا ألبرت، هذه العلب هي التي تغلي وتعطي مذاق الجين والروم.

قبو بار «لويرنا» كامل التناغم. أمام طاولة البار توجد ستة مقاعد عالية وخمسة رجال ساهمون. الرجال الساهمون لا يتكلمون ولا يستمعون للموسيقى. الأمر سواء بالنسبة لهم أن تكون «هيب هوب» أو موسيقى إلكترونية. ألبرت الذي ابتعد قليلًا

عن الشلة فور دخوله القبو، ينظر الآن للمقعد الفارغ. ويفكر إنه يشبه علبة طعام فارغة لا يوجد بها أرانب بالبصل أو سمك بكالاه في الفرن. ويواصل التفكير: كأن المقاعد العالية امتداد لحزن الرجال الساهمين، الذين تفوح منهم رائحة كريهة أكثر من التبغ الرخيص ولم يحلقوا ذقونهم منذ أيام. ولأنهم لا يمتلكون سيقانًا، تقوم المقاعد العالية مقام السيقان. لكنهم يمتلكون أكواعًا يا ألبرت، ليستندوا بها على الطاولة، وأصابع للإمساك بالأكواب، وشفاه ليلعقونها، وعيون تنظر للعلامات التجارية الملونة للزجاجات.

من موقعه كمراقب للرجال الساهمين، رأى ألبرت بهجة هؤلاء الرجال الخمسة، كان أصدقاءه بعيدين الآن، كانوا بالقرب من مائدة البلياردو. وبما أنهم ليسوا ساهمين بعد وتجمعهم الصداقة، كانوا مبتهجين ولا يفتقدونه. بهجة هؤلاء، من وجهة نظر ألبرت آبات في موقعه، كانت شريطًا مصورًا للسعادة، شريط فيديو يمكنهم رؤيته بعد بضعة سنوات بينما يكونون جالسين على الأريكة في بيت أحدهم. بعد ذلك، ربما يمكنهم أن يقولوا «كنا سعداء في ذلك اليوم، أليس كذلك؟»، ويتبادلون النظرات بوجوه تقول نعم، وصمت تلفزيوني، ويقول أحدهم «وألبرت، ألم يكن موجودًا في ذلك اليوم؟»، ولن يتذكروا.

ألبرت لن يكون موجودا على تلك الأريكة التي يشغلها أصدقاء قدامي بينما يشاهدون فيديوهات قديمة ويطفئون الظمأ الذي يشعرون به الآن. ألبرت ينظر لفراغ المقعد الفارغ ويشعر

بحضوره. إنه فراغه الشخصي في تلك الشلة، في مساء اليوم، أو مساء كل يوم في بار «لويرنا» أو في ميدان باريس أو تخومه، في بيته، داخل غرفته المغلقة بقفل كاللعبة. الخمسة يرقصون، يتبادلون النظرات أو لا، يعقدون حفلًا في الحي في يوم الجمعة. فقط من بلغ السابعة عشر في حي ما يدرك معني أن يكون المرء في السابعة عشر في الحي. كأنما من بلغ السابعة عشر ومات يعرف بالفعل أنه في السابعة عشر داخل قبر، مثل جويل.

قبل ثلاثة أسابيع كان من نصيب ألبرت في قرعة الفصل أن يقوم ببحث العلوم مع جويل. في أعماقه، كمن يرغب في الطيران أو الإمساك بالزمن أو أن يصبح جاسوسًا روسيًا، كان ألبرت يتمنى أن يكون في فصل آخر لكي يكون من نصيبه عمل البحث مع سبستيان. عندما قالت المُعلمة الاسمين، بحث كل منهما عن الآخر بعينيه. التقى ألبرت أولًا بعيني ميكيل أنجيل، الذي نظر له بحسد أو شفقة أو أمل أو بتعبير على وجهه كأنما يسأله هل يمكن أن يهاتفه. كان جويل جالسًا بجوار الدولاب وأبدى عدم اكتراث إزاء عيني ألبرت. لم تكن عينا جويل قادرتين على التعبير على أن بهما ضجر من القيام بأعمال مشتركة والاتفاق مع شخص آخر وتحرير النص معا، والتصرف خلال بضعة أيام كأنهما صديقان وبعد ذلك يعود أحدهما للجلوس بجوار الدولاب والآخر للجلوس بجوار النافذة التي تطل على ملعب كرة السلة، وأن هذا الضجر أكبر من عدم الاكتراث.

لم ير ألبرت كل هذا، لكنه أدرك أنه لم ينظر لعيني جويل من قبل. كما رأى أن ذلك الفتى لم يكن أكثر بكثير من المقعد المرتفع الشاغر الذي يراه الآن في قبو بار «لويرنا». الآن، في هذه اللحظة، منطويًا على ذاته، يرى ألبرت أن جويل بالنسبة للشلة، بعدما مات، لم يكن يعني أي شيء، لا وجود له. فتى مات قبل وقت قريب ولا يتحدث عنه أي شخص. ميت طويه النسيان. مع السلامة أيها الفتى الذي لا يشغل بالنا...

بكلمات قليلة، اتفقا لدى الخروج من الفصل على أن يذهب ألبرت لبيت جويل. لم يبتهج ألبرت بانتظار جويل له بعد نهاية الحصة بتعبير من لا يرغب في هذا، وعندما اقترب منه كان وجهه يحمل تعبير رجل في الأربعين من عمره تم ترتيب لقاء معه في حمامات عمومية. ذات الوجه، أنفه نضرة، وردية، مستقيمة، وتتدلى من ذقنه شعيرات قليلة، وعرق غزير ناعم على جبهته مُعلنا عن جبهة لامعة في المستقبل. (المستقبل، يفكر ألبرت الذي جلس على المقعد المرتفع الشاغر بجوار موظف صغير في بنك وتبدأ أغنية تقليص العمال تصل لأذنه. مقعدان، أحدهما بجوار الآخر، يفصل بينهما أربعون عامًا.)

مؤخرة ألبرت فوق المقعد الرخيص المتقشر، تختبر ذات الشعور بالهشاشة الذي انتابه يوم جلس لأول مرة على الأريكة السوداء من الجلد الصناعي في صالة بيت جويل. جلس عليها لأن جويل قال له «اجلس هنا» قبل أن يذهب للمطبخ لإحضار كوب ماء وليرى إن كانت أمه موجودة. «أبي غير موجود، إنه يعمل

كثيرًا»، كان قد قال له. «وماذا يعمل؟»، «لا أهمية لهذا، لا يجب أن أحكي لك حياتي». وشعر ألبرت بشيء من الضيق وأيضا برغبة كبيرة في الانتهاء من العمل.

كان جويل يعيش بالقرب من بيت ألبرت، في البيوت الجديدة بالحي: شارعان جديدان على الجانب الآخر من ميدان «بورتشوس»، حيث يجب أن يتم رصف طريق عريض وإنشاء حديقة. ذهب ألبرت بضع مرات للأراضي الخلاء والبنايات تحت الإنشاء حيث يوجد بيت جويل الآن. كان يذهب لتناول الساندوتش في ساعة العصر أو لإشعال ورق الصحف مع زملاء المدرسة أو النظر أيهم يمتلك عضوًا أكبر أو يصل ببوله لمسافة أبعد. بينما كان جالسًا على الأريكة في بيت جويل، وجد ألبرت أنه يشذ عن تلك الصالة الفسيحة، التي يهيمن اللونان الأبيض والأسود على ديكوراتها، وعلى الأرائك والمائدة والمائدة الصغيرة والنيش والسجادة... لكنه كان أبيض بلا شائبة وأسود من سواد العتمة عندما يغلق المرء عينيه في ليلة مظلمة، وكان ينتظر أن يأتي صديقه الجديد غير الموجود في الصالة ليصطحبه، يراه الآن، كأنه ليس موجودًا في قبو بار «لويرنا»، جالسًا على المقعد المرتفع الشاغر الذي تركه جويل فارغًا دون نية لترك أي شرك فارغًا أو غير مكتمل. ألبرت يشذ أيضا عن المقعد المرتفع، بجوار البائسين الذين تجاوزوا الخمسين، بحَّارة عجائز تتقشر جلود سيقانهم ويختفي الهِلب الموشوم في وسط صدورهم. وفي عمق القاعة يوجد أصدقاؤه، الذين لا يدركون أن أقراص "الشيخ"

قد حملت ألبرت إلى صالة بيت جويل، وإلى المقعد العالي في صف البحارة الذين يجهلون أن ألبرت غير موجود، ويعتقدون أنه موجود، ولا يعرفون من يكون أو أين يوجد.

«ما اسمك؟»، وألبرت، الجالس في صالة بيت جويل، يستدير مفزوعًا، لأنه كان يحرك ساقيه ليضعهما على الأريكة دون أن ينتبه لهذا وكان منغمسًا في النظر لمجموعة من الصور لطفل: طفل أثناء التعميد، طفل بمريلة المدرسة ذات الخطوط الزرقاء السماوية والاسم المطرز باللون الكحلي، طفل بأسنان متساقطة يرتدي زي بحار، طفل صغير له وجه جويل ولابد أنه هو، ويرتدي ملابس لعب التنس ممسكًا بالمضرب في يده وبفخدي فتى متباه بعضلاته تحت البنطلون القصير. ينتبه ألبرت آبات إلى أن جويل يظهر في الصور بمفرده دائمًا ولا ينظر للعدسة مُباشرة مُطلقًا. الأُطر غالية، من الفضة على الأقل. أمُ جويل بيضاء ونحيفة مثل جويل، كأنها هيكل عظمي مثل جويل، بذات الوجه الذي يبدو نافرًا وغير ودود، تقترب منه، متوترة لكن حذرة، وتسأله بطريقة تعليمية: «ما اسمك؟». يخمن ألبرت أنه أول صديق لجويل يدخل هذا البيت. «اسمي ألبرت. أتيت لأنني يجب أن أعمل في بحث مع جويل في...»، لكنه لا يجب لأن يكمل عبارته، لأن تلك المرأة تقاطعه وتقول: «حسنًا. جويل ينتظرك في غرفته. في نهاية الممر على اليسار».

كل هذه الطقوس تثير ضيقه. ينهض، وعندما يفتح باب الغرفة الموارب يجد جويل منتظرًا إياه، واقفًا مثل مدير مدرسة، ويسأله

«ما رأيك فيها؟ أتمنى ألا تكون قد شعرت بالضيق لأنني طلبت منها أن تصطحبك... ما رأيك؟ هل كانت أمي أم الخادمة؟». جويل جالس الآن على الأرض فوق سجادة، ومعه دفاتر المدرسة، وملف العلوم وأشياء أخرى، ويقول له «اخلع حذائك من فضلك. لا أحب أن يوجد وحل في غرفتي». وتوجد لحظة يفكر فيها ألبرت أن رائحة قدميه قد تكون كريهة. ويفكر أن جويل من الأولاد الذين يقولون «غرفتي» بدلًا من «الغرفة». قدما جويل صغيرتان، نحيفتان، بيضاوان، طويلتان، بأصابع تشبه الأقلام الرصاص، وأظافر تشبه أطراف الأقلام الرصاص. يجلس متربعًا، وشعر ساقيه قصير للغاية، مثل الأولاد الذين يستخدمون ماكينة الحلاقة ومرَّ على استخدامها أسبوع. ألبرت لا يرد على سؤال الأم والخادمة. إنه لم يدخل من قبل أي بيت توجد به خادمة، وتلك المرأة اللطيفة تشبه جويل. بالحنق الذي يتسبب فيه أن أحد زملاء الفصل ليس صديقًا لك ومكروها بشكل عام، ويسألك إن كانت أمه تبدو كالخادمة، يشعر ألبرت بالندم لذهابه إلى بيت جويل. لكن عندما يسأله جويل لبيت أيهما سيذهبان ، يأتي المشهد على باله فجأة: عندما يذهب أحد أصدقائه لبيته وتتجاوز الساعة الثامنة، تأخذ أمه الضيف من يده إلى الثلاجة وتقول له «اطلب بيتك وقل لهم إنك ستتناول العشاء هنا. خذ، خذ ما تريد. هل تحب سيقان الخنزير بأبو فروة؟».

يسأله جويل إن كان مرتاحًا فوق السجادة، يشغلان الكومبيوتر المحمول ويبدآن في العمل. لا يتحدثان، لا يمهدان لصداقة، وإنما

يعملان. بعد برهة يقول جويل «هل تريد التدخين؟»، ويقول «حسنًا». يندهش ألبرت لأن جويل يدخن في غرفته علنًا. لحسن الحظ أبواه غير موجودين. ربما كانت تلك المرأة هي الخادمة. يُخرج علبة سجائر من أحد الأدراج، يشعل سيجارتين ويعطي إحداهما لألبرت الذي لم تعجبه اللفتة وكان يفضل أن يشعل سيجارته بنفسه. ويقول جويل «يا لضجر وملل عمل الأبحاث، أليس كذلك؟»، «نعم». يأخذ ألبرت نفسًا ولا يعرف ماذا يقول. يعرف أنهما سيتحدثان اليوم عن هذا الأمر وعن ذاك، وعن كل ما يريدان، لكن في الغد، بعد تقديم العمل في الفصل، لن يعد جويل صديقًا. ربما يتبادلان التحية أو الإيماءات في الممر، لكن ليس كما اليوم، حيث يشعر جويل بالبهجة لوجوده في بيته، ويقول له «هل تحب مدرستنا؟، وألبرت، الذي يشعر أنه تافه عندما يسألونه عن أمور تافهة، يقول له: «نعم. حسنًا، لا أعرف. لا أعرف مدرسة أخرى».

تتردد تلك الكلمات، وبعد قليل تعود، الآن، بينما تجلس على المقعد المرتفع في بار «لويرنا». على الرغم من الموسيقى يوجد صمت تام، متواصل، في كل مكان، صمت يلتهم كل شيء. الكلمات تصدر في فضاء زمني، وتبقى هناك، تتضخم، تتسخ، تذوب، تموت، تُنسى، تصبح ترابًا، تصبح أحجارًا، تموت، وهناك، على أرضية غرفة جويل، ما زال يقول «لم يكن يجب أن ألتحق بهذه المدرسة. أبي يؤمن بالفكرة القديمة بالالتحاق بالمدارس العامة لأن كل الناس يجب أن تتلقى ذات التعليم. هراء. سألتحق بمدرسة

خاصة في العام المقبل، سواء وافق أبي أم لا. والجامعة أيضًا. أنا مدرك أنني يجب أن أدرس كثيرًا، لكن في جامعة خاصة. وفي الصيف، قبل الالتحاق بالجامعة، سأذهب إلى بريستول، وهي مدينة جامعية، لكي أتعلم الانجليزية وأعقد علاقات مع فتيان من أوروبا ممن يمتلكون أفكارًا واضحة. من يمتلك مالًا يتيح له الدفع، يجب أن يدفع. ومن يمكنه أن يدفع، يجب أن يحصل على الأفضل، ألا ترى هذا؟»، والآن، من موقعه فوق المقعد المرتفع، تبدأ الفكرة في إصابته بالصداع، حدث هذا بالفعل، لأنه، أي ألبرت، مع وجود أبواه في البيت، تظاهر أنه لم يسمع التعليق، وقال «رغم هذا فالمدرسة ليست سيئة للغاية»، ويرد جويل: «المدرسة في حد ذاتها ليست سيئة، لكن بالإضافة إلى أن المُعلمين في المدارس الخاصة أفضل، فإن المستوى أعلى والعلاقات التي تُعقَد تصبح أعلى أيضًا. هذا يعرفه سود البشرة أيضًا». ألبرت لا يعرف ما علاقة سود البشرة بهذا. عددهم لا يتجاوز العشرين في المدرسة يا جويل. «نعم، لكننا طلبة جيدون، أليس كذلك؟ نذاكر كثيرًا أم لا؟ نعرف بوضوح ماذا نريد أن نفعل في حيواتنا أم لا؟. يفكر ألبرت في حماقة «أم لا؟»، ويفكر أن جويل يجب أن يضعها في مؤخرته، لكن بينما كان جالسًا على السجادة قال «أعتقد أن هذا حقيقي...، أعني أنني هكذا، بالطبع، لأن ألبرت يعرف ما يريد: يرغب في دراسة الصيدلة، لكنه لا يحب الشركات متعددة الجنسيات ومافيا الأدوية، «وأنت؟»، «أنا أيضًا أعرف، لكنني لم أخبر أي شخص بعد بما أريد دراسته. سأفعل أشياء جيدة في

الحياة. سأدرس لغات، سيكون لدي عمل جيد، سأربح مالًا كثيرًا. سأساهم في التقدم، ولهذا يجب أن أتعلم وأدرس. لا يمكنني الانشغال بأشياء صغيرة. مع أخذ الأمور الكبيرة التي أرغب في القيام بها في الحسبان، بصراحة لا أعرف لماذا يجب أن أدرس بجوار أناس فقراء وغير مؤهلين. اُنظر لفصلنا: مليء بالمتراخين وبقليلي الفهم والكسالى والأغبياء والمتقاعسين»، ويوجد صمت، بين المقعد المرتفع والسجادة أمام الكومبيوتر المحمول، صمت لا يرغب في الدخول في الحوار لأنه دخل بالفعل، وأصبح متأثرا وحزينًا ومع كل هؤلاء الناس الذين كثيرًا ما يبدو أنهم يوشكون على الارتطام بكل شيء والانطلاق في الجري، لكن ليس للهرب، وإنما الجري، مجرد الجري إلى أماكن مجهولة، والآخر يقول «إنهم تجسيد لهذا الحي يا ألبرت، ألا تدرك هذا؟ أشخاص لا يعملون، يعيشون على الإعانات، يجب على أبواي أن يدفعا الضمان الاجتماعي من أجلهم، الإعانة الشهرية، أناس لا ترغب في العمل، ويريدون إمضاء اليوم في المقهى أو في مدخل البيت بينما يصرخون في وسط الشارع، أناس يوافقون على أن يتحرك أبناءهم في أوساط تُباع فيها المخدرات في وسط النهار، أناس لا فائدة لهم يا ألبرت. ولحسن الحظ بدأ تطوير الحي. يجب القضاء على هذا الشر يا ألبرت. لنكن صرحاء: يجب إزالة كل هذا الخراء وزرع أشياء جيدة، من أجل أناس جيدين. لا يمكن أن تكون المدينة مليئة بأشخاص كريهي الرائحة، غير مثقفة وكسولة. وسأتوقف هنا. لا أحب السباب أو قول الأشياء خارج سياقها،

ليكن هذا واضحًا. لقد رأيتني في الفصل: أنا لا أحب الكلام كثيرًا. في الحقيقة فأنا لا أبتهج كثيرًا بعمل الأبحاث بين شخصين، يجب أن أعترف لك بهذا، وأقول لك هذا دون أي ضغينة. في الحقيقة عندما قالت المُدرسة ريباس إن من نصيبي أن أعمل البحث معك، تنفست الصعداء. رغم أننا لم نتحدث معا كثيرًا فأنا أعرف أنك لست مثل الغالبية، ومعذرة إن قلت لك هذا، فأنت لست مثل هؤلاء الأولاد الذين ترافقهم، وتبدون كشلة». وهذا الخفاش مُحق في كل ما يقول حتى وإن كان مدهوسًا في الطريق. لكن، «ماذا تعني؟ أنني لست مثلهم؟، ويرد «لا يا ألبرت. إنهم رعاع، مثل معظم الفتيان في المدرسة، ولهذا لا أريد الدراسة في هذه المدرسة، وقلت هذا لأمي عندما قمنا....»، والآن تتوقف الموسيقى ويصمت جويل. الأغنية التي تصدر الآن ذكرى، أم أنه صمت جويل يا ألبرت؟ لن تعرف إن لم تسأله. «عندما قمتم بماذا؟، «لا شيء، كان يجب أن أسجل نفسي في المدرسة. هذه المدرسة تشبه كل الحي يا ألبرت، مجتمع غير مكتمل. ألا تتذكر ما قاله لنا ميكيل ديا في حصة التاريخ؟ مجتمع ينتقل من الماضي إلى الإصلاح. المدرسة مثال على هذا. يوجد أولاد عاديون، مثلك ومثلي، يوجد أولاد مثل أولئك عديمي النفع الذين يدخنون طوال اليوم ويتناولون الأقراص المخدرة، بل إن هناك من أتوا من مراكز الدمج الاجتماعي ومراكز الأحداث، مثل ذلك الفتى في الفصل الآخر. وكل هؤلاء قادمون من هناك، من الجانب الآخر من الميدان القديم، حيث ما زالت توجد تلك الشوارع المتدهورة. بيوت متهاوية. جدران مُحطمة. حجارة

الأرصفة المخلخلة. البيوت الرخيصة التي تسقط في النهاية“.

لا يعرف ألبرت لماذا يعود بتفكيره إلى بار «أشبيلية» خلال لحظة. عمال البناء، مزيج الروائح، الجير والكونياك، سبستيان الذي يحمل كتابًا، وحواف كوب البيرة الجافة، وألبرت يسأل جويل «ألا تذهب هناك مُطلقًا؟ هل تعرف شخصًا ما هناك؟»، والنفي هكذا «الآن لا. لكنني ذهبت هناك ورأيته. كأنك تشاهد فيلمًا عن المُهمشين الرُّحل. هذه خصيصة لم يعد لها وجود في المدينة، إنها الآثار الباقية على شيء يجب أن يموت! لنعطه ميتة سريعة إذن ونبني مدينة لنا! الناس الذين يجب أن يعيشوا هنا يستحقون حيًا جديرًا بهذا الاسم! لا يمكن للإهمال أن يستمر!». لا يا جويل. جويل يشبه سياسيًا يشارك في الانتخابات. عاش ألبرت حياته بالكامل في هذا الحي ولم يشعر مُطلقًا بالخوف ولم يتعرض لأي اعتداء. بالفعل، يشعر بهذا الآن، أمام جويل، ويفكر في أمور حياته، في الشلل، المشاكل التي تحدث في المدرسة، منطقة الأراضي الخلاء، التي لم يتم الانتهاء من إنشائها، السجن، بداية الطريق السريع الذي يذهب لوسط المدينة مباشرة. ويفكر ألبرت أن جويل يبدو كفتى تافه يكرر ما يسمعه من أعمامه في الاجتماعات العائلية والفاشيون في القنوات الفاشية. صوته كالصفير، كأنه مراهق صغير، فتى ينظر لملابسك قبل أن يقرر الكلام معك، صوت ينتقل من البراءة إلى العفن، لاعق جوخ، مساعد شمَّاس يغير ملابسه، شخص يغسل يديه كثيرًا لكي لا تفوح رائحتها، إنه صوت حاد تقريبًا، صوت مُهين. بل إن ألبرت،

بعدما رأى وعاش الأسلوب الذكوري لأريل في بيته، أو الأسلوب المنحط لسبستيان على سلالم المدرسة، يفكر أنه من المفهوم أن يوجد من يرغب في ضرب جويل وتعليقه على الجدار بأنفه معجونة بالدم.

طرقتان على الباب تقطعان خطاب الفتى ذي الصوت الحاد. شيء لصالحه في ذلك البيت: على الأقل يطرقون الباب قبل الدخول. بل إنهم ينتظرون رد جويل. بجوار ألبرت يوجد الرجل الخمسيني الذي يدق بقضبته ثلاث مرات على طاولة بار «لويرنا». انتهت المزة ويريد كوكتيل آخر. مالك البار يضع مزة كل مشروبين. تُسمَع أغنية من فيلم شهير للغاية منذ سنوات كثيرة يتذكره ألبرت جيدًا. الرجل البائس يدق على الطاولة ثلاث مرات أخرى. يقترب مالك البار غاضبًا، فقد كان يتحدث مع فتيات شلة مائدة البلياردو. جويل يرد بذات الصوت الذي يستخدمه الناس الذين لا يشبهونه. عندما يُفتح الباب، تدخل الأم (أم الخادمة؟) بصينية: كوبان من اللبن، طبق مليء بالبسكويت بالعسل وصحن عميق به لوز وعين جمل. كأن هذا ما طلبه الرجل البائس الجالس بجوار ألبرت. تبتسم الأم، يشعر ألبرت بالقلق لأنه يكتشف أن الغرفة تفوح برائحة التبغ، جويل ينظر لها بشيء من العذوبة، يشير إلى أي جزء من السجادة يجب أن تترك الصينية، يتحقق من وجود كمية كافية من المكسرات والبسكويت. أمٌّ تأتي باللبن والبسكويت لا تبدو أمًّا في صالة معيشة فسيحة أنيقة. تبدو خادمة لطيفة مهذبة.

–أتيت لكما بشيء من الطعام لوجبة العصر.

– شكرا يا أمي.

– يمكنكما الاستمرار في المذاكرة بقوة. دائمًا ما أسعدنا جويل بدرجاته. لم يثر ضيقنا مرة واحدة. هل تسير بشكل جيد في المدرسة يا ألبرت؟

وتنطق اسم ألبرت كأنه يدخل هذا البيت طوال حياته.

– نعم.

– هل أنتما صديقان في الفصل؟ جويل فتى طيب، لكنه خجول إلى حد ما. أنا سعيدة لأنك أتيت يا ألبرت للقيام بهذا العمل مع جويل. دائمًا ما قلت له إنه يستطيع دعوة أصدقائه، أو صديقاته... من يريد، لكن جويل لا يكترث بأي شخص، أليس كذلك يا جويل؟

– أمي...

– هل انتهيتما من العمل أم أنكما ستلتقيان في أيام أخرى؟

– انتهينا من جزء البحث عن المعلومات. الآن يمكن لكل منا أن يواصل العمل بمفرده، ونتفق عندما يجب أن نقوم بعرض العمل في الفصل.

– ممتاز. لكن إن رغبت بالمجيء في يوم آخر يا ألبرت، فهذا هو بيتك. هل تعيش قريبًا من هنا؟

– نعم، بالقرب من ميدان باريس.

– لكنه لا يعيش في البيوت الرخيصة يا أمي. يعيش على الجانب الآخر من الميدان، باتجاه حديقة «فونتس“.

–آه، إن هناك الكثير من الإنشاءات في تلك المنطقة. سيجعلونها جيدة للغاية، ألا ترى هذا؟ ماذا كنت سأقول... ألا ترغب في البقاء لتناول العشاء معنا يا ألبرت؟ يمكنني عمل بيض **مفقوش** بالبطاطس المحمرة. جويل يحب تناول هذا الطبق على العشاء.

–أمي...

–لا، شكرًا، يجب أن أتناول العشاء في البيت.

–حسنًا. إن رغبت في المجيء لتناول الطعام أو العشاء، قُل لجويل. إن رغبت بالمجيء للغداء، أخبره في الصباح، قبل منتصف اليوم، لكي يرسل لي رسالة. وإن كنت ستأتي لتناول العشاء، يمكنك أن تخبره وقتما تشاء، يمكن شراء أي شيء للعشاء، أو خبز، أو إخراج شيء ما من الفريزر، اتفقنا؟ دائمًا ما يكون هناك شيء ما في الفريزر.

–بالطبع....

–إن كنت ستأتي ويوجد شيء ما لا تحبه، لتخبر جويل، اتفقنا؟ دون حرج. لا ينقصنا سوى أن يأتي صديق لجويل لتناول الغداء أو العشاء ونقدم له طبقًا لا يحبه. في الحقيقة لن يكون هذا لطيفًا، أليس كذلك؟

– لا، بالطبع لا.

–ها أنت تعرف إذن. يمكنك المجيء للغداء، للعشاء أو لتناول وجبة العصر، أو لتفعل ما تريد. لمشاهدة فيلم، أو إن كنت ترغب في قضاء بعض الوقت بمفردكما في الغرفة للتحدث في أموركما. كما تريد يا ألبرت.

– أعتقد أن ألبرت قد فهمك. هل يمكننا مواصلة المذاكرة؟

– نعم، معذرة. لن أزعجكما أكثر من هذا. أنا آسفة. ها أنت تعرف يا ألبرت. سأغلق الباب. لن أقاطعكما بعد الآن. ستعطيني الأكواب والأطباق بعدما تنتهيان من العمل يا جويل.

شعر ألبرت بالرتابة، بالرتابة العائلية طوال الوقت الذي استغرقته تلك الأم المرتبكة المرتعشة في الكلام بينما تقف على عتبة باب الغرفة، وهو الشعور المناقض تمامًا لذلك التوتر الذي شعر به بينما كان يتحدث مع جويل، وهذا الأخير يبصق بكلماته في أذنيه، ويشعر بكوع الرجل الجالس إلى يساره، بينما يطوح بيده ويصيح بعدما ضاق ذرعًا. وفجأة، «اللعنة، إن هذه العاهرة لحوحة للغاية»، «يبدو أنك لا تتلقى زيارات كثيرة، أليس كذلك»، «لا، لكن اُنظر ماذا سأفعل باللبن اللعين الذي أتت به أمي»، ويمسك بالكوب، ويتظاهر بأنه سيشربه، ثم يبصق داخله. يضحك، يبتسم، يتظاهر بأنه أتى بعمل عظيم. «هل تريد كوبًا من اللبن يا ألبرت؟ هل تريد تناول العشاء معنا يا ألبرت؟ إن لم ترغب في تناول اللبن، قل لجويل لكي يبصق فيه يا ألبرت".

– هذا ليس لطيفًا يا جويل.

– ماذا؟ هل تشعر بالضيق؟ هل سأضايقك أكثر إن وضعت عضوي داخل الكوب؟

– ...

– هل تريد تريد رؤية كيف أُقلب اللبن يا ألبرت؟ هل تريد أن أعطيك إياه؟ لقد عرفت ما تحب، لقد أخبرني ميكيل أنجيل.

– لا يدهشني ألا يقترب منك أي شخص في المدرسة. لكن ما يدهشني أن يكون ميكيل أنجيل صديقك.

– تندهش؟ ميكيل أنجيل ليس صديقًا لأي شخص. ميكيل أنجيل هو عاهرة الكل، لكنه ليس أبلها. ولا، لا يأتي الكثيرون هنا، وعندما يأتي ميكيل أنجيل، يأتي خفية، لأن مجيئه من عدمه لا يخص أي شخص. ولا هذا يخصك، ولا يخص أمي. لا أريد أن يأتي ميكيل أنجيل بالمشهد الذي قدمته الآن. ولا داعي لأن تنظر للساعة كثيرًا. أعرف جيدًا أنك تود الذهاب ولا ترغب في العودة هنا مرة أخرى. حتى وإن لم تصدقني، فأنا أشعر بالأسف لهذا. أشعر بالأسف لذهابك، هذه هي الحقيقة. لماذا لا يمكننا أن نكون أنا وأنت صديقين؟ فَكِّر في هذا. لن أخبر أي شخص. سيكون الأمر كما يحدث عندما يأتي ميكيل أنجيل. سيكون الأمر كأنك أنا، وأنا سأكون كميكيل أنجيل. هل يمكننا أن نكون صديقين هكذا؟

– المرء لا يحصل على الأصدقاء بهذه الطريقة يا جويل.

– إن رغبت يمكننا ألا نتبادل التحية في المدرسة. أنا أعرف أن

لديك شلتك، مارك، بوثا، والآخرون. أنا لا أريد الخروج معكم، ولا أي شيء من هذا. لكن أنا وأنت يمكننا أن نكون صديقين بهذه الطريقة، في ساعة العصر من حين لآخر. انس ما قالت لك أمي. لا داعي لأن تتناول العشاء هنا.

- ربما يجب أن أذهب.

- هل تريد أن أغلق الغرفة ونتمدد على السجادة؟

-...

- هل تريد المجيء هنا على السجادة؟

- لا.

...

-لا.

-...

- لا يا جويل.

- ألبرت!

- لا.

- هيا يا ألبرت.

- لا ثم لا، أقول لك إنني لا أريد.

- يا ألبرت، أريد مُغامرة معك!

الموسيقى تطير. يوجد صمت، والصفير الذي يتبقى عندما تطير الموسيقى. صخب جمع أكواب. لم يعد هناك أي شخص في قبو بار «لويرنا». ذهب الرجال البائسون للقيام بموكبهم، كأفراد مستيقظين، أو نائمين. بينما كان صاحب البار يقفل حساب اليوم، كان وجهه قبيحًا، كأنه سيطردهم.

- أي غيبة يا ألبرت!

- فيم كنت يفكر؟

- هل أرافقك للبيت يا فتى؟

-لا، لا. أنا بخير. لنخرج.

إنها ليلة الجمعة. ما زالت هناك أضواء في النوافذ، وانعكاسات التلفزيونات خلف ستائر البيوت، شلل تنتقل من شارع لآخر دون أن يعرفوا أين يذهبون، سيارة تعبر بالموسيقى صادحة. بوثا يترك التوأم المستحيل ويعانق ألبرت. كلهم مُهتمون بمعرفة إن كان ألبرت بحال جيدة، كلهم باستثناء مارك الذي يبحث الآن عن أشكال مستحيلة للنجوم، بلسانه خارج فمه، سعيدًا وبريئًا.

- في مرة قادمة تعطيني القرص الذي تناولته، اتفقنا؟

- هل تعتقد أن ما نفعله جيد يا بوثا؟

- لنر إن كان هذا الشيء قد أفسد عقلك.

- هل تعتقد هذا أم لا؟

– ربما يا ألبرت. أعتقد أن الإجابة هي نعم. وانتهى الأمر.

– انظروا لهذا! من يرافقه؟

– يا لها من مومس...

كانوا في الشارع. كانوا شلة تشعر بالخوف من الشارع. إنه حيٌّ في مرحلة تحوُّل، مثلهم، لحم بشري في مرحلة تحوُّل. ألبرت آبات، في ذلك الترتيب الذي سأذكره، يُفكر أن هذا هو ميدان «باريس»، أن عرض موضوع العلوم سيتم بشكل جيد، وحدث كل شيء بعد خمسة أيام، إن كانا قد انتظرا حصة تالية لم يكونا قد قاما بالعرض، ربما كان عليه أن يقوم بالعرض بمفرده، شيء من الوقت الإضافي وكان سيضطر للقيام بالعرض بمفرده، على الأقل الجزء الخاص به، لأنه لم يتبادل النظرات مع جويل في الفصل. مارك وأرناو يذهبان معا للبيت: إنهما يعيشان في بيتين متجاورين. عندما يرافق بوثا كلارا إلى بيت كارلا، ويكون على كارلا أن تنتظر عشرين دقيقة في مدخل البيت، لكي يمكن لهما أن يرتبا أمورهما بينما يتحججان بلف سيجارة ماريجوانا. ينام يوك في فراشه، وعندما يكون نائمًا يبدو كالميت، وإن مات يوك ذات يوم سيبدو نائمًا. عندما مات عمه بيثنس، ورأته عمته ماريا في التابوت بملابس يوم الأحد، قالت إنه يبدو أكثر مهابة في موته عنه أثناء الحياة. الأبوان ينامان في ذات الجانب من الفراش، حسبما يتذكر. معدات البناء مُطفأة، وسبستيان يعيش هناك، حيث توجد الماكينات. ميكيل أنجيل حزين للغاية ويعيش

بالقرب من سبستيان. عندما قال أرناو «اُنظروا لهذا، من يرافقه؟ كان يشير لميكيل أنجيل، الذي نزل من سيارة فورد كا، حيث كان بداخلها رجلان، وتركاه بالقرب من ميدان «باريس». ميكيل أنجيل فتى لا يخرج مع أي منهم، لكنهم جمعيًا رأوه مع رجلين في سيارة، وبوجه حزين كأنه موجود هناك ولا يرغب في هذا.

9

كان هذا حتى أمس، عندما ذهبت للتمشية مع ميكيل أنجيل وأمضيتما العصر معًا. كان من الغريب للغاية أن يقوم بمهاتفتي، خاصة وأنه قام بتنبيهي، قبل ساعات، من أنه سيقوم بمهاتفتي. قال لي، في الفسحة الصباحية بين الحصص، «سأهاتفك في وقت لاحق، ماشي؟»، كأنه كان يقول لي «لتكن في البيت، اتفقنا؟ أو «إن كنت في البيت، رُدَّ على التليفون». قال لي «سأهاتفك»، كأنما يقول لي «لا تندهش مرة أخرى إن قمت بمهاتفتك. ألبرت آبات، بذلك الوجه كفتى طيب يشعر بالخجل عندما يرونه يُقبِّل شخصًا ما، ينظر لنا من بعيد. بعد ذلك تكلَّمت معه. أنا وألبرت لسنا صديقين. دائمًا ما يبتسم للجميع. لديه شلة أصدقائه، داخل المدرسة وخارجها. إنهم أصدقاء بالفعل. يذهبون لحفلات موسيقية، يتصورون في حديقة «مار»، يتحدثون عن الحكومة وعن الأرض، أحيانًا يأتي لهم "الشيخ" بشيء من المخدرات. قلت لك «ألا تتكلم»، لكن "الشيخ" يعيش في كوكب آخر. أنا وألبرت نتحدث، ودائمًا ما يكون ميكيل أنجيل هو الموضوع. لماذا نحب بعضنا البعض عن بُعد؟ لماذا لا نقف أمام ميكيل أنجيل ونقول له «أحبك»؟ لماذا لا نُحب ميكيل أنجيل؟

ألبرت آبات ينظر لنا بينما ميكيل أنجيل يقول لي إنه سيهاتفني في وقت لاحق. أول مرة تحدثت فيها مع ألبرت كانت يوم لعنت

شلة أصدقائه وأرسلتهم للجحيم: بوثا وأرناو ومارك وكارلا وكلارا، لأنهم كانوا يحيطون بميكيل أنجيل ويضايقونه، كانوا يسخرون منه. كانت كلارا وكارلا ستكونان توأمًا إن لم تكن كلارا جذابة وكارلا مُدورة مثل البرميل. يُطلق عليهما في المدرسة «التوأم المستحيل». وكانوا هناك، يحيطون بميكيل أنجيل ولا يأمرهم ألبرت بالتوقف، وقمت أنا بالتدخل، وغضبت كثيرًا من كل هؤلاء الحقراء، وبعد ذلك جاء ألبرت ليتحدث معي حول ما حدث قبل قليل. كان ما فعلوا هناك سيئًا للغاية يا ميكيل أنجيل. ورأيت أن ألبرت فتى جيد يا ميكيل أنجيل. لكنني أيضًا بدأت أرى أن "بسلَّة" ليس فتى جيدًا على الإطلاق، وأنه جبان حقير.

كان ألبرت آبات ينظر لنا لأنه دائمًا ما ينظر لي، وأنا أيضًا أنظر له، ولأن ميكيل أنجيل طلب منه رقم تليفون البيت قبل أسبوع، لكي يطلبه، لكي يلتقيا ذات يوم ويتمشيا قليلًا، «ليس من أجل أي شيء آخر، لربما رغبت ذات يوم في أن نذهب للتمشية قليلا»، هكذا قال له ميكيل أنجيل، لكنني لا أعتقد أن ألبرت كان يفكر أن ميكيل أنجيل سيهاتفه، وأعتقد أنه أعطاه الرقم لكي يُصمته، لكن أيضًا لكي لا يجرحه، وربما لكي يلقن درسًا لتلك الشلة من الجهلاء الأشرار المغرورين، الذين يثيرون غضبي، اللعنة. وفي ذات ذلك المساء، اتصل ميكيل أنجيل بألبرت في بيته. لم يعطه ألبرت رقم الموبايل لأنني أعتقد أن ميكيل أنجيل لا يمتلك موبايل. «ألو»، «ألبرت، أنا ميكيل أنجيل، أطلبك لأسألك إن كنت ترغب في التمشية قليلًا»، وبكل طيبة القلب والسذاجة قام بالاتصال

بالرقم، سبعة، تسعة أربعة، و «يا ميكيل أنجيل، لقد أعطيتك الرقم صباح اليوم، لم أكن أعتقد أنك ستتصل بي اليوم»، «نعم، لكن بما أننا نتبادل النظرات أحيانا». لكن لا. والأمر واضح، كما كان ألبرت يفكر، ماذا سيفعلان إن التقيا من أجل القيام بجولة؟ هل سيشتريان مشروبًا باردًا من محل «جراثيس»؟ هل سيذهبان لبيته ويريه أركان غرفته؟ هل سيسيران في المدينة بينما يتحدثان عن أمور لا يفعلانها في المدرسة ويدخلان معا في حمامات محطة الأتوبيس؟

فجأة أصبح ميكل أنجيل هو الفتى الذي يطلب من الفتيان الآخرين الذهاب للتمشية ويقولون له لا. أنا أيضا لم أكن لأعطيه رقم الموبايل. أنا أيضًا مقزز، أنا لست أفضل من الآخرين.

- اِتصل بي في الخامسة، هل هذا يناسبك؟

- مفهوم. في الخامسة.

- في الخامسة يا ميكيل أنجيل.

لا أعرف سبب هذا الإصرار على المهاتفة في الخامسة، خاصة إن كان ميكيل أنجيل يعيش بالقرب من بيتي في تلك البيوت الفقيرة، على مبعدة بيتين من تلك البيوت التي يهدمونها الآن لإنشاء حي جديد. أحيانًا، عندما أتعلل بحمل القمامة للجلوس في الميدان قليلًا، كنت أراه جالسًا على تلك الدكة المحطة، في صمت من لا يريد الصعود للبيت، وأحيانًا رأيته يتحدث مع رجلين غريبين لا أعرفهما، وكنت أراه حزينًا كأن جسده فارغ من الدم،

وأشعر بالرغبة في الاقتراب لأقول له «أهلا يا ميكيل أنجيل»، حتى وإن لم نكن نتبادل التحية في المدرسة، أقول له «أهلا يا ميكيل أنجيل» لكي يرى هذان الرجلين الغريبين أن هذا الفتى ليس بمفرده في الشارع، وأنه يذهب للمدرسة، ويعرف أولادًا في عمره، وأنه ليس مثلهما. ميكيل أنجيل، الذي مشى برقمي في جيبه، وبعد ذلك "بسلَّة"، الذي مرَّ بينما ينظر لجدران بهو مدخل المدرسة، كأنه ذاهل أو يراقبها بينما تظل قائمة ولا تسقط، بشبه ابتسامة جديرة بشخص يبحث دائمًا عن طريقة لإيقاع الأذى بك، ورأى كيف يسير ميكيل أنجيل ويتجه إلى صنبور المياه.

– هل نذهب اليوم للطريق الوردي؟

– لا يا "بسلَّة". لدى أمور تشغلني اليوم.

– مشغول بأي أمور؟ الأمور قد تكون مليون شيئا يا سبستيان.

– أمور.

– يجب أن نتحدث عن أمر هام.

– عن أمر؟ أي أمر يا "بسلَّة"؟

– عن جيراني يا سبستيان. يجب أن نتحدث أنا وأنت بمفردنا، وأن نذهب هناك للكلام. في أي ساعة نلتقي؟

– لقد قلت لك إنني لا أستطيع اليوم.

– منذ فترة تقول لي إنك لا تستطيع عندما أقترح عليك اللقاء.

– واليوم أقول لك هذا مُجددًا.

– لقد بدأت أضجر بكل هذا الرفض يا سبستيان.

– ....

– وبالإضافة إلى هذا، عم كنت تتحدث مع ذلك الفتى؟

– عن أمور يا "بسلَّة".

كنا قد اتفقنا على اللقاء في ميدان «بورشوس». اتصل بي ميكيل أنجيل في الخامسة إلا عشرة دقائق، «هل يسمح وقتك بأن نلتقي؟»، «نعم، لقد اتفقنا هذا». كانت الجدة تجلس على الكرسي الهزاز: كانت تقرأ، وأحيانًا تقوم بالتطريز. لم تكن جدتي تشاهد التلفزيون مُطلقًا، كانت تقول إنه يلوث العقل ويجعل القلب مثل الخشب القديم. بصراحة لم أكن أشاهد التلفزيون كثيرًا، لأنه بصراحة أيضًا لم يكن يثير اهتمامي كثيرًا. أماندا ورامون لا يعرفان فعل شيء آخر: يدخلان البيت ويشعلان التلفزيون، والجدة تنهرهما وتسبهما بصوت عال. لم تكن جدتي تسألني مُطلقا إن كنت أذاكر وإن كنت أخرج مع فتيات.

– أنا خارج يا جدتي.

– طالما ستعود في يوم ما.

– إن كنت ترغبين، لن أعود. سأتركك بمفردك مع هذين الشخصين.

– هيا، اذهب.

كان ميكيل أنجيل ينتظرني مستندًا إلى الجدار، مائلًا كالعادة، في وقفته المعتادة، وحياني بيده، وابتسم ابتسامة قذرة، أعني بفمه القذر وأسنانه كريهة الرائحة. ربما أقول له يومًا إنه يجب أن يغسل أسنانه ثلاث مرات كل يوم.

«ماذا تريد أن تفعل؟»، «لنتمشى قليلًا»، «اتفقنا»، وأخذنا نسير على مهل، بذلك الهدوء غير المريح عندما لا يعرف المرء ماذا يجب أن يقول، وبذلك السير الضجر المتهمل في ذلك المكان نفسه، دون أن نعثر على طريق يحملنا إلى مكان لا نعرفه، حيث يمكننا أن نضل طريقنا لأنني لا يجب أن أكون سبستيان ولا يكون ميكيل أنجيل، ولا نبدو كشخصين يسيران على مهل ولا نعرف من يكون كل منا.

– هل تذهب للطريق الوردي؟

– هناك توجد البناية تحت الإنشاء.

– نعم. وأيضا يوجد هناك بئر كريه الرائحة. هل تذهب هناك؟

– نعم، مع "بسلَّة". هل تعرفه؟

– نعم، وأعرف أيضًا لماذا تُطلقون عليه اسم "بسلَّة".

– هذا واضح، لأن هذا يضايقه.

– هل تنادونه بهذا الاسم لمضايقته؟

– لا يا ميكيل أنجيل.

– لكن...

– إنها طريقة في التعبير يا ميكيل أنجيل.

وتوقف، وبشكل غير متوقع وقف أمامي، كأنه يمنعني من المرور، وبدأ ينظر لي، بوجه رمادي بسبب قذارة الجدران التي يستند عليها. فاجأني ، بالنظر لي كردٍّ، بوجه عدواني لشخص لا يهمه الأصدقاء، هو الذي كان قليل الأصدقاء. نظر لي كأنما يثق بي لكنه يمر بلحظة صعبة. أعني كأنه لا يجب أن يتظاهر ويمكنه أن يُخرج من داخله شيئًا ما لا يعرف أي شخص كنهه. كان ينظر بوجه كالغاضب. وجه شخص يعد حتى خمسة، شخص يتنفس عميقًا قبل أن يقول «نعم، لقد التقينا لكي نتمشى قليلًا واسمي ميكيل أنجيل. هل تعد المرات التي تذكر فيها اسمي أم ماذا؟». وكان ميكيل أنجيل مُحقًا. كنت قد لاحظت أنه عندما يقترب ليحوم حول التجمعات في الفسحة أو في فترة الراحة بين كل حصة وأخرى، ويقول شيئًا ما بفمه مفتوحًا ولسانه معوجًا، وغالبًا لم يكن هناك من ينظر له، ويقولون له «نعم يا ميكيل أنجيل» أو «لا يا ميكيل أنجيل»، ويبدو كأنهم لا يرغبون في الكلام معه. يوجد الكثير من الحمقى، وكانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف وكنا نسير باتجاه طريق الخروج من المدينة.

– أنا آسف.

– لا، أنا الذي يجب أن يأسف.

– أنا لست مثل الآخرين. لا أريد أن أكون مثل الآخرين، فهم

مغرورون ولا يحسنون معاملة من لا يشبههم. أو الأفراد الذين يعتقدون أنهم لا يشبهونهم. ولا أعرف أيضًا إن كنت أريد أن نصبح صديقين، لكنني لا أريد التخلص منك بأي طريقة.

كنا قد تجاوزنا محطة بنزين «سون باريرا» ونتجه إلى الأراضي الخلاء، حقول حماض وزهور مرجريتا وهناجر بجوار الطريق ومحطة القطار القديمة. كنا نسمع غمغمة المدينة لكننا لم نكن نرى أي شخص.

– أنا أعرف. لكن لا تضحك مني الآن، لكن حسنًا... أحيانًا أُفكر فيك، وعندما تكون في أفكاري تبدو كالملاك. –وتوقف، وبيده جعلني أتوقف، والآن لم يكن يبدو الفتى ذا الأنف المدبب والعينين التائهين المُتعبتين بسبب البكاء في الليلة الماضية، ووضع يده على قفاي، واقترب مني كأنه يقوم بتضحية، وقبَّل وجنتي. شعرت أن تلك القُبلة من تلك القُبل التي تدوم طوال الحياة، حقيقية. كأنما لم يُعطني إياها ميكيل أنجيل.

يسير ميكيل أنجيل بهدوء، على مهل، كأنه خارج العالم. ليس كـ"بسلَّة"، الذي يسير دائمًا بشكل هستيري، يركل الأحجار وينظر من جانب لآخر لربما كان هنا شخص ما سيهجم عليه من أي ركن معتم. ميكيل أنجيل يسير كأنه لا يشعر بالألم. سمعتُ أن أباه يضربه علقات كالكلاب، بيده وبالحزام. جسده جسد فتى، لكن يبدو أن جسده قد استطال بسبب ربط قدميه وساقيه في حصانين انطلقا في الركض في اتجاهين مختلفين، وساقاه

وذراعاه متراخون، يستندون على الأرض أو يتحركون من جانب آخر وتلتصق بهم الأشياء. في المدرسة يضحكون عليه لأنه يرتدي دائمًا بنطلون جينز قصير عليه وجورب يعود إلى طقس التوكيد الأول، ودائمًا يرتدي نفس البلوفرات ذات الأزرار البلاستيكية ونفس البنطلون الداخلي الرياضي القطني، وأعتقد أنه لا يرتدي سروالًا داخليًا في أيام كثيرة، مثل اليوم، أيام كثيرة مليئة بالبقع، لكن دون سوستة. أنا أرتدي البنطلون الرياضي مثقوبًا دائمًا. إن ذهب ميكيل أنجيل إلى بيته ذات يوم بسوستة في البنطلون، أعتقد أن أباه سيطحنه ضربًا. ردفاه مائلان ومتباعدان. لم أعتد على رؤية مؤخرات الأولاد، لكن يوجد شيء ما في ميكيل أنجيل يجذب النظر وأيضا غير مريح. لكن ميكيل أنجيل يمتلك أيضًا مؤخرة تدعو للإعجاب بها.

– شكرًا.

– علام؟

– لا أعرف.

– هل تريد قبلة أخرى؟

– هل تعتقد أنني فتى سيء؟

– لا.

– أو أنني شرير أو ابن عاهرة؟

– لا. بالنسبة لي أنت كالملاك.

لم أره من قبل يسير سعيدًا، ليس شاردًا، وإنما غير قلق، لا يحمل همَّ أي شيء في الحياة. وأيضا كأننا صديقان ولم يكن لديه أي صديق من قبل. في تلك اللحظة عندما لم يكن هو ذاته، لم نفعل سوى السير، وكان متحمسًا، وأنا كنت أنظر كيف يشعر بالبهجة. كانت هذه هي حياتنا في تلك اللحظة من يوم أمس. أحيانا نتحدث عن «حياتنا» كأنها كائن حي، لكنني أعتقد أن الحياة، كما نُفكر فيها ونعاملها، ليست سوى نتاج الآخرين في أفعالنا.

كنا جالسين منذ وقت طويل، كنا نحتمي بجدار، فوق أربع كراتين مهترئة ممتلئة بزجاجات وعلب البيرة. كنت أتكلم بلطف. وكان ينظر لي مبتسمًا، كان خجلًا. لا أعرف لماذا، من حين لآخر يخطر على صوت "بسلَّة" بينما يقول «هل أنت رقيق؟ هل تشعر بالخجل أمام ميكيل أنجيل؟»، وأيضًا كان يخطر على بالي عنف أفكار "بسلَّة"، بصراخ حاد بينما يقول «ابن العاهرة سبستيان، أين هو؟ لماذا لم يرغب في الذهاب معي للطريق الوردي؟». أحيانًا أنظرُ لـ"بسلَّة"، متوتر، غير واثق من نفسه، وأرى الفتى الذي جاء على التو من ركن حيث ذهب للبكاء ويستيقظ برغبة في القتل والتدمير.

– هل تعيش مع جدتك؟ –يسألني دون أن ينظر لي، كان خجلًا الآن.

–نعم، ومع أختي وزوجها. أختي طيبة، امرأة شابة، ليست

قبيحة، لكن ابن العاهرة زوجها يسيطر على عقلها، لا يطيقني. أعيش معهم منذ سنة.

–وأبوك وأمك؟

– لم يعد لدى أب أو أم. وأنت؟

– نعم. أمي تقوم بالخياطة. تقوم بأعمال البيت. وأحيانًا تقوم بأعمال مؤقتة. هل هذه ماريجوانا؟

– نعم، ألا تراها؟

– أنا لا أعرفها. إن علمت أمي أنني أجلس فوق كرتونات مع فتى يدخن هذا، ستتوتر كثيرًا وستبكي و...

– وأبوك؟

– عندما أكون في الشارع، في ميدان بورشوس، لا تبتعد أمي عن النافذة. تخشى أن أفعل أي شيء، وأن يراني أبي بينما يجلس في بار «بورشوس».

– يراك كيف؟ هل تبدو مختلفًا في الشارع؟

– أن يراني كما أنا. ألا يحدث لك هذا؟

– أنا؟

– أنت بلا أبوين. لا يوجد لديك من يقول لك ويُذكرك من تكون، وأن يقول لك إنه يعرفك أكثر مم تعرف نفسك.

– الشخص الوحيد الذي يعرفني هو جدتي. – اللعنة، في تلك

اللحظة أوشكت على أن أقول له «و"بسلَّة"»، لكن ليصعقه برق من السماء، "بسلَّة" ذلك الأحمق المجنون –وأنت ماذا تكون؟

– أنا هو أنا، ميكيل أنجيل، أنا.

كان النهار قد أصبح طويلًا. لم يعد المساء باردًا. كان الهواء يدغدغ ظهري بالأمس، كنت أشعر بالنسيم في أسفل ظهري، كانت هناك رائحة غبار، لكن أيضًا أن الصيف قد حل، رائحة عشب. رائحة العشب المتسخ هذه تغيبني. في الصيف، عندما كنت صغيرًا، عندما كنا نحن الصغار في المركز نذهب لقضاء شهور الحر مع راهبات «بينياديل»، كنت أجلس أحيانا على دكة حجرية توجد بجوار حمام السباحة. كان لون حمام السباحة أزرق عندما نصل، ومع مرور الأسابيع يكتسي بلون أخضر، أخضر بلون أوراق الخس التي تتعفن داخل أكياس بلاستيكية في الثلاجة، وكنا نلقي فيه بالنحل الميت، وكانت الراهبات يقلن لنا طوال الصيف إن عربة التصريف التابعة للبلدية سوف تأتي. كنت أشعر بالملل في ثاني أسبوع. كانت أكثر الراهبات عهرًا تقول إنني سأشبه مغربيًا أمضى شهر أغسطس بالكامل في جمع البندق إن جلست خلال ساعات كثيرة في الشمس دون أن أنزل الماء. وبالفعل كنت الرجل الذئب. كنت أحب الجلوس على تلك الدكة الحجرة. على الرغم من أن «بينياديل» كانت تشعرنا بذات ملل المدينة، كان هناك أثناء النهار ضوء يغير اللونين الرمادي والبني على وجوه الأولاد. بل وأثناء الليل أيضًا، في قاعة النوم المشتركة، حيث صف الفُرش وحفيف الحركات الليلية، لم يكن

بكاء الأولاد مسموعًا، ولم يكن أكبرهم سيئين كما يكونون في الشتاء، عندما يدخلون في فُرش الصغار ويقولون لهم إن أبائهم سيأتون في الصباح وسيطفئون سجائر في باطن أقدامهم أو يجعلونهم يتخذون وضع الكلاب الصغيرة ويرون إن كان هناك ديدان في أجسادهم.

في مساء ما، عندما يبدأ الجو في التحسن ونرى أن بضعة أيام فقط قد تبقت للعودة للمدينة، بجلود أذرعنا وعضلاتنا العارية مقشعرة، بسبب الهواء البارد بعد مطر أغسطس، كنا ننظر لبعضنا البعض في صمت. يصبح اليوم أقصر، ونجلس متجاورين كأننا أصدقاء. كنا نريد أن نشعر، بشكل جماعي، بشعور انتهاء الصيف مثل شخوص المسلسلات والأفلام التي نراها في التلفزيون، وأننا سنعود جميعًا إلى بيوتنا وأننا سنقسم على صداقة أبدية وأصياف دائمة. ماذا كانت الراهبات يرغبن؟ أن يموت الأطفال من الجوع لأنهن لا يقدمن لهم الغداء والعشاء؟ يصبح الماء أخضر اللون وأنا جالس على دكتي. أجلس هناك طوال الصيف، لم يكن هذا أمرًا جديدًا، كان ركني للنظر للضوء فوق الأرض ولأعد الأيام حتى أبلغ السابعة عشر ويمكنني الخروج إلى حياة جديدة. كنت قد تعلمت التنفس بعمق، وألا أنطلق جاريًا، ألا أطير وألا ألقي بنفس من أماكن عالية. كنت جالسًا على الدكة، بصدري عاريًا، كان المايوه صغيرًا ويخرج ردفاي منه. ولأن الطراوة قد حلَّت، كنت أشعر ببرودة تصعد من مؤخرتي حتى عنقي. كنت أسمع الأطفال بينما يصرخون، والراهبات

تصرخن، والفتيان الذين يصرخون ويتبادلون السباب. كنت أجلس بمفردي، دون قمر، مع ذئبي الراقد داخلي، ذئب ينتظر أن تحين لحظته ليحصل على حريته. ذئب يرتدي حفاضات، وليس مشعرًا مثلي، بلا أعين كثيرة مثل عيوني. كانت لحظة دخول كل الأولاد لتناول الطعام هي أكثر لحظات سعادتي. كلهم يدخلون، والشمس تغيب تمامًا، والعتمة تلتهم كل شيء. كنت أشعر بكل شيء بينما تصلني الرائحة من شفاط المطبخ، الذي كان مخرجه في الجدار المجاور لحمام السباحة. يصبح الجو أكثر طراوة، ولم أكن أدخل لتناول الطعام حتى تأتي أكثر الراهبات شبابًا، والتي لم تكن ترتدي ملابس راهبة، لتلمس قفاي وتقول لي «يا سبستيان، العشاء على المائدة»، وكنت أشعر بجرو الذئب الكامن داخلي بينما يتثاءب، يهرش في بطنه بنعومة، يبلل خطمه، وينام.

ولا أعرف لماذا انتابتني كل هذه الأفكار بينما كنت مقرفصًا مع ميكيل أنجيل. ربما لأننا كنا متكئين على ركبنا، كنت أرتدي حزامًا مرصعًا بالمسامير وكان ينغرس في ظهري، المساء يلتهم النهار، تزداد الطراوة في تلك الساعة. أنا وميكيل أنجيل متعانقان كأننا سنموت، أو كأننا متنا على التو وننتظر ألا يحدث أي شيء، الأيادي متلاصقة، مثل حلزونتين تخرجان قرونيهما، كأن كل منا يُحقِّر من نفسه أمام الآخر. كنت أشعر بعناقه ولا أشعر بعناقي. كان مبتهجًا وغير منتبه لأي شيء آخر. كان دافئًا وكنت أشعر ببرد في ظهري.

حدث هذا بالأمس. كان ميكيل أنجيل يتخفف من شوقه معي.

كان يتوق لكل ما لم يعش ولكل ما يعتقد أنه لن يعيش. إن كانت رائحته كالملاك، فقد كنت ككلب ضال عثر عليه في أرض خلاء. إن كان يعتقد إننا كنا نتبادل الحب، فقد كنتُ ليلة شتوية أمام مُجمع سكني أمام الشاطئ. كنا كصديقين لكننا لم نكن صديقين. مثل دجاجتين بلا ديك. إن داعبت ساقيه، قام بمداعبة ساقي. هل كان يريد أن أقلبه وأجعله يستمتع؟ كنت أمسك بشعره. وبالفعل، كانت الدقائق تمر.

- أنا هو أنا، ميكيل أنجيل.

- أعرف.

- لن تؤذيني، أليس كذلك؟

- لا يا ميكيل أنجيل. هل تريد أن تكون سعيدًا؟

- نعم أريد.

- هل تريد أن أساعدك؟

- نعم.

واستدار. وقدَّم نفسه لي. بدا لي متناسقًا وجميلا من الخلف، بعنقه بارد وشعره مقصوص بشكل سيء. انتهينا بعد ثلاث دقائق. انتهينا في ذات الوقت تقريبًا. ضحك ميكيل أنجيل، لكنها لم تكن ضحكة كالضحك، وإنما ضحكة بهجة، لشعوره بأنه بحال جيدة، معي. وبالأمس شعرت بذات الوحدة، بذقني فوق ظهر ميكيل أنجيل، بينما أساعده على أن يكون سعيدًا، كما كنت

أشعر عندما كنت أجلس على الدكة الحجرية وأمامي كل الرمال، السهل بالكامل، وأطراف برج الكنيسة التي كانت تثقب أصابعي. بعد ذلك عدنا للجلوس، كأنما لم يحدث أي شيء. اعتقدت أن ميكيل أنجيل سيسألني عن الساعة، لكن لا.

- هل تريد الذهاب للجامعة؟

- لا أعرف. وأنت؟

- لا أعرف إن كنت سأدرس، أعني إن كنت سأذهب للجامعة. ربما يمكنني العمل والحصول على راتب. لكنني أحب التاريخ. أود أن أكون مُدرس تاريخ. أو لغة. أعتقد أن العالم بسيط. يجب علينا جميعا أن نعمل وأن نستمتع، أليس كذلك؟

-....

- أحب أفلام الحركة ، ولكن ليس الانفجارات والنساء عاريات الصدر فوق مائدة بار، مثل أبي، الذي يمكن أن يقضى اليوم أمام التلفزيون بينما يتساقط لعابه لأن هناك شخصين في مطاردة سيارات، وأحدهما سينتهي به المطاف برصاصة في الجبهة. أود أن أرى أبي ، بدلاً من الجلوس على الأريكة وبطنه مدلدلة من الفانلة بينما يمسك بزجاجة بيرة، أود كثيرا أن أراه في حفرة متربة بجوار الطريق حيث تمر هذه السيارات الرائعة، أو في صندوق شاحنة، بلثته دامية وابن عاهرة يصوب نحوه مسدسًا. ولنر إن كان متماسكًا ورجلًا كما يقول.

- ...

- هل تعتقد أنني أفوح برائحة «فواه جراس»؟ لكن أخبرني بالحقيقة. أسألك لكي ترد علي بالحقيقة.

- من أين أتيت بهذا؟

- ذات يوم قال لي هذا جاومه، "بسلَّة".

- ماذا؟

- نعم، ذات يوم، في الحمام. تقريبًا كلما ذهبت للحمام أثناء الحصص وجدته هناك. ألا تذهب هناك؟ أحيانًا، أثناء الحصص، أشعر برغبة في البقاء بمفردي تمامًا، أخرج للممر عندما لا يكون هناك أي شخص، وأغلق الباب على نفسي في الحمام. ويكون "بسلَّة" هناك في مرات كثيرة. لا يدخن، لا يفعل أي شيء. أحيانا أفكر أنه يكون في دورة المياه في انتظار أن يدخل أي شخص، لا أعرف لماذا. ويتظاهر بأنه يتبول، لكنني لا أقف بجواره لأنني أدخل للتبول في الحمام دائمًا. أحيانا أتبول في المبولة، لكن إن دخل شخص ما، أتوتر ولا يمكنني التبول.

- ولماذا قال لك "بسلَّة" إنك تفوح برائحة الفواه جراس؟

- لكي يضايقني وبسبب سندوتشات وجبة العصر.

- سندوتشات؟

- أمي تعمل لي كل يوم سنتدوتشين من الفواه جراس. أنا أحب الفواه جراس، لكنني أحب الجبن واللحم المقدد والزيتون أيضا...

- دع هذا الأمر يا ميكيل أنجيل.

- وحسب الساعة يثير الفواه جراس غثياني، ولكي لا ألقى السندوتش، أتركه في الدولاب. المشكلة أن لفافات ورق الألمنيوم قد تراكمت. أنا لا أفوح برائحة الفواه جراس، لكن دولابي نعم. و"بسلَّة" يقول لي هذا لكي يضايقني.

- دع هذا الأمر يا ميكيل أنجيل.

- نعم، لكن يوم قال لي هذا وددت أن يدخل معي الحمام.

-....

- أنا لم أخبرك بهذا، لكن ذات يوم ذهبت مع "بسلَّة" إلى الطريق الوردي....

كان غريبًا أن أسمعه يتحدث كأنه صديقي. أو كأنه صديق حميم. الأمر يشبه العلاقة مع "بسلَّة" لكن ليس تمامًا، "بسلَّة" العاهرة، الذي يتواجد في كل مكان، ويضعه في كل مكان. مع "بسلَّة"، عندما ننتهي وأرغب في الرحيل، لا يصمت "بسلَّة"، يبدأ في الكلام والكلام، ويحكي أمورًا غريبة ويضع خططًا لنصبح ثنائي مكرس للجريمة المنظمة فقط. شعرت برغبة في الرحيل أثناء وجودي مع ميكيل أنجيل أيضًا، لكن ليس بسبب الاختناق أو الملل، وإنما لأن ميكيل أنجيل يعتقد أنني ملاك وأنا لا أحبه. جعلني أشعر شعورًا سيئًا للغاية بسبب حبه الكبير لي، ولا أريد أن أكون الخنزير الذي يترك الآخرين يحبونه بينما يأخذ في

التفكير فيما سيتناول على العشاء في تلك الليلة.

كان ميكيل أنجيل ينظر للساعة كل دقيقتين عندما حلت الساعة الثامنة والنصف. قال إنه يجب أن يذهب، لأن أبويه يجعلانه ينام في العاشرة من الأحد للخميس. وفي عطلة نهاية الأسبوع أو في عشية أيام الأجازات، عندما يبدأ أبوه في الشرب في ساعة العصر في بار «بورشوس، تذهب أمه للنوم مبكرًا ويمكنه إلى حدٍّ ما أن يفعل ما يعن له. عندما يكون الوقت حارًا أو في الصيف، يجلس كل الفاشلين مثل أبي ميكيل أنجيل على باب البار، بالكوب ممتلئًا والسيجارة مشتعلة لأن التدخين ممنوع في الداخل. قال لي إنه لا يشعر بالخجل من إخباري بما سيقول، لكنه طلب مني ألا أضحك عليه، ووعدته أنني لن أضحك منه الإطلاق. وقال لي إنه لا يهتم إن عرفوا بهذا في المدرسة، لأن صديقيه الوحيدين هما أنا وألبرت آبات.

- هل تعرف جويل؟

- الميت؟

- نعم. هل تعرفه؟

- لا. ولم يكن يعرفني أيضًا.

- لكنه كان يعرفك.

- وهل كنت تعرفه؟

- نعم، لكنه لم يكن راغبًا في أن يكون صديقي. ألا تريد أن

تعرف أمورًا عنه؟

- لا.

- لماذا؟

- لأنه مات يا ميكيل أنجيل. لابد أنه قد بدأ في التعفن الآن.

عندما وصلت البيت كانت جدتي جالسة على المقعد الهزاز، كما تركتها عندما خرجت. ولأن الستارة كانت مُغلقة، لا أعرف إن كانت قد انتبهت إلى انتهاء المساء وأن الظلام قد حلَّ. عندما أدخل البيت دائمًا ما تكون هناك رائحة مُعطِّر جو يجعلني أشعر بعدم الرغبة في الدخول.

- وأماندا؟

- لا أعرف.

- ورامون؟

- لا أعرف أيضًا.

- هل أنت بمفردك؟

- كما ترى، كالعادة...

- وماذا تفعل فتاة لطيفة مثلك بمفردها هنا؟

- لطيفة لا، وإنما جميلة. لديها تجاعيد أكثر من حبة الزبيب وبساقيها واهنتين.

– أنا لا أرى هذا. بالنسبة لي أنت أجمل من في هذا البيت.

– إذن لابد أن أختك أقبح من أبيك.

– وأنت أكثرهم في خفة الظل يا جدتي.

– وأنت أكثر من في الشارع وضاعة وحقارةً.

– هذا لأنني ابن ابنك.

– لا تذكر ابن العاهرة هذا...

10

وقع هذا قبل أسابيع. كان ميكيل أنجيل جالسًا بمفرده في ركن في مدخل المدرسة، لم يكن بمفرده لأنه يرغب في هذا، أو لأنه كان يريد الهدوء، مثل "الشيخ"، أو بحكم العادة مثل سبستيان. كان بمفرده لأن أحدًا لم يكن يقترب منه، لأنه لم يكن يحلق ذقنه وشاربه تقريبًا، وكان شعر شاربه مثيرًا للضحك، وعندما يحلقه كان اختلاف طول الشعر يُفجر الضحك. وأيضًا بسبب القميص ذي الزهور البنفسجية والبنطلون الرياضي الأخضر. بسبب الحذاء الرخيص الذي يُباع في السوبر ماركت ولم يعد لونه أبيض وإنما رمادي. بسبب الأظافر المتسخة، الطويلة المعوجة بسبب قصها بشكل خاطئ. بسبب نظرته الموحية بأنه وحيد تمامًا، لأنه كان هو، ميكيل أنجيل.

وتحيط به، بميكيل أنجيل، قشور فواكه وزجاجات بلاستيكية وعلب مشروبات مرطبة وأعقاب سجائر مسحوقة.

بوثا والتوأم المستحيل جالسون على سلالم الجمنازيوم. بوثا يتحدث، الفتاتان تتنافسان حول من تعرف زقزقة الطيور أكثر من الأخرى. مارك وأرناو، اللذان شعرا بالضجر من كل هذا، اقتربا من ميكيل أنجيل للكلام معه. لإزجاء الوقت، وليس لأنهما مهتمان بأي شيء يمكن أن يقوله ميكيل أنجيل، لمجرد قتل

الوقت، لقتل الحياة الموجودة في عيني ويدي فتى لا يمتلك سوى اليدين والعينين للتخفيف عن نفسه.

كانت الفسحة الأولى القصيرة. بعد ذلك تأتي الفسحة التي تدوم ساعة. كانت المنطقة بين ساقي ميكيل أنجيل بارزة في البنطلون القطني، لكنه لم يكن منتبهًا لهذا. كان يفكر في لعنة وجود ساعة راحة وسط النهار. كانت الشلل تذهب للتمشية أو تذهب إلى بار «أشبيلية» أو إلى المُجمع الصناعي بسيارة من أصبح يمتلك سيارة، أو يجلسون بجوار ملعب كرة السلة، بينما ينظرون للحارس على الجانب الآخر من السور الحديدي، ويظنون أنهم عبروا بفضل جدارتهم، مساكين حمقى بوجوه ممتلئة بالبثور الدهنية.

كان يتصفح ملحق الأحد. كان ينظر لتحقق حول الراقصين الواعدين في الرقص الكلاسيكي في البلاد، فتيان بأكتاف عريضة ممتلئة بالعضلات، أفخاد موحية بالعضلات المفتولة داخل سراويل الرقص الضيقة، أعضاء جنسية كبيرة واضحة. أحيانا، عندما يفكر المرء أنه يرتدي سروال رقص ويقفز حتى الطرف الآخر من العالم.

- اُنظر، يا له من مثقف، ميكيل أنجيل يقرأ في الفسحة.

- أنت، ماذا تقرأ إن كان ممكنًا أن نعرف هذا؟

- ماذا تريد أن تعرف حقيقةً؟ تحقيق حول راقصي الرقص الكلاسيكي الشباب في البلاد.

– رقص كلاسيكي؟ لنر إن كان راقص سيخرج من بيننا.

– يمكنه أن يكون راقصًا. هذا البنطلون الرياضي ضيق للغاية ويشبه سروال الرقص.

– لنر. يا لهم من راقصين حسنو المظهر...

– نعم، أليس كذلك؟ هل هذه أشياء حقيقية يا ميكيل أنجيل؟

– نعم...

–مممم، أعتقد أنك تحب ذلك الجزء غير المرئي لكنه مُحدد بين الساقين.

– هل تثيرك هذه الصور يا ميكيل أنجيل؟

– كان ميكيل أنجيل معتادًا على اقتراب أي شخص تافه ليسخر منه، وعلى أن يتقرب من شلة تتحدث عن أي أمر ولا يتركونه يشارك في الحوار. وبما أنه لا يضايق أي شخص، فإن كل الأولاد التعساء الذين يرون كم هم قبيحون أمام المرآة كل صباح ويتعرضون لاضطهاد الآخرين، يفرغون عقدهم معه.

– يا بوثا، ألم تر كيف يزجي ميكيل أنجيل وقته؟ – صاح أرناو باتجاه المكان الذي يوجد فيه بوثا والفتاتان.

– تعالوا وانظروا للحماقات!

ميكيل أنجيل يعرف أنه لا يمتلك سوى عينين صغيرتين زائغتين لمواجهة العدو، الذي يغير الجلد والاسم والصوت وسبب الممل.

الآن بعدما أصبحوا خمسة، نهض ميكيل أنجيل، كان مارك قد أخذ منه المجلة، بوثا والفتاتان كانوا يتلفتون حولهم ليروا إن كان هناك من يراهم بينما يضحكون. لم يكن ألبرت آبات موجودًا: كان يقوم بتصوير مستندات. أكثر ما لاحظه ميكيل أنجيل في تلك اللحظة أن ألبرت آبات لم يكن موجودًا.

– يا ميكيل أنجيل، هل تبحث عن قطعة الحلوى الأولى؟

– بوثا، توقف عن الحماقات.

– لست أحمقًا يا كلارا. لكن لابد أنه بحاجة لنصيحة أو مشورة.

–إنه ليس بحاجة لأي شيء، أليس كذلك يا ميكيل أنجيل؟

– لا توجد مشكلة. أنت لست الفتاة الوحيدة هنا، أليس كذلك يا مارك؟

– اقترب وسترى على الفور.

– هل هذا ما تريد يا ملكتي؟

– هيا، أخبرنا يا ميكيل أنجيل. عليك فقط أن تقول. أنت تحب القضبان، أليس كذلك؟ أعني أنك إن وجدت مهبلًا أمام وجهك ستمتعض، أليس كذلك؟

– حسنا، أنا أحبها.

– والآباط المشعرة والمؤخرات المشعرات والخصي المشعرة أيضا؟

– مارك، أعتقد أنك أيضًا تحب هذا...

– اسكتي أيتها الخنزيرة!

– فأر كريه الرائحة!

– وماذا؟ هل جربت هذا أم لا يا ميكيل أنجيل؟

– حسنًا...، نعم جربته، لكن مرات قليلة فقط.

– لنر، لنر، كيف مرات قليلة فقط؟ هل ثقبوا الثمرة أم ماذا؟

– ماذا؟

– يعني هل أخذت في مؤخرتك!

كان الخمسة يحيطون بميكيل أنجيل. كان في المنتصف، وينظر لوجوه الخمسة واحدًا تلو الآخر. بل أنه شعر في لحظة ما أنه بحال جيدة، أنه موجود بينما ينظر له أشخاص ويحيطون به. كانوا يريدون أن يحكي لهم شيئًا ما، كان يشعر كأنه ينتمي للشلة، وليس تسلية إضافية لمجموعة من الأولاد. وماذا كان يهمه في قول الحقيقة؟ الحقيقة لها طريق واحد فقط. حقيقتي هي التي سأحملها إلى القبر يا جويل.

– حسنًا، على سبيل المثال، يوجد شخص عملت له... –ووضع أصبعًا في فمه. أخذ بوثا وأرناو يضحكان، من فرط التأثر. وتحمَّس مارك، وأخذ يتحسس نفسه. الفتاتان أخذتا تضحكان. بدا لميكيل أنجيل أنهم سعداء به. هل يمكنه أن يكون صديقًا لهؤلاء الأولاد بعد تلك الدردشة ؟

– قُل، قُل، ماذا فعلت له؟

– ...

– هيا يا ميكيل أنجيل، أخبرنا، هل كنت محظوظًا وأعطاك الحلوى؟

كانوا صاخبين. ولا يوجد أي شخص في ركن ميكيل أنجيل. الأولاد، مُلحق الأحد مُتمرغًا على الأرض. كان يريد أن يحكي لهم، لم يكن يشعر بالخجل. كان باب الشارع مفتوحًا. كانت قاعة المُدرسين مُغلقة. كان أحد المدرسين يشرح رمز الفأر في رواية «المرآة المكسورة» في قاعة 2، كان الصوت يبدو صادرًا من مكان بعيد للغاية.

جاء جويل من الشارع. كان يشتري تبغًا. لم يكن جويل يدخن سجائر ماريجوانا مُطلقًا، لكنه يمتلك سجائر دائمًا، ولم يكن يعطي أي شخص. كان جويل يجلس بمفرده مثل ميكيل أنجيل، لكنه لم يكن يجلس مُطلقًا في منطقة الأعشاب أو بجوار القمامة. وقف لتأمل المشهد كشخص يتوقف للنظر لفقير يبكي في الشارع، خمسة من أكثر الفتيان شعبية يحيطون بميكيل أنجيل، الذي كان متدهورًا إلى حد ما، لا يجب التركيز في العادات السيئة للناس.

– وما زلت تفعل هذا؟

– قل، كيف يتم هذا؟ هو يطلب منك وأنت تهبط على الأرض؟

– ولماذا تسأل هذا الآن؟ ألا تريدون أن أحكي لكم هذا بهدوء؟

– وهل يضع الثقب الأسود أمام أنفك؟ – هذا ما قاله مارك، الذي أوشك على قطع أزرار البنطلون الجينز بسبب انفعاله.

– لكن قل الحقيقة يا ميكيل أنجيل، إن كانت كلارا أمامك، عارية من أجلك...

– ماذا تقول يا مُتخلف!!

–... لا تفزع يا ميكيل أنجيل! هل تعرف رائحة فص كلارا؟ هل تعرف نعومة إبطها وصدرها وبطنها وساقيها؟

– لا...

– بوثا!

– وماذا؟ هل يمكنك أن تلعقه لي يا ميكيل أنجيل؟

مارك، الذي تجمد في تلك اللحظة في أحلامه وترك مئات الآلاف من الخلايا العصبية تموت، ولا يمكن استعادتها. وهذا ليس أمرًا غريبًا. إنه أمر كثير الوقوع. خاصة في هوامش العقل يا جويل. استحال مارك كبيرًا وصلبًا لدرجة أنه أمسك بقفا ميكيل أنجيل ودفعه نحو صدر أرناو. ضحكوا. رأى ميكيل أنجيل فجأة أنه لم يعد ينتمي للشلة، وأنه أصبح لعبتهم. جويل، الذي كان يقترب باضطراد من المجموعة لكنه لم يصل للاشتراك في الحوار، كان ينظر له من بعيد، كأنه لا يخرج معه، بالأحرى، كأنهم يجب أن يلقوا في وجهه بالقفاز ثم يجب عليه أن يسأله «لماذا تلقوا لي

القفاز؟».

التقت عينا ميكيل أنجيل بعيني جويل. فكَّر أنهم سيتركونه في حاله إن تنحى جانبًا، كأنه لا يوجد أي شخص، خلسةً كما يفعل عندما يصعد سلالم بيت جويل.

– أين تذهب يا جبان؟ – سأل بوثا بينما يمسك بعنق قميصه.

– لماذا لا تتركوني في حالي؟

– تعال هنا يا شاذ – وبدفعة قوية تركه بوثا راكعًا على الأرض. كان يتوخى ألا ينثقب أو يتمزق البنطلون في منطقة الركبة، لأن أباه سيجعله يدفع الثمن غاليًا. كانت الأيادي تحيط به: أياد تتلاعب بشعره، أياد تمر على وجهه وأنفه، وكانت تفوح برائحة التبغ والعرق والملابس الداخلية وسندوتشات التونة. وأياد تمسك بعنقه. كان ميكيل أنجيل قد أغلق عينيه، وحاول عدة مرات أن يعدَّ حتى عشرين، كل شيء يمر وكل شيء ينتهي، وبعد وقت قليل سينتهي هذا الوضع أيضًا. من حين لآخر كان يفتح عينًا، كان يتلقى ضربات على قفاه، كان يبكي. اقترب جويل من المجموعة دون أن يُبدي رغبة في المشاركة. كانت الفتاتان قد ابتعدتا، وكانتا تنظران لما يحدث وتنظران لجويل وتمضغان اللبان كأنما لا يحدث أي شيء. كان ميكيل أنجيل راكعًا تحت أقدام الثلاثة، كان ينتظر فقط، لم تكن لديه أحلام خاصة، كما يحدث بدءًا من العاشرة مساءً أثناء الأسبوع، عندما يحلم في فراشه بأسوار معدنية وسيارات متوقفة خلف الإستاد وصفوف

من المغاربة أمام حوض غسيل.

– يا جويل، هل تريد أيضًا؟

– أنا؟

– ألا تعرف ما يحب ميكيل أنجيل؟

– لا...

– ايه! ماذا يحدث؟ ماذا؟ ماذا يحب؟

هذا ما قال "بسلَّة"، الذي ظهر بهستيريا كالعادة، كأنه انتهى من قتل عدو على التو، لكنه كان قادمًا من الحمام. رأى المعمعة عندما خرج، رأى فتى راكعًا على الأرض، لم يكن يعرف من يكون، وذهب مباشرة، ولم يكن يتمنى أن يكون شخصًا آخر سوى ميكيل أنجيل...

– يقول ميكيل أنجيل إنه يلعق شخص ما، أنه يفتح فمه، وأنه يأكل الجزرة، راكعًا هكذا –كان المُتكلم هو مارك، بحماس من يشارك في رقصة مثيرة.

قال "بسلَّة" بينما يشير لجويل:

–وماذا يفعل هذا الشخص هنا؟

–اصمت يا "بسلَّة"، أيها الكسول.

– سأحطم لك أسنانك، أيها المجتهد الحقير.

– بوثا، أرناو، ماذا تفعلان؟

عاد ألبرت آبات من تصوير المستندات. كان ميكيل أنجيل مستندا على ركبتيه ولا يتحرك. نظر لجويل لكي يساعده على النهوض، نظر لـ"بسلَّة" لكي يبعده عن هؤلاء الثلاثة، نظر لألبرت آبات لكي يحمله بعيدًا عن ذلك المكان. كان ينتظر الراقص الذي سيقفز من أجله، الصديق الذي يذهب من حين لآخر لتناول العشاء في بيته. لكن لم يكن في عيني ألبرت سوى حيرة. وفي عيني "بسلَّة" لم يكن هناك سوى شر وتحفز. وفي عيني جويل توجد متعة، متعة في برود صباح يوم في شهر فبراير.

– هيا يا ألبرت، لا تكن سخيفًا. إننا نتسلى قليلًا، ليس إلا. وميكيل أنجيل يلعب معنا. إنه يريد أن يحكي لنا كل شيء، أليس كذلك؟

– ماذا؟ أنت أيضا يا "بسلَّة" يمكنك أن تحكي لنا، أليس كذلك؟ ألا تريد أن تنزل على ركبتيك معي؟

قال ميكيل أنجيل هذه الكلمات في انطلاقة غضب. لم يكن لديه أي شيء يخسره، ماذا يمكن أن يحدث له؟ أن يضربه "بسلَّة" في وجهه؟ على الأقل سيخرج من وضع الركوع الذي لا يروق لا على الإطلاق. أراد ميكيل أنجيل أن يقول ذات الكلمات لجويل، أن يقول له إنه يمكن أن ينزل على ركبتيه لكي يذلوه أيضا، لكن جويل كان ينظر له، كان جامدًا، جافًا، كأنه يقول له إن كل شيء يمكن أن يتغير في أي لحظة.

– أنا ذاهب.... للتقيؤ! –قال "بسلَّة" هذه الكلمات، وذهب جاريًا

للداخل، كمن يفر من كارثة.

- إن هذا مثير للقيء.

- ما هذا البله الذي تفعلونه؟ إنكم مجموعة من....

«اللعنة»، فكَّر جويل، «ها قد جاءت الحثالة». خرج سبستيان من مكان ما، مثل حيوان يشم العدو عن بُعد. كان "بسلَّة" يدخل المبنى جاريًا بأقصى سرعة. أبعد مارك وبوثا وأرناو بأربع دفعات، هو الذي لم يكن مفتول العضلات أو ذا يدين كبيرتين ويحمل خاتمًا صغيرًا بفص في أحد أصابع يده اليسرى. كان ميكيل أنجيل يجلس مقرفصًا بعدما تم إنقاذه، لكنه لم يكن ينظر لأي شيء، أو حتى عيني جويل الجليدتين، الذي كان ينظر لعيني ألبرت آبات الجليدتين أمام نار سبستيان الملتهبة.

- ماذا تظنون أنفسكم؟ ماذا تفعلون؟ هل أنتم «كوك لوكس كلان؟ لا ينقصكم سوى إخفاء وجوهكم. هل تعتقدون أنكم أكثر ذكورة من أي شخص؟ أم أنكم شلة المخنثين الأكثر «روشنة» في المدرسة؟ ماذا يا بوثا؟ هل أصبحت من الرخام؟ إنك عاهر يا بوثا، مجرد ثرثار مثير للضيق. وأنت يا أرناو؟ ماذا تكون؟ عاهرته؟ تنظف مؤخرة ذلك الحقير؟ لتقبل مؤخرتي يا أرناو. وأنت أيضًا يا مارك، فأنا أعرف أنك تحب التقليد.

نظر سبستيان إلى جويل ولم يتوقف أمامه. أشعره هذا بإهانة أكبر من قيامه بالبصق عل وجهه. الأربعة الآخرون، باكون وصامتون مثل الطقس، تركوا أنفسهم للاحتقار والضآلة. توجه

سبستيان لمواجهة ألبرت آبات.

– وأنت، ماذا؟ ماذا تفعل مع هؤلاء البلهاء؟ هل تلعب معهم أم تنظر كيف يلعبون؟ أرى أن ميكيل أنجيل لا يهمك في أي شيء. أم أنه لا توجد عدالة عندما يتعلق الأمر بهؤلاء الحقراء الثلاثة من شلتك؟ إنك فتى طيب، كل الناس تعرف هذا، كل الناس تقول هذا عنك. وتعيش كشخص عادل صريح. إنك ليست حقيرًا مثل هؤلاء الثلاثة أو تافهًا عفنًا مثل ذلك الواقف هناك. –إن كان جويل يمسك ببلطةٍ في يده لكان قد قطع رقبته–. لكن اُنظر لنفسك: أصدقاءك الثلاثةً يضطهدون ميكيل أنجيل، لا تشارك لكنك لا تهتم بهذا. لم أكن أعرف أنك مقزز.

كما يحدث في أفلام المقاولات، عندما يفتح الفتيان أبواب السيارات بالمدي ويرتطمون بها في واجهات المحلات الزجاجية، بصق سبستيان على حذاء ألبرت آبات. أي شخص يراهما سيعتقد أن سبستيان وألبرت آبات صديقان منذ وقت طول وتخاصما الآن. كان سبستيان يبدو مجروحًا. لم يكونا قد تحدث من قبل مُطلقًا. كانا صديقين من نوع غريب.

– أين ذهب "بسلَّة" ذو الرأس الفارغ؟

– قال إنه سيذهب للتقيؤ... – قال مارك بجسد مسترخ تمامًا ثم صمت.

كان ميكيل أنجيل ما زال مقرفصًا. كان ينتظر أن يقول له سبستيان «هيا يا ميكيل أنجيل، لنبتعد عن هذا المكان»، لكنه لم

يقل هذا، واتجاه للداخل كأنه يطارد قطًا هاربًا. كانت الفتاتان على مبعدة عشرة أمتار، وانضم لهما مارك وبوثا وأرناو. سخرت كارلا منهم: ألم يكونوا يسخرون منها دائمًا لأنها بدينة؟ حسنًا، من حقها أن تسخر منهم أيضًا.

بعدما نهض ميكل أنجيل وجد نفسه بين جويل وألبرت آبات. بحث عن الملاذ في عيني أي منهما. كان ألبرت آبات جامدًا في مكانه، كان يبكي ويشعر برغبة في التدمير دون توقف، خلال ساعتين على الأقل. كان جويل ينظر له كما ينظر ذكر القط لقطة في منتصف الليل. كان مندهشًا لرؤية صفات لا يعرفها في ألبرت: الصامت، الضعيف، الحزين، المتعاطف. دقَّ الجرس. غزت الحشود ذلك المثلث. اختفى فضاء الحميمية، كما هو الآن، حيث يبدأ الجو في الطراوة وميكيل أنجيل ينام.

11

فقط يجب ألا يتصلوا، وألا يلحوا في هذا. توجد في البيت أركان منعزلة، خاصة باتجاه أشجار اللوز، حيث لا توجد تغطية لشبكة المحمول، ها أنت معزول ومُعبَّق بالرائحة، تمامًا كما يحدث عندما تمتص قشرة لوز وتترك وجهك لزجًا. إن اتصلوا ولم يرد ألبرت مع الرنة الرابعة، تبدأ أمه في الاتصال بشكل لا إرادي، وتتحدث بوقاحة، دون هذا الذوق الذي تتميز به في المطبخ، والذي يتبدى بشكل لا إرادي أيضًا، لكن بقدر من هذا، وبضعة حبيبات من ذاك.

في البداية، عندما بدأ يتركانه بمفرده، كانا يتصلان به في المساء وفي الصباح التالي لتخفيف قلقهما كأبوين أكثر من أي شيء. ولم يحدث مُطلقًا أن حددا له مواعيد للدخول أو الخروج. كما لم يشق عليه كثيرًا إقناعهما بعدم رغبته في الذهاب كل عطلة نهاية أسبوع: لم يعد البيت كما كان من قبل، وهو يمتلك حياة أخرى، اهتمامات خاصة به، وأنه يشعر بالملل هناك. بالأمس، على الرغم من هذا، بينما كانت الأم تطبخ وتملأ العلب، لم يقل لها ألبرت «ماما، سأعقد حفلًا هنا في الغد. لا تقلقا، عندما تصلا مساء الأحد سيكون كل شيء نظيفًا كشلالات ذهبية». أبواه، والكبار عمومًا، نمور من ورق، على الرغم من أن الورق قادر على القطع، وفوق الورق توجد أشياء أكبر، وعقاب وقمع. وبعد ذلك

الصمت. وبعد ذلك الزمن ومحاولة الاستمرار كأنما لم يحدث أي شيء.

استيقظ ألبرت قبل قليل. لم يسهروا كثيرًا ليلة أمس: ذهبوا إلى حفل افتتاح مكان سري، ما يشبه بارًا يدعى «إلينور». يمتلكه بضعة فتيان وقاموا بإقامته في جراج. كان الدخول يتم عبر تجويف سيء تغطيه ستارة من الخيش، وكانت الجدران مدهونة باللون الوردي، والطاولة لوح حملوه من مركز إعادة التدوير، وتمت تغطيته ببضعة مفارش بلاستيكية عليها صور فواكه استوائية.

كان بوثا متحمسًا للغاية لأنه يعرف فتاة ممن فتحوا البار، وكانت تعجبه كثيرًا، وظل طوال الأسبوع يُقنع كلارا وكارلا أن خروجة الأمس يجب أن تكون للأولاد فقط. كان أرناوا مُهتمًا بالذهاب أيضًا لأنه كان يعرف أن «"الشيخ" سيذهب»، وكان قد اعتاد مؤخرًا على شراء المخدرات منه، على الرغم من أن "الشيخ" يبيع له أسوأ الأصناف. يمكن توقع مجيء أرناو قبل ساعة من وصوله. "الشيخ" لديه خبرة أكبر من أولاد كثيرين في هذه المدرسة، ولا يبيع ذات الصنف للجميع. اللعنة على هؤلاء الأطفال الذين يشترون يوم السبت بمصروف الأسبوع، إنه يبدو أبلهًا لكنه على قدر من الثقافة. وإن لم يكن مثقفًا فهو ناصح شاطر. اللعنة على المدرسة.

وهكذا كان أرناو قد فقد السيطرة على نفسه. لكن ألبرت لم يكن

مدمنًا لأي شيء، سواء الخمور أو الأصدقاء أو الأقراص أو الفتاة الخجول الجميلة التي قدمها له أرناو أكثر من ثلاث مرات لكي يأكل بعقلها حلاوة ويذهب معها للخلف: إلى غرفة حيث كانوا يدخلون مثنى وثلاث وأكثر من هذا. كانت الفتاة تدعى مارتا، وكانت تفوح برائحة الفواكه الطازجة والشامبو الجيد. تحدث معها ألبرت وكانت متحدثة لبقة. أرناو البضين: حاول التملص منها بالتعلل بأنها قبيحة، أنها قصيرة، أنها فاشية، وعلى الرغم من هذا كانت تصبر لأن أرناو أخبرها بهذا من قبل، ولم تكن أي من الحجج مقنعة. عندما ملَّت تركت أرض المعركة، مساء الخير وإلى اللقاء.

الآن تدخل الشمس في عينيه. توجد ضجة كبيرة في المنور، لكن أريل غير موجود، لابد أنه نائم. من أين يأتي الصخب؟ أين ذهب؟ سيكون رائعًا اللقاء معه في ليلة ما، الاقتراب منه، لن يعرفه الآخر، ربما ينظر له بتعبير «هل أعرفك؟» على وجهه. صباح اليوم مثالي لكي يخرج أرييل ويضبط شعر إبطه.

يشعر بتحركات أمه من موقعه في الفراش، تقوم أمه بعمل القهوة وإعداد المائدة، إنها التاسعة والنصف وفي كل سبت تقوم بإعداد المائدة من أجل الإفطار. استيقظ يوك ويصرخ، وينتقل بين المطبخ والردهة زاعقًا، يشعر بجوع شديد وتسمح له أمه بدخول غرفة شقيقه والقفز فوقه وإيقاظه. كان ألبرت يُفضل أن يكون يوك في الثالثة عشر أو الرابعة عشر من عمره، وكان سيقول له إنه سيعقد حفلًا في البيت اليوم، وأنه سيحاول إقناع

أبويه لكي لا يصطحبانه إلى البيت الريفي، لكنه يعرف أنه إن قال أي شيء في هذه اللحظة، سوف يجد الشرطة الممثلة في أبيه وأمه داخل الغرفة، وسيضعان على الباب قفلًا مُعتبرًا يا ألبرت.

قرر النهوض وبدأ يرتب أفكاره أمام مرآة الحمام. لم تكن فكرة الحفل فكرته، وإنما فكرة بوثا ومارك... لا يجب أن يكون حفلًا كبيرًا، لا مجال للانحلال أو الإعياء، أي الالتزام بالأصول. كان يكرر هذه الكلمات لنفسه كل بضعة دقائق لأنه لم يكن مُقتنعًا تمامًا. «ليكن واضحًا يا ألبرت. حفل للبهجة والضحك ومحاولة التحليق». أرناو، المتألق كعادته عندما يعود من إحدى نوباته، تخيَّله بينما يحصل على ثمن تذاكر الدخول أمام باب البيت، وأنه يستخدم مائدة الطعام كطاولة بار. ويوم الخميس كان يرغب في عمل ما يشبه الدعوات وتوجيه دعوة عامة في المدرسة عن طريق وضعها في كل الدواليب. لكن ألبرت تصدى له بحزم: هناك فارق بين إقامة حفل صغير للاستمتاع قليلا وبين تحويل البيت إلى صالة حفلات.

بينما كانوا جالسين إلى المائدة ويفطرون بما أحضر أبوه، في الصباح الباكر، من فرن «بانيرس» – وهو ترف يخالف فلسفة الأطعمة المُجمدة–، سألته أمه مرة أو اثنتين كيف نهض لتناول الإفطار معهم. جراثيا، المرأة التي تقوم بالتنظيف، تطل من باب المطبخ وتقول «بالصحة والعافية، حتى الخميس القادم». لا تعيرها الأم انتباهًا وتنتهز أن لديها وقت لإعطاء التعليمات لابنها أكثر من أيام سبت أخرى قبل الذهاب للبيت الريفي: على اليمين

في الدرج الأول من المُجمِّد توجد كريات لحم بالكالامار، وتونة بالخضروات في الفرن، من الأسبوع الماضي، حيث قام الأب بتناول الطعام في الخارج بسبب ظروف العمل. يتحركون قبل الثانية عشر بقليل، قبلة لكل واحد منهم، ويوك يعانقه.

– هل ستأتي معنا السبت القادم؟

– حسنًا، نعم.

ويا للعجب، حنَّ لهم بعد أول نصف ساعة: الوحدة في هذا البيت تشبه شلال ماء مثلج فوق صخور ساخنة في الصيف.

يشعر في كل يوم سبت أنه وحيد لأول مرة. يقف في النافذة، يدور حول نفسه، يضع موسيقى أبيه « I’M Your Man» لليونارد كوهين، يلعب أنه في الخامسة والثلاثين من عمره ويعيش بمفرده، يجلس في البيت كأنما ينتظر شخصًا ما، ينظر عبر النافذة دون توقف.

مغسلة شقة أريل. السور الحديدي المطلي بالرمادي، الجدار المتقشر، مجفف الملابس البارز إلى اليمين، دولابان حيث يحفظان أغراضًا، المقعدان الأحمران اللذين يبدوان كأنما كانا في عربة متشرد يجمع الأثاث القديم من أمام البيوت. يستند ألبرت على حافة المغسلة، يشعل سيجارة، سيجارة يوم السبت عندما يذهب أبواه وتحمل مذاق الأرض والسماء معا. الطفاية هدية من يوك لأبيه يوم عيد القديس الذي يحمل اسمه، على الرغم من أن أباه لا يدخن في البيت لأن أمه تحظره عليه.

عندما يطفئها يشعل سيجارة أخرى. عادة ما ينهض أريل في أيام السبت بعد برهة من ذهاب أبويه. يقف ألبرت في المغسلة في الصباح، يتكئ بكوعيه على السور، ويراقبه. لا يلتقي بالآخرين مُطلقًا في تلك الساعة. غالبًا ما يكونوا نائمين بسبب الصداع الذي يتسبب فيه الإفراط في الشراب أو الأقراص. لكن ألبرت لم يعان منه مُطلقًا. ورغم أنه أفرط ذات مرة وعانى من حالة سُكر شديدة، واضطر بوثا لمرافقته إلى بيته بدراجة نارية تخص أخاه، إلا أنه استيقظ في الصباح التالي نشطًا ودون ذرة من الصداع.

في النهاية يخرج أرييل ويقوم بتمارين لفرد عضلاته. إنها لحظة مؤثرة للغاية. أرييل يكشف عن نفسه، يكشف عن نفسه دون تحفظات، لكن من بعيد لا يمكن رؤية سوى خط الشعر الذي قام بنفسه بالإبقاء عليه لدى حلاقة إبطيه. ينظر له ألبرت ويشعر أنه في لقطة في أحد تلك الأفلام الأوروبية الحميمية التي لا تتحدث عن حياة شخص ما بشكل محدد، وإنما عن الحياة كحاصل جمع حيوات كثيرة.

ذات مرة التقت عينا ألبرت بعيني أريل، كأنما تلتقي طبيعتان في صمت، لكن الآخر ينصرف للقيام بأموره: يبدو أرييل فتى يقوم بتحريك أشياء كثيرة، داخل البيت أو خارج البيت. يدخل ويعود للخروج بكوب قهوة. بالسيجارة الثالثة في فمه، التي تحمل مذاق الأرض أكثر من السماء، ويفكر ألبرت إن أريل سينتبه اليوم إلى أنه يعقد حفلًا، وأنه سيسمع الموسيقى أو سيرى أي منهم، وسيراقبهم ممسكًا بالمروحة اليدوية اليابانية ويراه ألبرت

عندما يذهب للإتيان بالمزيد من الشراب، وسيشير له بنفسه لكي يأتي. إن حانت لحظة ما، من سيُفضل للدخول معه في الغرفة من أجل التدخين ومشاهدة فيديوهات؟ أرييل أم سبستيان؟

وصل الأصدقاء بعد تناول الغداء. عملت كارلا كعكة لكنها لم تختمر، وبدت كعجينة محروقة من البيض النيئ والدقيق والزيت. ضحك مارك وأرناو. بدا ألبرت يشعر بالملل من سخرية الجميع من كارلا بينما يقوم بوثا بالربت على مؤخرة كلارا. ألا يملون مُطلقًا من مشاهدة ذات الحلقة من المسلسل بعد تناول الغداء؟ ألا يحبون الانطلاق في الجري، أن يلمسهم الهواء بمؤخراتهم عارية، وأن يستمتعوا بالجري فقط؟ بذات الترهات المعهودة لم يسأله أيهم لماذا ذهب إلى «إلينور بالأمس ولم يكترث بتلك الفتاة المثيرة التي تدعى مارتا.

بينما كان الآخرون يتصرفون كحمقى، كان ألبرت يفكر في كل شيء: المدعوون والجيران والشارع. ليس حفل عيد ميلاد أو لأي مناسبة. إنه مجرد حفل، مجرد انتهاز الفرصة وإقامة حفل في بيته الفارغ. بل إنه لا يصل لمرتبة الحفل، والشلة ليست كبيرة. يوجد جيران كثيرون غير موجودين في عطلة نهاية الأسبوع. بعد قليل سيضع قطعتين من الخشب في باب الشقة وفي بوابة الشارع لكي لا ينغلقا ولا يضطرون لدق الجرس. يراجع الثمانية أو العشرة الذين سيأتون. ويراجع من لا سيأتون أيضًا. بالأمس قام ألبرت بدعوة ميكيل أنجيل. نظر له بعينين منكسرتين وقال له «لماذا؟ لكي يحطم أصدقائك أسناني ويتبولون عليَ؟»

الشخص الآخر الذي لن يأتي هو سبستيان. منذ ظهر في المدرسة، بدآ يتبادلان النظرات، كأنما يتحدثان بأعينهما، وتحدثا لأول مرة عندما قام المتخلفون عقليًا الثلاثة بمضايقة ميكيل أنجيل وانتقده سبستيان لأنه لم يدافع عنه. في اليوم التالي ذهب ألبرت حتى سبستيان واعتذر له، قال له «أنا أسف». كانت كلمات صادرة من الداخل، وليس من الخارج. ألبرت عضو في مجلس الطلاب في المدرسة، يعامله المُعلمون جيدًا، يحترمه الجميع، ولا يشق عليه كثيرًا بدء الحوار مع أي شخص. عندما اقترب من سبستيان لكي يتحدث معه، كان هناك ما يشبه الحاجز في انتظاره. كانت هناك أثقال في حذائه أيضًا، برودة متحفظة في الدم. كان سبستيان جالسًا في ركنه المعهود، بوضعه المسترخي المعهود، بينما يدخن كالعادة. كان ألبرت يشعر أن الجميع ينظرون له، الجميع باستثناء سبستيان، الذي كان على الرغم من إداركه لاقتراب ألبرت منه، يركز بأفكاره ونظرته في جهة أخرى. كان ألبرت يعتقد أن سبستيان سيقول له إنه كان يجب أن يدافع عن ميكيل أنجيل، وأنه لا يختلف كثيرًا عنه، ويجب أن تُنكح هذه الشلة من الحقراء في مؤخراتها لكي يتخلصوا من غرورهم ومن هذا البله، وأنه يفضل البقاء مع "الشيخ" لمدة خمس ساعات أكثر من الجلوس معه لمدة خمس دقائق. لكن هذا لم يحدث. قال له «يجب أن تقول هذه الكلمات لميكيل أنجيل، وليس لي». كان ألبرت يُفضل أن يلكمه بقضيته في وجهه.

على الرغم من هذا، بعد بضعة أيام، تخلى سبستيان عن غضبه

وعادا لتبادل النظرات كما كانا يفعلان من قبل. وأيضا كانا يتبادلان بضعة كلمات من حين لآخر، ودائمًا ما كان ميكيل أنجيل هو الموضوع. كانا يبتسمان معًا، في أي ركن منعزل من الفناء، كأنهما حارسين لميكيل أنجيل. فكَّر ألبرت «يا لي من أبله، في أي قرن أعيش؟ لماذا لا أذهب وأسأله إن كان يريد التمشية أو أي شيء؟»، لكن سبستيان لم يفعل هذا أيضًا. سبستيان يشبه أريبل. إنهما فتيان مختلفان لكنهما ذات الفتى في الواقع. مع الفارق أن سبستيان يرد له النظرات والابتسامات، وبدلًا من وجود منور كبير يفصل بينهما، توجد بينهما مسافة أكبر: خوف، قدرات متواضعة ومنافسة بين الفصول.

يتناولون العشاء في المطبخ. لكن لا يوجد طبيخ ولا لحم في الفرن: مجرد خبز بزيت الزيتون. جاء مارك بزجاجتي نبيذ من البيت دون علم أبيه. بالإضافة إلى هذا، توجد زجاجتا فودكا وروم كبيرتان، الحفل واعد، من الأفضل أن يبصق المرء كبده بدلًا من قضاء مساء السبت في المنزل، بينما يشاهد التلفزيون ويرى الحياة التي تمر عبر الشرفة. فتى من أبناء المدينة يغلقون عليه باب الخروج ويضع حياته وروحه في الشركة: إنها نقطة مشاهدة الأشياء والتاكسيات التي تمر في العالم.

بعد وقت قليل يبدأ زملاء المدرسة في الوصول. يجلسون في الصالة، يدخنون، يراقبهم ألبرت لكي لا يحرقوا الأريكة بأطراف السجائر. لأول مرة منذ أصبح يوجد بمفرده في البيت يشعر أن هناك عينًا لأمه في كل مكان: عين داخل الطفاية، عين في قاع

الكوب، عين في الحمام، وصوتها بينما تقول: يا ألبرت، ستأتي معنا في الأسبوع القادم. يسمعون موسيقى، يتحدثون بترهات، لا يتكلمون عن أمر معين، لا يفعلون شيئًا محددًا، إنه لقاء هادئ، ممل. يا لها من شلة مملة دون رجاء، يمكنهم إقامة حفلات كثيرة دون أمل.

-ألا يوجد لديك أي شيء لنأكله؟

- كل شيء في الفريزر.

-ماذا؟

- لا شيء.

- السجائر المحشوة تأتي بالجوع.

- في هذه الحالة، لتفتح كيس بطاطس يا مارك.

بما أن الباب مفتوح ولا يدق أي شخص على الجرس، يقوم ألبرت بمراجعة الحاضرين. بوثا ماكينة في لف السجائر المحشوة. يجب عليه أن يفتح النوافذ طوال اليوم التالي لكي تختفي هذه الرائحة الكريهة التي تشبه غازات بسبب أكل الكرنب. يا لها من نكتة سخيفة. التعليقات تُقال من أجل الإضحاك، لكنها ليست لطيفة على الإطلاق. لم يبدأ الحفل بعد. كل من يصلون يأتون بتعليقات. عندما يقولون له إن بيته رائع، يرد قائلًا إنه ليس بيته وإنما بيت أبويه. وشخص آخر، ربما يكون مارك، يكرر كل خمس دقائق «يا لك من محظوظ، يسافرون ويتركونك بمفردك

طوال عطلة نهاية الأسبوع». يجلسون على الأريكة، على الأرض، أخرج ألبرت حصائر المعسكرات الخاصة بيوك وبه لكي يرتاحوا في جلستهم. اشترى في العصر أكوابًا بلاستيكية وكيسي ثلج، ووضعهما في الفريزر، بجوار طعام الأسبوع.

الموسيقى عالية لكن لا يرقص أيهم. عادةً لا يرقص أي شخص في هذه الحفلات. في الحقيقة هذه ليست حفلات، كما هو الحال في «إلينور»، حيث الموسيقى بين ما يُسمع في الديسكو والراب، وإن لم ترقص وسط الدخان أو تذهب للغرفة الخلفية مع شخص ما، فأنت ضائع لأنك ستشعر بالممل، وتبدأ سؤال إحداهن، والأخرى، ونفس سيجارة هنا ونفس هناك وفي النهاية تذهب هناك في رفقة، وتفقد الحفل وتجعل من يرافقونك يفقدونه أيضا. وهذا لا يُشعر ألبرت بالضيق، لأنه في الواقع لا يحب الرقص، خاصة عندما يبدأ الكحول في التأثير على رأسه وينسى أنه في بيته، وقبل ساعات كان هناك أبوان وأخ صغير. في الحقيقة كانت سجائر بوثا الحشوة تجعل المرء يميل للثرثرة، أليس كذلك؟ ومن المعروف أن الكثير من الكلام يترك الكثير من الجراح.

توجد حركة من الردهة إلى الصالة. مرآة الردهة كثيرًا ما عكست ربطات عنق أبيه وثنيات بنطلونات أمه وتعبيرات وجه يوك المضحكة وجسد ألبرت العاري عندما يكون بمفرده، الآن تكشف المرآة عن الباب الذي يُفتح وأشخاص يدخلون، ينظرون حولهم كأنهم يصورونهم أو يكشفون عن شخصياتهم العجيبة، يمدون أعناقهم ليروا إلى أين يجب أن يتجهوا، يضحكون كاشفين

عن أسنانهم، يرفعون أذرعتهم ويكشفون عن آباطهم، «يا رفاق، لقد وصلت للحفل». إنهم زملاء من فصل آخر وكانوا قد عرفوا بأمر الحفل في حصة الفلسفة، ثلاثة زملاء يعرفون بوثا من البار الذي يلعب فيه البلياردو وأربعة فتيان من الحي رؤوا أشخاصا يدخلون بابًا غير مُغلق.

- ما رأيك يا ألبرت؟ هناك فارق بين أن يأتي بضعة أصدقاء لقضاء شيء من الوقت وبين خروج كل شيء عن السيطرة. أنت فتى يتمتع بحس المسئولية...

- ربما يكون هذا صحيحًا...

الكل يريد أن ينتشي، يريدون التجمع في الصالة. الجو لطيف في الخارج وحار في الداخل. بضعة فتيات أتين مع زملاء حصة الفلسفة بدأن يرقصن في دائرة بجوار النيش. أعينهن مغلقة كأنهن يرقصن مع الذئاب في قلب الصحراء، في ليلة مرصعة بالنجوم. نعم، إنهم قادمون على التو من تصوير مشهد في فيلم في فنار «مولا». إنهم كالفرسان وسط العاصفة يا ألبرت.

12

تعال أيها الموت،
لقد أعددت الغرفة، أصبحت جاهزة: باقة الزهور،
الموسيقى شديدة البطء، الحرير،
الساهرون في الليل: لقاء مثالي.

جوسيب ماريا يومبارت

الطبيعة الميتة حاضرة في كل الأركان، باستثناء طيور الجنة، التي يمكن سماعها في تلك الساعة. في المقبرة، تسقط فروع التوت والسنط على الجدران والأسوار، وتمتد أشجار السرو دائمًا خلف الأسوار، وتراقب الأحجار التي تفصل بين الحياة والموت.

صف من المقابر لكي يمكن الوصول للركن الأخير: مربعات حجرية تُمسك بها حلقتان معدنيتان. يمكنك لمسها، لن يرد عليك أي شخص. المكان ليس خانقًا، على العكس، إنه مفتوح، مشرق، كأنه جذاب، مُزخرف. عندما يكون الجو مشمسًا يمكن الجلوس في هدوء في ظل شجر توت: إنه مكان رطب للغاية. والآن حيث ما زال الليل حاضرًا والجو ليس باردًا اليوم، تكون النزهة لطيفة. الألم يخص الأحياء، وليس الموتى. الوحوش ليست نتاجًا للوحوش: إنه موجود لكي يحمله الناس العاديون داخلهم.

الموتى لا يشعرون بالحزن.

هل يسمعنا الموتى عندما نمشي ونصنع مواقف حياتية صغيرة فوق أجسادهم الجافة أو المتحللة؟ يقول "بسلَّة" أحيانًا إن الموت ليس نهاية الحياة، أن الأموات يعودون للحياة باستمرار. وعندما لا يكون هناك أحياء في المقابر، يخرج الموتى من قبورهم، ينظرون لمزق الملابس التي يرتدونها ويعجبون بها كأنها ملابس أنيقة، يذهبون لزيارة القبور الأخرى، ويغنون للموتى الآخرين بأريحية. الجثث الشابة تمارس الحب مع بعضها البعض، وأكبرها عمرًا تنظر لها بأسى من لم يمارس الحب منذ دهر. يقول "بسلَّة" إن المرء إذا مات شابًا، فإنه سيترك جسدًا مليئًا بالرغبات. يشاهد "بسلَّة" القنوات الشبابية كثيرًا. وعادة ما تكون القنوات الشبابية أسوأ من وصف «شبابية» ذاته.

الدخول للمقابر أمر شديد السهولة. الأسوار عالية، والقضبان الحديدية مقبضة، من الحديد، وأطرافها مدببة. لكن إن سرت في الشارع الذي يوجد به مضمار سباقات الدراجات، حيث تسير السيارات الجنائزية، سترى شجرة توت عجوز، عالية للغاية، جذعها وفروعها سميكة للغاية. يمكنك تسلقها والقفز في الداخل، ويمكنك أن تسير وتتجول على راحتك إن لم يرك الحارس، ولتطمئن، فهو لن يراك.

في ضوء الفجر، بالقمر مُكتملًا، متقدًا، والضوء الشاحب الأصفر لأعمدة الإنارة في الشارع، وصل ميكيل أنجيل إلى المقابر كأنه

ذاهب للتنزه والزيارة، بعدما خرج ساهدًا من الحفل الذي عقده ألبرت آبات في بيته مساء اليوم.

في نهاية شارع بيت ألبرت آبات توجد حقول «لا رييرا». التي ما زالت موجودة، بالأشجار التي تنتظر الموت تحت الأسمنت والماكينات. وفي الجوار توجد بيوت صغيرة من الحجر ورافعات وحفارات. وبعد ذلك شارع المضمار الرياضي وبرج المقابر. الآن يسير ميكيل أنجيل على مهل في طرقات مزينة بشواهد القبور، يبحث عن قبر جويل، يعثر عليه بسهولة، كان قد ذهب في يوم الدفن. يشعر بالألم للمشي فوق القبور، لمضايقة الموتى. جويل على رأس هذا الصف. ميكيل أنجيل لا يشعر بالخوف من أي شيء. يصل إلى جويل، يجلس بجوار باقات الزهور شبه الجافة التي جاءت يوم الدفن، ينظر حوله، يتلهى بالنظر لصورة عجوزين يرقدان في القبر المجاور. يسترخي، كان قد ذهب للحديث مع صديقه.

– لا أعرف إن كنت قد اعتدت، على ألا تكون حيًا. أعني إن كنت تلحظ هذا، إن كان الموت تجربة مؤثرة. من وجهة النظر من هنا، من فوق، يبدو غريبًا للغاية إدراك أنك قبل بضعة أيام كنت تمتلك كتبًا ودفاتر وتضع يدك على مقبض الباب، وعلى العكس لا يوجد منك الآن سوى اسمك منقوشا على حجر. كما أشعر بالتأثر لأن اسمك المكتوب على ورقة يمتلك ذات قيمة اسم شخص ميت منذ قرون. هل أنت مُغرق في الموت مثل أي ميت من القرن الماضي يمكن أن يكون بجوارك؟ أم يوجد شيء ما منك في الأسفل؟ هل

تسمعني؟ إن فتحت الغطاء ووجدت سلمًا، إن نزلت يا جويل، سأنتظر جالسًا أو مُستلقيًا، حتى إن كنت متسخًا لوجودك في قبر، هل سنجلس في صمت كما كنا نفعل من قبل؟ سأعود للوقوف أمامك، صامتًا، بينما تنظر لي عرضًا وتقول لي ما يجب أن أفعل. أنا أفتقدك. ها أنا أرى أن الموت في الحقيقة هو الصمت. صمت الحياة داخل الصخب الذي تفعله الأشياء وتوقف عن سماء الصخب الدائم العبثي للأفكار، هذه الأفكار ذاتها، التي أفكر فيك بها وأحدثك وأعلل هذا لنفسي، وحيدٌ، أمام صمت لا أمتلكه بمفردي. الوقت متأخر يا جويل. خرجت من بيت ألبرت آبات قبل أقل من ساعة. خرجت لأن سبستيان قال لي هذا. لم أكن أرغب في هذا، لكنه قال لي هذا. لم أكن راغبًا، لكنه... لا. كنت أود أن أقول له لا، لكن هو... هو وألبرت... و"بسلّة"....

....

– نعم يا جويل، في النهاية قررت الذهاب مساء اليوم لحفل ألبرت آبات. كانت أمي في بيت إحدى الجارات، وأبي في بار «بورشوس». بينما كنت أمشي أدركت أن السير من بيتي حتى بيت ألبرت آبات يشبه الانتقال لمدينة أخرى. شارع بيتنا قديم، ضيق، بيوته واطئة، غير مستقيم، واجهات البيوت متقشرة، النوافذ من الخشب. لكن عندما تعبر ميدان «باريس» ترى شوارع عريضة، مبان حديثة، إشارات مرور تجعل السيارات تتوقف، وسيارات تتوقف في إشارات المرور. بيت ألبرت آبات بيت فتى عادي، لديه أبوان وعائلة تليق بفتى عادى. على العكس فإن بيتنا

متعفن، وهو هكذا لأننا على هذه الحال. الوقت متأخر ولم أنم بعد. لابد أن أمي قد شعرت بالندم وقامت بالصلاة، مثل كل يوم، قبل أن تسقط كالحجر في الفراش، حتى وإن قالت غدًا إنها لم تنم طوال الليل. لا أعرف لماذا تصلي. أنا لم أصل مُطلقًا من قبل، وعندما حاولت الصلاة لم تكن تصدر من داخلي، لشعوري بأنني في لعبة لا أحبها. لابد أن أبي يشخر كالخنزير المترع بالطعام، لأنه لم يتوقف عن الشراب مساء اليوم، في بار الميدان، مع العجائز الأربعة الفاشلين مثله، أصدقاؤه في الحي، هو الذي بلغ الخمسين من عمره ويشبه جدارًا مُحطمًا. يا جويل، على الرغم من أنه ينظر لي بتعال، ويرفع يده علي، ويضربني لدرجة تركي مُحطمًا خلال يومين، إلا أنني أعرف أنه نبتة ميتة، أسوأ من بوص جاف، خشب مسوس لا فائدة منه. أدرك هذا خاصة عندما يكون في بار «بورشوس» وأكون في الميدان ويتظاهر أنه لا يراني. وعندما يمر سبستيان ونتبادل النظرات، ألاحظ أيضًا أن عيني أبي ممتلئان بالخوف، خوف من سبستيان. كما يحدث عندما يعبر الميدان ويراني أتحدث مع بيب وجان، وأعرف أنه لن يقترب أكثر من هذا لأنهما أكثر شبابًا منه، لأنه لا يواجه سواي، لأنني نحيف وأشعر أنني ضئيل الشأن. أبي يسلبني السلام يا جويل، لكنني أعود لوضعه داخلي. السلام الذي أشعر به هنا يا جويل، حتى إن كان جلوسي أمامك يعني السكون أمام قبر، ولا يمنعني من رؤية وسماع الموقف الذي لم أشهده اليوم في البيت: شخير أبي، تنفس أمي والستارة الشبكية القديمة التي يضاعف نور مصابيح

الشارع الصفراء من دكنتها. أود عدم الرجوع للبيت مُطلقًا يا جويل، إن فتحت لي باب قبرك. سأدخل دون أن يراني أي شخص، تمامًا كما كنت أدخل بيتك عندما لا تكون أمك موجودة، بعيدًا عن أعين أي شخص في المدرسة، أنت في الأمام وأنا في الخلف دائمًا. ولا يوجد أي شخص خلفي...

....

- هل تعرف؟ لم أفكر مُطلقًا أنك تختبئ مني أو تتفادى رؤيتي. أعني أنني لم أتوقف للتفكير في هذا بينما كنا في المصعد وتتظاهر بأنك تصعد بمفردك، لكي لا تكشف لي عن فرحتك بذهابي معك، ولم تكن تبدي اكتراثًا، كما يفعل الكل. أعرف أنك كنت ترغب في أن تجعلني أرى أنك أفضل مني، أنك كنت تتنازل وتجعلني أذهب معك لأن.... لكن في الواقع أعتقد أنك كنت تعرف أننا كنا شخصين لا يكترث أو يهتم بهما أي شخص آخر. كان كل منا يناسب الآخر. ليس لأن كل منهما هو شخص يخجل منه الآخر، كما هو الحال مع سبستيان و"بسلَّة". لكن لأن كل منا بمفرده كان شيئًا مُخجلًا. أنت الآن لم تعد مخجلًا لأنك ليست سوى اسم صامت أبكم. لكن أنا شيء مُخجل يا جويل. أنا أتنفس يا جويل، لكنك لم تعد تتنفس.

....

- وعندما كنت اليوم في بيت ألبرت آبات، لم أكن أعرف ماذا أفعل بنفسي، لأن الحفل كان يسير بمفرده، كان هناك الكثير من الناس

والموسيقى، لكن لم يكترث بي أو يتحدث مع أي شخص. ذهبت للمغسلة وهناك وجدته ممددًا على الأرض. عندما تعاملت معه كما يتعامل الفتيان فيما بينهم كل يوم، أبعدني عندما دخل شخصان ما المطبخ. أنت لم تعد شيئًا مُخجلًا لعدم وجود من يتحدث عنك يا جويل. تركت عالمنا ولم تخلف آثرًا. من كانوا يسبونك من قبل لم يعودوا يفعلون هذا الآن لأنك ميت، والموتى لا يُضربون أو يتلقون السباب. حملهم الزمن. والزمن يصبح أسابيع وشهور وسنوات. وتمر السنوات، وإن كان كل هؤلاء الفتيان يتذكروننا، يتذكرون عندما كانوا يسبوننا، لن يتبقى لهم سوى القليل من الشفقة على ذلك الفتى الظالم، غير الناضج والخائف الذي كانه كل منهم، لهذا، بسبب الخوف الذي كانوا يشعرون به. هل كنت تخاف مني يا جويل؟ أنا لم أكن أخافك. أنا لا أخاف، سواء أنت أو سبستيان أو أبي أو "بسلَّة"، بهاتين العينين المتقدتين، هذا الوجه الذي يشبه البيضة المكسورة، ذلك الشعر الذي يشبه أوراق البسلَّة. أحيانا، كان "بسلَّة" يثير الضحك بسبب الخوف الذي يشعر به. "بسلَّة" ليس موحيا بالثقة، يعيش متوترًا، يسير متقافزًا، ينظر دائمًا لجانب ولآخر لربما هاجمه شخص ما في أي لحظة. "بسلَّة" يصل للنشوة دائمًا كأنه وصل لمكان قبل خمس ثوان من وقوع كارثة.

....

– ذهبت اليوم مرتين إلى بيت ألبرت آبات. عندما خرجت في المرة الأولى رأيت ”بسلَّة“ يسير جيئة وذهابًا في ميدان «باريس». لا أعرف كم كانت الساعة بالتحديد، لكن لم يكن هناك أي شخص في الشارع. كان ”بسلَّة“ يتحدث بمفرده، كان ينطق بخطبة يائسة. أنا أعرف أنه لا يحبني، لم أكن واثقًا من الاقتراب منه، لكنني كنت بمفردي هناك، بكل كلماتي الصامتة، وهو أيضًا كان بمفرده، بكل كلماته التي أصبحت كتلة مضطربة غير مفهومة. نعم، كانت رؤيته هكذا مثيرة للضحك. وكان يثير شيئًا من الخوف. في نهاية الأمر يثير ”بسلَّة“ الخوف لكثرة ما يثير الضحك، لأن شخصًا مثله، يعيش في العالم دون أن يقبل أي شخص مهمش ولأن الكل يتحاشاه، يصاب بهلاوس تدفعه لتدمير كل شيء، يتوقف عن الابتسام ويشعل النار في كل شيء. ”بسلَّة“ هو الفتى التقليدي الذي يبدي الاهتمام على وجهه بينما يتحدث معك، ويبدو أن يوشك على معانقتك، ثم يُخرج مدية ويقتلك مبتسما، ويتركك نازفًا في أي ركن في الشارع. وتمنيت أن أكون صديقه في وقت ما يا جويل. كان الأمر سيصبح سهلًا إن كان قد تقبَّل أنه ليس فتى محبوبًا، أنه بلا أصدقاء يحترمونه، إن كان قد تقبَّل أنه فتى مجهول، مثلي، ومثلك يا جويل، أنت أيضًا لم تكن راغبًا. لقد حاولت معه ولم أنجح. ومعك يا جويل؟ هل نجحت؟ هل تسمعني يا جويل؟

13

إنهم فرسان في قلب العاصفة يا ألبرت. شيئًا فشيئًا يتحول الحفل إلى حفل حقيقي. جزء من عقله يبدأ في الاسترخاء، يُبعد المدرسة وأبويه وأريل وسبستيان. لماذا الانشغال بأشياء لا توجد أمامك إن كانت هناك أشياء أخرى أمام عينيك؟ جويل ميت أيضًا، وإن جاء ميكيل أنجيل، يمكنهم أن يتسلوا قليلًا على قفاه. هذا الجزء من عقله لا يقوم بالتركيز وإنما يستمع للموسيقى، يستنشق الدخان، يضحك من الحوارات، ينهض ويرقص. كما يوجد جزء يُفكر في الباب والجيران والمرآة، لا يريد أن يكسروها، ويفكر في علب الطعام. ألبرت ذو الرأس العاقل، الذي يمتلك أربع شعرات في صدره، قادر على التفكير والتوفيق بين شيئين: الرقص والضحك لأنه لا ينتبه إلى أنه يخرج من الصالة لكي يراقب كل شيء، وينظر للمدخل ويتأكد من عدم دخول أي شخص في غرفة أبويه. كما أن جزء منه يفكر «عليكما اللعنة يا أبواي، لا يوجد مزلاج في بابكما».

بينما كان في الطرقة، بدأ ألبرت فجأة في التفكير إن هناك فارق كبير للغاية بين هذا وبين، وبين، الأفكار تراوغه، إنها سجائر المارجوانا، أليس كذلك يا بوثا؟ نعم، في الباب، أمام الباب، الباب الذي يُفتح، يوجد الوجه القبيح، كالفأر، الوجه المسوس، والذي كان أبيض على الرغم من هذا، مليء بالجراح الداخلية لكنه بِكر

تقريبًا دون بثرة واحدة، وجه "بسلَّة"، جاومه "بسلَّة"، بشعره الشبيه بأوراق البسلَّة، ها ها ها! يا لها من فكرة، اللعنة، من الذي أطلق عليه هذا اللقب؟ و"الشيخ"، يقف "الشيخ" خلفه، يمكن لأي شخص أن يرى فيه وجه مغربي، هاهاها، أنفه مفلطحة وقصة شعره تعود لعصر أداء أبيه للخدمة العسكرية، لكن كأن موتوسيكل قد مرَّ فوقه، ها ها ها! اللعنة، اسكت، المرآة بخير، أليس كذلك؟

- "بسلَّة"، "الشيخ"، ها ها ها! كيف حالكما؟

- هل سبستيان موجود؟

- لا، إنه لم يأت.- قال هذه الكلمات لكنه لم يكن متأكدًا. في تلك اللحظة كان هناك أشخاص لا يعرفهم، وكان هناك أشخاص لا يعرفون أين يوجدون.

- ماذا بك يا فتى! إن عينيك غائمتان!

- وماذا تفعلان هنا؟

- هذا حفل، أليس كذلك؟ بم تحتفلون؟ هل هو عيد ميلادك؟

- لا، لكن...

- هاك هدية يا فتى.

عندما يكون "الشيخ" جالسًا على حاجز المدرسة بمفرده تمامًا، يوجد به شيء غامض، رمادي، كأنه مجنون، لكن عندما يرفع رأسه وترى أنه يمتلك عينين تحت خصلات الشعر المبعثرة،

عينان تنظران لك وتتوافقان في الحركة مع يد تقترب منك، ليس لكي تطلب منك أي شيء، وإنما لكي تعرض عليك قرصًا وتقول لك ألا تكون نافد الصبر، أن تتناوله شيئًا فشيئًا، كأنما شخصًا ما آخر يظهر أمامك، كأنه القديس كريستوفر الذي يظهر أحيانًا تحت طبقة السخام البشري التي يُشكلها "الشيخ".

النصف الأول يختفي تحت لسان ألبرت. يحيط "الشيخ" بكتفيه بأحد ذراعيه ويدخلان الصالة. يُحيي "الشيخ" بحماس وبهجة لكن لا يرد أي شخص على تحيته. لا توجد أي بادرة على أن "الشيخ" قد دخل. اللعنة، الموسيقى ليست سيئة على الإطلاق. وأنت تجلس في ركن وتبدأ في استحلاب القرص. توجد ضحكات. عادة ما يحدث هذا: ضحك دون توقف.

لكن "بسلَّة" لا يضحك. يبدو غاضبًا حانقًا أمام مرآة المدخل. أين سبستيان؟ اختفى منذ أيام كثيرة. يذهب للمدرسة لكنه يتبخر، عندما يتوجه إليه يكون قد اختفى، أصبح مراوغًا. لم يعودا يذهبان للطريق الوردي، لم يعودا يتكلمان وينظر لك يا جاومه كأن وجهك نبتة بسلَّة. يحاول ارتجال تصفيفة لشعره أمام المرآة، وهي أيضا طريقة لإزجاء الوقت يا جاومه. لا يشعر برغبة في الاشتراك في الحفل على الإطلاق، هؤلاء الأفراد لا يروقون له، وبيت ألبرت آبات بذيء ويحاول التظاهر بالفخامة، مثل تلك المرآة البشعة، الموجودة في الردهة. توجد في بيته مرآة جيدة للغاية. نظر لنفسه فيها قبل الخروج اليوم، بنية المجيء لهذا الحفل الممل لقضاء الوقت، خاصة لكي يرى إن

كان سبستيان موجودًا، وإن كان سيهتم بالاقتراب منه ليتحدث معه. ذلك الخنزير سبستيان، من كان يظن نفسه؟ هل يعتقد أنه يمكن أن يفعل أي شيء من دونه؟ هل يعتقد أنه لن يتم العثور عليه بعد خمس دقائق. عندما نظر لنفسه في المرآة شعر أن انعكاسه يسبقه قليلًا، أن الوجه الذي ينظر له في المرآة يعرف أشياء أكثر منه، أنه من يمتلك العقل المُفكر، الجسد الذي يشعر والقلب المتقد.

اليوم، عندما خرج من البيت ليلتقي بـ "الشيخ"، رأى جاره في البيت المجاور، كان وجهه مريرًا أو ملولًا، على حالة من اليأس لا علاقة لها بالأرق، كان جالسًا مع شلته المكونة من ثلاثة أشخاص على الدكة المقابلة لمركز الصحة. كان يحمل على وجهه ذات التعبير عندما يخرج من باب البيت مع أبويه وتدخل كل العائلة في السيارة. هل هؤلاء الفتيان الثلاثة في الرابعة عشر شلةً من المهمشين؟ فكَّر "بسلَّة" في هذا. كانوا جالسين على الدكة، ينظرون في المحمول، لم يكونوا ينظرون لبعضهم البعض، كانت شعورهم تغطي عيونهم. بم يشعر الفتى عندما ينتهي من طلاء أظافره باللون الأسود ويرتدي ملابس تتطلب الاستحمام؟ هل ينظر لنفسه في المرآة طويلًا؟ كان "بسلَّة" يفضل رؤيته دون أصدقائه، بيديه ساكنتين. ماذا يجب أن يقول له؟ هل يعرف مكانًا قريبًا اسمه الطريق الوردي؟ أم يدعوه للذهاب إلى حفل؟ نظر له الفتى بنظرة كأنه يقول «أنت أيها الفتى الأكبر عمرًا، لا تنظر لي» والأصدقاء بتعبير من يقول إنه ربما يضربنا، العالم

مليء بالشرور.

غرفة الطعام مُنظمة، في تلك الطرقة الصغيرة التي تحتوي على لوحات صغيرة وأطباق ملونة يدويا، توجد مدخنة في السقف. المطبخ على اليمين. لا يشعر بالجوع. أكل هامبرجر مع "الشيخ" في «ماستيرز». كان هو من دفع الحساب كالعادة. يفتح بابا بجوار المدخل، لا يصدر صوتًا، إنها غرفة ممتلئة بأغراض طفل صغير، لعب وكتب أطفال، بها رائحة طفل. بصراحة، كانت مريحة للغاية سيكونان في أفضل حال هنا، كما كان مع سبستيان في البناية تحت الإنشاء، بذلك الشعور المريح المهيمن في مساء اليوم. يُغلق باب غرفة يوك، الذي لابد أنه نائم الآن في الفراش ذي الطابقين بالبيت الريفي، يمكنه الاختيار دائمًا لينام في الأعلى أو في أسفل. لماذا يفعل سبستيان هذا؟ لماذا لا يكترث به؟ إنها ليست أول مرة يفعل هذا. تصرف هكذا خلال بضعة أيام بعد صباح وقع فيه أمر بين شلة ألبرت وذلك الفتى القبيح الذي يشبه الضفدعة والذي يدعى ميكيل أنجيل، والحقيقة لا تخدع لكن المرايا تساعد. بعد بضعة أيام من عدم الاكتراث به، سأل "بسلَّة" سبستيان إن كان يريد أن يقول إنه رآه في غرفة تغيير الملابس. وسأله سبستيان إن كان يريد أن يخبر الناس بما يفعلان في الطريق الوردي. التلاعب بهذه الأمور يا جاومه يشبه إطلاق النار والخطأ في التصويب على العدو في المعركة.

يوجد بابان على اليسار، لا يراه أي شخص، الموسيقى عصية على الوصف. الباب الأيمن باب دولاب، مخفي جيدًا، به ملابس

شتوية وكل هذه الأشياء المملة التي يمكن رؤيتها في بيت، مثل البطاطين وصناديق الأحذية. الباب الأيسر يفضي إلى حمام وإلى غرفة أبوي ألبرت. يا للتكريم الذي حصلت عليه يا جاومه. السيد والسيدة آبات ينامان هنا. كما توجد مرآة، فوق قطعة أثاث مليئة بالأدراج، من أي صنف من الأخشاب؟ لا يعرف، لكنها بلا قيمة على الأرجح. يفتح درجًا، يوجد شيء من العتمة في الطرقة. بالهدوء والدم البارد الجديرين بمجرم (كان يجب أن يحمل قفازًا مطاطيًا)، يتنفس "بسلَّة"، يصفر بنغمة بينما يفتش الدرج: أوراق، دفاتر شيكات، مناديل، أوراق تبدو رسومًا طفولية، وفي الخلف توجد محفظة، وكيس نقود بنفسجي، يا للبشاعة. يفتحه. كل شيء هادئ، تشعر بتأثر شديد لدى فتح كيس نقود أبوي شخص ما، وهذا الشخص ليس من أصدقائك، إنك في بيت هذا الشخص، ويأتي الناس لأن هناك حفلًا لعينًا. كيس النقود ممتلئ بالأوراق المالية، يأخذ أربعة أوراق فئة الخمسين يورو، يطويها ويضعها في جيبه. لا يوجد أي شخص على الباب يا جاومه، أنت لست من الأشخاص الذين يصلون إلى غرضهم وبعد ذلك يقعون في الأخطاء. ماذا يفعل سبستيان؟ هل يتجول في ميدان «باريس»؟ يُغلق "بسلَّة" الدرج بإحكام، ويقرر ترك هذا الحفل الممل، لا يكترث بأي شيء ولا يهتم بإخبار "الشيخ". جولة أخرى في الطرقة، يقترب منه شخص ما، لا يعرف إن كان طالبًا في المدرسة لكنه يقضي بها ساعات كثيرة، ويسأله إن كان يعرف مكان الحمام.

– لا أعرف. لقد وصلت لتوي.

ماذا يعني «شيئا فشيئا» يا "شيخ"؟ هل يجب مرور وقت بين النصفين؟ كم من الوقت؟ هذا ما سأله ألبرت آبات، الذي لم يكن يعرف بدقة كم مرَّ من الوقت منذ رأى "الشيخ" يدخل البيت. "بسلَّة" موجود أيضًا، أليس كذلك؟ أين هو؟ إنه لا يعرف هذا بوضوح، لعدم وجود أي شيء واضح في ذلك المكان. في الحقيقة كان كل شيء مُعتمًا، اللعنة، ليشعل أحدكم النور. بخلاف أرناو الذي اعتاد تناول الأقراص، فإن ألبرت لا يفعل هذا كثيرًا. هيا، النصف الثاني داخل الفم. الموسيقى تعجبه كثيرًا، وبيته يعجبه كثيرًا، أكثر مما كان يعجبه في ظهر اليوم، عندما ذهب أبواه ويوك وكان يتحرك في كل مكان كأنه سيد البيت. الأبواب لطيفة، البلاط مريح.

يسير، ينتقل من مكان لآخر، لكنه يعود للطرقة دائمًا، للمدخل، أمام مرآة المدخل. يشعر أنه في بيت شخص آخر، يرى جدرانًا جديدة. كل شيء مثير للاهتمام. لا يجب على المرء أن يشعر بالضيق لأي سبب. يحدث هذا عندما يأتي أناس للبيت، لكن يبدو أن الجدران تتمدد، أصبحت الطرقة قاعة كبيرة بلا أثاث. الآن أصبحت الأبواب أقرب، الآن أبعد، لا يعرف ماذا يفعلون. يوجد ضوء خاص في الباب يجعله يشعر بالراحة. الباب يتحرك. إنها حركة بطيئة. هل هي حركة الباب أم حركة ألبرت أمام الباب؟ الباب بجوار المرآة. ألبرت أمام المرآة، مثل أيام سبت كثيرة قبل أن يخرج في المساء ليذهب إلى ميدان «باريس». ألبرت العاري

وألبرت المرتدي ملابسه.

الأصدقاء العراة والأصدقاء المرتدون ملابسهم. ملابس الناس تتكلم اليوم، لكن ليس لكي تقول أشياء وإنما كأنما تؤلف أغنية آتية من مكان ما خاص للغاية.

صدى الطرقة خلف الباب. الصدى يُسمع من بعيد، لكنه ليس خطيًا متواصلًا: يتعثر ويرتطم بالجدارن، ينزلق على الأركان، يصدر ضجيجًا، ممتلئ بأصوات تتسرب في متاهة من الغرف، وهذه المتاهة، في هذه اللحظة، هي بيت ألبرت آبات. الأغنية تقول أشياء رائعة، تضيء العالم وتبرهن لنا على أن العالم حقيقي، وليس قناعًا يرتديه شخص آخر. الأغنية تتحدث عن الأمور التي تحدث. الأغنية هي ملخص الحركات الموجودة، أجساد الفتيان التي تتطوح من جانب لآخر، الصرخات التي تتسارع مع إيقاع الموسيقى المتسارع. الأغنية عذبة، وهي تجسيد كامل لألبرت آبات، ترافقه بينما يعيش الحركات، الأغنية هي الحركات. وما تقوله الأغنية يتحقق. وإن وقع أمر ما، فلأن الأغنية تقوله. الأغنية تقول إن الباب يُفتح. وخلفه، بينما يُفتح، بجوار المرآة، الجسد الذي يدخل هو جسد سبستيان، الذي يعبر إطار الباب. وعندما تصدح الأغنية فلأنها تريد أن تمنحنا رقة، حس المداعبة والحب. الحب هو الأغنية الوحيدة غير الحزينة.

يعبر سبستيان الباب كأنه يعبر حلمًا يا ألبرت. كأنه يوقظك، كأنك تسير بسرعة ويوقظك، عارقًا بين الملاءات، ببرودة الربيع

التي تتغلغل عبر وحدة الجلد، وتنفذ إلى الأركان حيث شَعَرَ الجلد بالوحدة من قبل. تسمع اسمك، من المسافة النائية للباب الموجود بجوارك. تستيقظ وتشعر بالرغبة وتلمس جسدك ببطء ولا ترغب في الاستيقاظ، ويعبر سبستيان الباب باتجاهك وينظر لك ويلمسك. إنه ليس حلمًا: إن ما يحدث حقيقي. إنه حقيقي لأن الأغنية تقوله.

من الذي جاء مع سبستيان؟ إنه ليس "بسلَّة"، أليس كذلك؟ "بسلَّة" موجود في مكان ما على الجدار. المرآة الموجودة في المدخل تعطي الانطباع أن الفتيان مرسومون على الجدار، رسم يتحرك مع إيقاع الأغنية التي تتحقق. توجد ثلاثة وجوه أمام ألبرت، الواقف أمام المرآة. الوجوه التي تعكسها المرآة جميلة، تتبادل النظرات: وجه ألبرت آبات، وجه سبستيان، الذي وصل من توه، ووجه أرييل، الذي وصل من توه أيضًا، ووصل مع سبستيان. هل جاء أرييل؟ هل عرف بوجود حفل؟ أغنية أرييل عذبة في أذني ألبرت. أنا أعرف أنك تقيم حفلًا. يقول هذا. أرى عينيك من النافذة. أرى وجهك كما أراه الآن، بجوار سبستيان. يمسك سبستيان بخصره، ذارع سبستيان يحيط بخصر ألبرت. أرييل مثل الأغنية التي تُسمع الآن، مثل الموسيقى التي تخبرنا أن الرغبة موجودة خلف الصمت، وخلف الرغبة يوجد صوت دائمًا. كل هذه الابتسامة في عيني المرآة واليدان الحقيقيتان لسبستيان الحقيقي تحيطان بالخصر.

– ماذا بك يا ألبرت؟ هل أصبت بالجنون؟

– سبستيان! لم أكن أعرف أنك تعرف أرييل. يا لها من ليلة رائعة، أليس كذلك؟

– أرييل؟

– كان هنا بجوارك، قبل لحظة. لقد دخل معك.

– من هو أرييل يا ألبرت؟ لقد وصلت الآن.

– أحيانًا يبدو أنه يدخل البيت ليلًا ويأكل الأثاث. اليوم يبدو أنه قد دخل وأكل الناس. لم يترك سوى مساحة صغيرة لك يا سبستيان. لك وله.

– هل أعطاك "الشيخ" أي شيء؟

– "الشيخ"؟ أنا سعيد برؤيتك يا سبستيان. لم أكن راغبًا في أن يسخروا من أي شخص. هل تعرف أنني أدركت مجيئك لأن الأغنية أخبرتني بهذا.

– الأغنية؟ أي أغنية يا ألبرت؟

– لقد أخبرتني، ألا تعرف هذا؟ الأغنية كانت تصدح، إنها الأغنية التي كانت مسموعة الآن. لم أكن أسعى لوقوع شيء محدد يا سبستيان. لكنني كنت أبحث عنك. إنني واقف لكن عظامي جامدة، والاقتراب منك يشق علي كثيرًا، لكن الأغنية أخبرتني بمجيئك إن استمعت لها.

– يا ألبرت، لقد جئت لكنني لم أكن متيقنًا من المجيء. هل تهذي؟

– كنتُ في الجانب الآخر من الطرقة، وفجأة شعرت كأن السقف ينصهر، مثل قطعة الجبن فوق شريحة خبز في الفرن. سمعت هذا، وهو أمر غريب، وأوشكت على رؤيته، كمن يرى شيئًا حقيقيًا، وبيت السيدة كارولينا، الموجود فوقنا تمامًا، يختفي للأبد، ولم أشعر بالأسف على هذا، ولا أشعر بالأسف الآن يا سبستيان.

– ألبرت، هل تهذي؟ هل ابتلعت شيئًا أعطاه لك "الشيخ"؟

– "الشيخ" غير موجود، وأرييل، وأنت. لم يكن هناك سوى أنا والطرقة. تحول الجمعُ إلى غمغمة بعيدة، بسيطة... هل تتذكر ذلك الفيلم حيث يجب أن يسيروا في طريق مبلط لكي يصلوا إلى مكان لا أتذكره الآن؟ لابد أن الطريق كان طويلًا، شائكًا، مليء بالأشياء المرعبة، أو المملة، لا أتذكر، أو العادية. لكن عندما يصلون إلى ذلك المكان الذي يقود إليه البلاط يوجد ما يشبه فانتازيا من مروج مضيئة، جدران لا وجود لها، يمكن عبورها من أي مكان، أشجار ظلها رطب في الصيف، ولا يمكن إضرام النار هناك. وكنت أشعر بذات الشعور في الطرقة. لم تكن طرقة البيت يا سبستيان، كان طريقًا لكنه لم يكن من البلاط وإنما من الموسيقى، وكانت الأغنية تحملني. كان هناك نور يا سبستيان. وفي نهاية الطريق توجد أنت وأرييل في منتصف أرض خلاء. ومن كنتُ أفضلُ؟ أنت أم أرييل؟

– أرييل؟ من هو أرييل؟

– أنت، أُفضلك أنت؟

– عم تتحدث يا ألبرت؟ هل هذا أنت أم شخص يهذي؟

– أنا شخص يهذي وسط الأرض الخلاء. وأنت في المنتصف يا سبستيان، تنظر لي ولا تشعر بحنق تجاهي. تضحك لأنك سعيد برؤيتي والنظر لي. لم أكن أنتظرك لأنني لم أكن أعرف أنك ستأتي. أعرف أنك تتحدث بلسانك لكن بفمك أيضًا. تقول بشفتيك أشياءً كثيرة لا يمكنني ذكرها جميعًا يا سبستيان. أنت مثل الكتاب المفتوح بفم مُغلق. عندما تصمت، بينما تكون جالسًا بجوار سور المدرسة، تتكلم صارخًا، صوتك الصامت يُسمَع كأنه صوت هستيري يائس. يجذبني، يجعلني أرتعش، يجمدني.

– ألبرت...

– وصمتي يتحدث مثل صمتك تمامًا. لا تقول ألبرت لكي أصمت، لأنني لا أعرف الآن تحديدًا أين أكون، لكنني أعرف من أكون ومن تكون أنت، وأعرف أن ما يهم هو أن يكون المرء موجودًا وليس المكان الذي يوجد فيه، هذا ما تقوله الأغنية يا سبستيان، أنا أعرف أن الأغنية تقول هذا. عندما أعرف أن كل شيء يتحدث عني لا أشعر بالخوف. عندما أجد نفسي على الهامش، بعيدًا عن الدائرة، عندما أجلس وأفكر في أمور لم تعد موجودة، لا أشعر بالخوف يا سبستيان، قد أكون حزينًا ولا أعرف إلى أين أتجه، لكنني لا أشعر بالخوف، لأنني أعرف أن هناك شخص ما ينبض مثلي، شخص ما في الخارج، أعرف أن هناك شخصًا ما ينبض ولم يمت بعد وأنه قادر على فهمي، ولا ينظر لي من بعيد، شخص

قادر على لمسي دون التساؤل عمن يلمس، قادر على تقبيلي دون التساؤل عمن يُقبل.

– ألبرت...

المرسومون على الحائط يطيرون بعيدًا. الجدران لا تنصهر أو تنهدم، لكن شيئًا ما يحدث، لأنها لم تعد موجودة. يعثر لسانك داخل فم سبستيان على مذاق الماريجوانا والجلد والوسادة والنشوة، لكنه يعثر أيضًا على مذاق نبع والليل البارد. لا تمتلك يا ألبرت آبات سوى الوعي بأنك ترى ما كان يبدو مُستحيلًا قبل عشرة دقائق، تراه كشيء طبيعي. لأن الحياة والنمو والانعكاس في أشياء أخرى وفعل أشياء، هي هذا تحديدًا: ما كان مستحيلًا قبل عشرة ثواني أصبح الحب الآن، وهو طبيعي وهي علامة ضرورية للتقدم للأمام. نعم، لكن:

– ألبرت، يا لشحوب وجهك! لنذهب إلى المطبخ لتغسله.

كارلا، التي تشعر بالملل كالمُهرة في هذا الحفل وترى أن هناك أفرادًا كثيرين، وفي الحقيقة يوجد أفراد كثيرون، وبغض النظر عن الأغنية تشعر بالتوتر. بدا لها أنها ترى، بين حالة السُكر والأقراص المضادة للاكتئاب، التي وزعتها كاترينا المكتئبة، قرص ونصف لكل شخص تقريبًا، منذ نصف ساعة، أو ساعة أو لا تعرف، لأن الوقت لا يهم، كان سبستيان وألبرت قريبين للغاية في قاعة الطعام، وكان ألبرت غائبًا عن وعيه إلى حد ما، ومنذ برهة قال شخص ما إنه كان يتطوح من جانب لآخر في الممر

كأنه يسير على سطح سفينة في بحر هائج. بل إن «بوثا»، الذي يتظاهر بأنه ذكر الديك ويتباهى بأنه جرَّب كل شيء، في أحيان كثيرة يضع القرص في جيبه ويتظاهر بامتصاصه تحت لسانه، لكنه قال إن ألبرت فقد السيطرة على مملكته. وضحك مارك مقهقها، ها، ها، ها! مملكته. فتيان يبدون كالأطفال الصغار. يفقدون أعصابهم بين المادة الدهنية في بثور الوجه التي تنفح، يا له من حاضر مؤلم. لكن ماذا يفعل ألبرت؟ هل ابتلع شيئًا من تلك القاذورات التي يحملها ذلك الفتى المليء بالبراغيث الذي يحمل اسمًا عربيًا؟ ولماذا يعانق الحقير القادم من مؤسسات الدمج الاجتماعي؟ هل هو فقدان التحكم أم الحلم الذي يجعله يرى الأمور بشكل مختلف؟ إنهما متعانقان كأنما في قبلة. إن رأى مارك هذا سيتقد كالشيطان. ماذا يفعل ألبرت مع ذلك الشخص؟ ليس لأنه فتى، لكن لأنه، لأنه قذر، إنه ليس مثلنا. ماذا يحدث بحيث ينحدر وينهار كل شيء مؤخرًا؟ إن ألبرت فتى جيد، مسئول، إنه أفضلنا... وما اسم الآخر؟ إنه فتى بلا عائلة، فتى ينظر بعدم اكتراث، يبدو أنه يسخر من النظام، يجلس في ركن ولا يتحدث. وتقريبًا لا يبدل ملابسه. نعم، إن ألبرت ليس على حال جيدة. ماذا يحدث؟ لكن لا، لا يجب استغلاله بسبب هذا. لا يجب أن يترك ألبرت نفسه لكي يستغلونه. إن ذلك الوقح يشبه «بوثا»، هذا أكيد يا ألبرت. لا يسعى سوى للانتفاع بكارلا، أن يضع قضيبه في فمها من مساء لآخر عندما لا تكون كلارا موجودة، ويقول لها «ممتاز يا خنزيرة، إنك رائعة في اللعق. كم أتمنى أن تفعله كارلا

مثلك، يا كرة اللحم». لا. لا يجب أن يكون سبستيان موجودًا هنا، مثل أكثر من ثلاثين شخصًا موجودين ولا يجب أن يكونوا هنا. كانت كلارا مخمورة، وبوثا أيضًا. سعادة الآخرين قاسية للغاية عندما يبكي المرء. بالإضافة إلى هذا فإن ألبرت لم يكن في حالة جيدة. لم يكن بين ذراعي ذلك القذر بإرادته، وإنما لم يكن في حالة جيدة. لابد أن شخصًا ما قد وضع شيئًا في فمه. نعم، إنه ليس في حالة جيدة، وهذا لحسن الحظ، بهذا يمكنها أن تهتم بأمره خلال برهة من الوقت. تُبعد كارلا يدي سبستيان عن خصر ألبرت، تمسكه من الفانلة وتجره إلى المطبخ.

- سبستيان!

- ولا سبستيان ولا القديس أنطونيو! لم يكن يجب أن تترك الباب مفتوحًا. وأنت، امشي!

المسافة بين المدخل والمطبخ ليست كبيرة، إنها شقة حديثة الإنشاء، التصميم وظيفي، لكنه لطيف. ألبرت، ماذا يضحكك؟ اختفى سبستيان، وأرييل غير موجود، لكن الأغنية التي تعطي الأمل موجودة، إنها أغنية جيدة. يوجد أشخاص كثيرون، توجد رؤوس كثيرة، وآذان كثيرة، الموسيقى آتية من مكان بعيد لكنها تبدو صادرة من الفم إلى الخارج. يبحث عن سبستيان لكنه لا يعثر عليه. يبدو له أنه يشم رائحته، الأغنية التي تحمل رائحته تتلاشي بسرعة، إلى أسفل. وداخل المطبخ تسمع شخصًا ما يصيح «كفى ضوضاء»، ها، ها، ها، هذا طلب مضحك، «تعال

والعق قضيبي»، ها، ها، ها.

– لقد أصبح الوضع خارج السيطرة يا ألبرت.

– كارلا! أنت كارلا! أين سبستيان؟ ولماذا تسعين دائمًا خلف «بوثا» بهذه الطريقة؟ ألم تفكري مُطلقًا أنه قد يفاجئك من الخلف ذات يوم؟

– أنا لا أسعى خلف «بوثا» – لكنها تلتفت لترى إن كان قادمًا من الخلف، ربما كان ألبرت يتحدث جادًا.

يا للسلام في المطبخ، أليس كذلك؟ الماء البارد على الوجه، الطريقة العجيبة التي يخرج بها الماء، حيث لا يطلبه وإنما يفتح صنبورًا فيخرج الماء. داخل المطبخ، بينما كان الباب مُغلقًا، يسمع الأغنية التي تتحدث عنا، ينفتح صنبور الاستحمام، شخص ما يغني، خطوات تدخل وتخرج من غرفتي يوك وأبويه.

يسمع كلمات كارلا. الكلمات تتناغم مع الأبواب الموجودة تحت الحوض، مع مقابض الأبواب، مع الثلاجة، مع الموسيقى المتناغمة لصوت الثلاجة والمجمد. باب الخروج. الجو حار. يجلس بهدوء. تقول كارلا شيئا ما عن «بوثا» وعن كلارا، شيء ما لا يصح لسبب ما، لا يصح، لماذا؟ لا يهم. مع إغلاق العينين يتغير كل شيء؟

الآن لم يعد المطبخ هو المطبخ: أصبح غرفة واطئة السقف، طويلة وضيقة، ممتلئة بأرفف فارغة. الأرفف ليست مُثبتة بالمسامير، لكنها لا تتحرك من مكانها بجوار الجدران. على

الرغم من أن الغرفة ضيقة إلا أن هناك شعور بأن المكان فسيح، رطب، شعور بهواء متجدد وبهواء متكلم. يسمع الأغنية العذبة، أغنية لا يمكن نُطقها، لا يمكن تلخيصها، بلغة غير معروفة، وتخترق أذنيك بعنف، وصف الأشياء الأكثر روعة في العالم، وخارج العالم. يشعر المرء في هذا المكان بإمكانية معرفة كل شيء خلف أخر سور، لا وجود للسر، لا يمكن إدراك الزمن ولهذا يختفي الشعور بالزمن. «هل هذه هي السماء؟»، لكن لا يرد أي شخص. سبستيان وأرييل كانا هنا قبله، هذا مؤكد، قبل قليل، المكان مُعبق بحضورهما، دون شك. الغرفة معتمة، لكنك لا تحتاج لعينين لكي ترى، لأنه لا يوجد أي شيء يمكن أن تراه: كل شيء واضح، لأن كل شيء موجود. يفكر ألبرت آبات أن هناك حقلًا أخضر في السقف، على مسافة أربعة أو خمسة أشبار فوق رأسه، وهناك أيضًا طرقًا رمادية، بأرصفة تجاور أرضًا محروثة، مزروعة بأشجار عالية. «أين أنا؟»، يقول ألبرت. الكلمات ترن في الجدران والأرفف. الكلمات التي ترن مداعبة رقيقة على جلد ألبرت آبات العاري. ألبرت عاري، الآن يدرك هذا. لم يعد يرتدي البنطلون الجينز والفانلة التي تحمل رسوم حيوانات اللذين كان يرتديهما قبل ثانية. لا يشعر بالبرد. يشعر فجأة بأنه غير منشغل بأي شيء. يشعر كما يحدث في الصيف، بعد عشرة أيام من عدم الذهاب للمدرسة، ويصبح وقت الفراغ في المدينة روتينيا، ويقرر كسر هذا الروتين الدائم. في ذلك اليوم يأخذ الفوطة، يسير على قدميه بينما يرتدي الشبشب، ويركب الأتوبيس الذي

يأخذ طريق ساحل ترامونتانا والذي يتركه بجوار مرقب شاطئ «تاجامانينت». يهبط الطريق الصخري المنحدر الممتلئ بزهور الدلفي والأشواك والأحجار والأعشاب البرية، وعندما يصل لمنطقة مستوية مغطاة بالحصى، يخلع ألبرت آبات ملابسه، يظل ساكنًا خلال برهة، وبشكل احتفالي، كأنما في طقس هذياني، يحكّ ثقب مؤخرته قليلًا ويقرِّب أصبعه من أنفه وشمه، الأصبع الذي حكَّ الشعر العارق المحيط بالتجويف المختفي الممتع، ويدخل الماء، كأنما الماء يدخله، يدخل الماء برأسه، لكن برأسه بين خصيتيه، وخلال وقت طويل لا يوجد أي شيء، دون أبويه، دون شلة، هو فقط مع نفسه، كأنما ألبرت آبات يستريح فوق الحصى بينما يقوم بعمل حركات راقصة بجسده داخل الماء البارد الأزرق الأبيض الشفاف الرقيق. في هذه اللحظة تحديدًا يشعر بهذا، في عتمة ذلك الفضاء المكاني حيث يوجد كل شيء وكل الناس، لكن لا يوجد أي شخص أو أي شيء. لا توجد سوى ذكرى حضور كل ما كان موجودًا، كل ما تحول، الآن بعيدا عن بيته وبعيدًا عن كل هؤلاء الذين كانوا حاضرين قبل قليل. ولعدم وجود وقت، لا توجد حركة، كل شيء يطفو، دون جاذبية، في تناغم غير مدروس أو مُخطط أو مُرتقب. شيء ما يوجد هنا ويوجد هناك. يفكر ألبرت «يا له من أمر غريب، إنني لا أتنفس»، وهذا حقيقي، كما يحدث عندما يكون المرء داخل الماء. لا توجد روائح، والفضاء مغلق لكنه مفتوح. أعضاء جسده تطفو مثل الأجساد في الفريمول. الغرفة طويلة ومستطيلة الشكل، وتوجد ممرات غير مُنتظرة، لا

يُعرف إلى أين تقود وإن كانت تستمر خلف ما يُرى منها. ألبرت يريد الشعور بإحساس الوجود داخل الماء والهبوط حتى لمس القاع، مداعبة الأحجار الناعمة، إفزاع الأسماك الصغيرة، ارتداء القناع والنظارة والتحقق من عدم وجود قناديل بحر. على الرغم من هذا، لا يمكنه تمييز الأشياء باللمس في المكان الذي يوجد فيه. يتحسس في كل مكان، يلمس الجدران والأرض، لكنه لا يستطيع تمييز الأشكال أو الملمس. ليس كما كان في البحر، حيث كان يلمس الأحجار والأطراف المدببة للصخور، وكان لمسها طريقة لمعرفتها، للكلام معها تقريبًا. كل شيء في هذا المكان مختلف: لا يعتاد عليه، ولا يعرف كم من الوقت مرَّ عليه هناك، يبدو أن الزمن غير موجود هناك، ليس خطيًا. يقف ويرى كل شيء دائريًا. يلحظ في كل مكان ألفة الإشارات التي تركها من كانوا قبله. ما زالت الأغنية تتحدث في صمت عن الحاضر، بينما سيحل وقت تأتي فيه القلوب الآسرة. من بعيد، يرى هيئات تبدو له مألوفة: إنهما الصديقان الجالسان ويتبادلان النظر، يبدو أنهما يتحدثان، يقولان أشياء تعود لسنوات كثيرة، يبدو أنهما يشعران بسكينة من يعيش لعبة مع الصمت الكثيف لكن غير المعتاد الموجود في كل شيء. من هم؟ يريد الاقتراب لكنه لا يستطيع التحرك. لا يعرف إن كان سيذهب ماشيًا أم طافيًا، أم يحاول الكلام، مناداتهم ليعرف من يكونون، لكن كأنه يتحدث داخل الماء، الكلمات تصدر دون أن تقول أي شيء، بل وتعود إلى رأسه. يقترب شيئًا فشيئًا. لا يعرف إن كان هو من يقترب أم

أن حضورهما هو الذي يقترب منه. عندما أصبحا أمامه يراهما ويعجز عن التصديق. أي شخص يراهما سيقول إنهما صديقان متحابان، شخصان يعيشان في سعادة وجود كل منهما بجوار الآخر، شخصان لم يعانيا مُطلقا ويعيشان في براءة دائمة. من أين تأتي هذه الفكرة عن البراءة؟ أين هو الزمن الذي يضبط كل هذه الأشياء؟ لماذا تصبح البراءة سذاجةً دائمًا؟ وتكون حدًا فاصلًا بين لحظة سابقة ولحظة تالية في الماضي؟ إنهما ميكيل أنجيل وجويل، جالسان بسيقانهما متعاقدة، متواجهان، عاريان ولاهيان عن كل شيء، يتبادلان النظرات، يتحدثان بالنظرات، يضحكان، يخبطان أيديهما بمرح، يشغلان الفضاء ويشكلان هيئة واحدة. يدرك ألبرت أنه قادر على النهوض، أنه قادر على الجري، ينطلق في الجري نحوهما، يناديهما، يسألهما عم يفعلان هناك، لكنه لا يستطيع الوصول لهما، لا يمكنه الكلام، لا يسمعانه، كأنهما طيفين. لماذا يجلس جويل أمام ميكيل أنجيل كأنما لم يحدث أي شيء، إن كان موتوسيكل قد قتله قبل بضعة أيام؟ لماذا يتبادلان النظرات برقة وحماس؟ لقد نسيا الحزن يا ألبرت. إنهما يعيشان في سلام لكنك تشعر بالخوف، هنا، أمام شخصين مجهولين لا يريانك ولا يسمعانك، بينما تتجسس عليهما، لا تعرف أين توجد، تريد النهوض من جديد والانطلاق في الجري نحو المخرج، لكنه غير موجود. لا تسمع أي شيء، فقط ضحكات جويل، جويل الذي يضحك بسبب البهجة، ليس سخريةً من الآخر، صوت خبطات أيدي جويل وميكيل أنجيل، ضحكات ميكيل أنجيل لكي يضحك

الآخر، لأنهما وصلا للضحك والزمن بلا بداية أو نهاية. بينما كان ألبرت مستمرًا في الجري. يريد الابتعاد عن ذلك المكان، أدرك بوضوح أنه ليس مكانه. كيف وصل هناك؟ يسير ويجري ويسير ويعبر طرقات وغرفًا، ويمر على فُرش حجرية ممتدة حوله، فارغة، تغطيها طبقة من الغبار تبلغ الأصبع، لكن الغبار لا يتحرك، إنه غبار موجود هناك منذ قرون. يجري ألبرت بينما يسمع ضحكات جويل وميكيل أنجيل. لا توجد نسمة هواء رطبة. لا يمكنه القول إنه يجري منذ ساعات أو منذ دقائق، لأن الوقت غير موجود، لكنه مرهق، يرغب في التوقف، الاستلقاء على أحد تلك الفُرش الحجرية، العتمة كاملة، كأنما تمت تغطية الضوء بستائر سميكة، يقترب من أحد الفُرش شيئًا فشيئًا، يريد الاستلقاء، توجد ملاءات على الفراش. يجلس وينتبه لوجود شخص ما. من هو؟ من ينام على الفراش؟ الملاءات تتحرك. يزيح ألبرت الملاءات. يراه: كان هادئًا، نائمًا، عاريًا، كما يراه عندما يدخل الغرفة ويراه نائمًا، ويبدو ميتًا لكنه يكون حيًا تمامًا عندما يكون مستيقظًا. عينا يوك مغلقتان، لا يشعر بالخوف، رغم أنه لا يحب النوم بمفرده، أمه بجواره، كانت عارية لكن جلدها كان ممتصًا كأنه داخل العظام، يداعب شعرها، تبتسم بينما يداعب الشعر، الأم رأت ألبرت بينما كان متجهًا إليهما، ووضعت أصبعها على شفتيها، صمت، لا توقظه، ولم تعجبه الإشارة لكي يذهب، تعني أنه لا يجب أن يكون هناك، يجب أن يذهب بعيدًا، أن يبتعد، بينما كان ميكيل أنجيل وجويل يضحكان.

بعد ذلك يشعر بالبرودة بين ردفيه. إنه مغروس في الأرض. شخص ما فتح باب الشارع الزجاجي ذا الإطار المصنوع من الألومنيوم، وضربه على ظهره الذي كان عاريًا. أصبح هناك زمن من جديد، يلحظه. يعود للشعور بغمغمة الموسيقى، قلبه الذي يدق بأقصى سرعة، ولم تعد هناك أي أغنية عذبة. لم يعد يسمع ضحكات جويل وميكيل أنجيل. جويل غير موجود، لكن ميكيل أنجيل موجود: يقف أمامه، فكه مرتعش، يريد أن يقول له شيئا ما لكنه يتلعثم. أحيانًا يشعر ميكيل أنجيل بالخوف.

– ألبرت، الباب مفتوح. لديك أفراد في الداخل، أليس كذلك؟

فم ألبرت جاف، فكه جامد، لكن رأسه ليس ثقيلًا. ينهض ويرى أنه معتمد على ركبتيه أمام ميكيل أنجيل. وكان يشعر بنشوة جسدية كبيرة تجعله في حال جيدة للغاية. كان ميكيل أنجيل أمامه، بشاربه الأسود الخفيف. وعندما رأى ميكيل أنجيل ابتسامة ألبرت شعر بالسعادة والرضا والبهجة، كما يحدث له عندما لا يتعرض للسباب أو الضرب أو أنه موشك على الموت. يتردد ميكيل أنجيل في الركوع على ركبتيه أيضًا، لكي يتحدث معه وجها لوجه، لكنه لا يفعل.

–لقد جئت في النهاية، جئت لأنك دعوتني. أتمنى ألا يضايقك هذا. لم أذهب لأي حفل من قبل. رأيت سبستيان في ميدان «باريس» وقال لي إنه سيأتي أيضًا.

– سبستيان؟ أليس موجودًا هنا في الداخل مع أربيل؟

– لا أعرف، لقد رأيته في الأسفل. من هو أرييل؟ أنا لم أذهب لأي حفل من قبل.

ينهض ألبرت. ويدرك على الفور أن شعور الراحة الجسدية يتركز بين ساقيه، أن عضوه منتصب وقوي مثل الجزرة. القرب من ميكيل أنجيل يجعل الشعور أقوي. يبدو ميكيل أنجيل متحمسًا، عضوه يبدو كالجزرة أيضًا. يعانقه ويتحول العناق إلى مبارزة بالسيوف. يشم رائحة قفا ميكيل أنجيل، الذي يفوح برائحة الملابس المحفوظة في الدولاب طوال الشتاء، لكن توجد أيضا رائحة توابل ورائحة مخزن بار، يرى أن النافذة المُطلة على الشارع مفتوحة.

الليلة رمادية بلون لؤلؤة رمادية لامعة، يوجد ضوء في غرفة ببيت أرييل، كأنما السُحب مطبوعة على قطعة نسيج، كأنما خيوط صوفية في وسادة قديمة، والقمر لامع براق وموسيقيٍّ، قمر مُكتمل.

–يا له من حفل رائع! –يقول تلميذ لا تجمعه به أي علاقة في المدرسة – هل لديك ثلج؟

– ياه... كل هذا العدد من علب الطعام...

– نعم، يوجد مطعم كامل هنا.

– ماذا تفعلان؟

يبتعد ألبرت عن ميكيل أنجيل. أدرك ميكيل أنجيل دائمًا أن

ابتعاد شخص ما يعني رغبته في البقاء بمفرده. ألبرت آبات في بيته، رغم أنه ليس بيته تمامًا، لأن بيته مُشترك مع يوك ومع أبويه، وهم غير موجودين الآن، والآن تحولت الجزرة إلى ورقة شجر صفصاف، ويشعر بإرهاق في عضلاته. يخرج من المطبخ. يوجد أفراد في الردهة. يوجد أفراد كثيرون للغاية في الردهة وفي كل مكان. يفكر ألبرت أنهم لن يرحلوا مُطلقًا. يفتح باب غرفته، وفوق فراشه كان بوثا وكلارا في مضاجعة سريعة.

- اخرجا من هنا.

- ماذا؟

- اخرجا من هنا من فضلكما...

- اللعنة يا ألبرت.

الأغنية التي كانت تقول أشياء جميلة تحولت إلى غمغمة في الخلفية، بخطوات وضحكات كثيرة التكرار. أغلق بوثا حزامه. يطلب منهما أن يغلقا الباب عندما يخرجان. نعم، أبواه في البيت الريفي لكن غرفتهما يجب أن تظل مُغلقة، وبمعزل عن بقية البيت. يفتح الشيش. يؤلمه كتفاه وكوعاه عندما يرفع خصره لجذب شريط الشيش. كأنما ذهب للجيمنازيوم وقام بالتدريب خلال ثلاث ساعات. لكنه لم يذهب للجيمنازيوم في حياته. ونعم، إنه قمر مُكتمل. ومن الواضح أن هناك مجموعة من السحب تداعب القمر، مثل نسيج ملابس راقصة باليه، كأنها وشم على سطح القمر.

رغم أنه يسمع الموسيقى وضجيج الأفراد الذين يروحون ويجيئون، يصفق الباب من حين لآخر. تمر لحظات من الحيرة على ألبرت، كم قدر الوقت الذي مر؟ لا يعرف، لأن النور الذي يدخل من النافذة هو الضوء المعتاد، ليس جديدًا، إنه نور الليل. من المستحيل أن تكون المدينة معتمة: لابد أن يتعطل مُولد رئيسي وينطفئ كل شيء لتصبح الليلة معتمة، كما يحدث عندما يكونون في البيت الريفي وتحط عتمة كاملة على أشجار اللوز ويبدو أن المرء سيتعرض لهجوم جيش أو شيء رائع ينبض مختبئًا تحت الأرض. لا يوجد في المدينة أي شيء ينبض تحت الأرض، ولا حتى عندما يمر المترو وتلحظ ارتعاش الأسفلت. كل شيء أفقي في المدينة، أو قُطري إن أردت هذا.

يستند ألبرت على حافة النافذة وينظر، يتطلع نحو الفراغ حيث شرفة أرييل. ينتابه الشك، إنه يتذكر أنه رآه، وكان بحواره، لكنه لم يلمسه. ولديه أيضا ذكرى شفتي سبستيان. لا يعرف إن كانت ذكرى تعود لخمس دقائق سابقة أو لخمس ساعات أو لخمس سنوات. فجأة يحن لأبويه بينما يتحركان في البيت، وليوك بينما يأتي بالضجيج والصراخ. يدخل الجميع إلى غرفته دون الطرق على الباب، لكن كل أفكاره تتوه عندما يسمع شخصًا ما يطرق الباب. لا يا ألبرت. إنها ليست أشياء تحدث كل يوم. يستدير بعد بضعة ثون. «من هناك؟»، لكنه غير مهتم، ولا يرغب في رؤية أي شخص.

– هل يمكن أن أدخل؟ إنه أنا –إنه سبستيان، ينظر له لكن

ليس بعينيه، وإنما بعيني حيوان. شخص ما بدَّل عينيه بعيني حيوان-. هل يمكنني البقاء معك لبعض الوقت؟ "بسلَّة" في الأسفل. أنا ذئب لكنه قناص. "بسلَّة" يريد قتلي.

14

– وقع هذا في الصيف الماضي. في نهاية الصيف. ذات مساء كنت أتمشى بجوار محطة البنزين الموجودة خلف المدرسة. كان الصيف قد انتهى، وتبقت عشر أيام على بدء الدراسة، ولم نكن أنا وأنت يا جويل قد تعارفنا. ولم أكن حتى قد انتبهت لوجودك في المدرسة. "بسلَّة"، الذي كان ما زال يدعى جاومه في ذلك الوقت قبل أن يُطلقوا عليه اللقب الشرير، كنت أعرف من يكون: فتى بحاجبين كثيفين، وشعر مشعث كثير التحدث مع نفسه، بالقرب من جدار صالة الألعاب الرياضية، وكان يصاحب كريستوفر، ذلك الفتى الذي يُطلقون عليك "الشيخ" ويبيع مخدرات. في ذلك اليوم رأيته يسير على ذات الرصيف، لكن في الاتجاه المعاكس. كالعادة كان يسير بينما ينظر إلى الشرفات، بما يشبه الخوف من سقوط شيء ما على رأسه، مهووسًا بالعربات التي تمر ويحمل كتابًا كبيرًا في يده. رأيته ونظرت له، كنت أريد تحيته، هذا عادي، أليس كذلك يا جويل؟ زميل في المدرسة لم أره طوال الصيف، رغم أننا لم نتبادل التحية أو نتحدث أو نذهب لتناول مشروب مرطب معا مُطلقًا، ولم نكن نلتقي سوى في الحمام. وقف أمامي، لم يقل أي شيء، حرَّك شفتيه، رفع حاجبيه، كان صامتًا، ليضفي على نفسه الاهتمام، غمز بعينه، هل أتى بإشارة لكي أذهب معه، لكي أتبعه؟ فكرت في هذا. عبرَ الشارع وترددت خلال ثلاث ثواني، هذا طبيعي، لكن ماذا؟ اتبعته، سرت خلفه دون التفكير

أنني أتبعه، اتجهنا إلى المدرسة، هو في الأمام وأنا في الخلف، مررنا على بار أشبيلية. لم أدخل هناك من قبل يا جويل، وأنت؟ لا يمكنني التوقف عن التفكير في أن أمي لن تنام بقية حياتها إن رأتني داخل بار «أشبيلية». فجأة، مررنا بجوار المدرسة، التي كانت مغلقة، وأضواءها مطفأة، حر بداية سبتمبر واليوم الذي يصبح قصيرًا فبدأ المساء يحل، وشعرت بشيء غريب بينما أتبع "بسلَّة" على تلك الأرصفة القذرة. كان يسبقني بأربع أو خمس خطوات، ومن حين لآخر كان كان يلتفت ليرى إن كنت أتبعه.

لم نكن نسير معا: كنت أتبعه وكان يتركني أتبعه. لم نتحدث مُطلقًا، كما كان يحدث عندما أصعد معك في المصعد يا جويل. كان "بسلَّة" يسير على هواه، وأنا أيضًا كنت أسير على هواه. كل شخص يسير على هواه يا جويل، وأنا أيضًا سرت دائمًا على هواه وعلى هواك، وعلى هوى الجميع. من بينهم جمعيًا، كان الشخص الوحيد الذي يسير على هواي هو أنا يا جويل. إن لم أسر على هواي لم يكن أي شخص سيفعل هذا. هل تلعب مع أشخاص في الأسفل؟ هل يوجد أي شيء أم أنها الوحدة فقط؟ أنا وحيد، هنا في الأعلى يا جويل. هذا هو ما لم يتغير ولن يتغير. الأيام لم تعد ملكك، لكنها لم تصبح ملكي حتى وإن كان هذا إلى حد ما يا جويل. كما هو الحال الآن وكما كان في ذلك اليوم، عندما كنا خلف المدرسة، "بسلَّة" في الأمام وأنا في الخلف، واتجهنا للطريق الوردي. منذ أمتلك ذاكرة، وسط تلك الأرض يوجد مبنى تحت الإنشاء، العمل متوقف، المبنى شبه متهدم، رمادي. وإلى جانب يوجد كشك الحارس وبئر. كان الأولاد في مدرستي يذهبون

إلى تلك الأرض لركوب الدراجات، لكن أمي كانت ترفض ذهابي هناك. كنت تقول: «من يدري ماذا يوجد في ذلك المكان؟ ومن يدري عدد الأولاد الذين سقطوا في البئر؟» وإنني لا يجب أن أسير خلف النداهة، وكان أبي يقول إن ذلك المبنى وصمة عار، إن العمل فيه متوقف منذ سنوات كثيرة، وإن مشكلة هذا البلد هي وجود الكثير من العمل والكثير من الكسالي. وكان يقول إنه غير مندهش من قيام بعض الأذكياء بسرقة كل ما يستطيعون، وإنه كان سيفعل ذات الشيء إن كان قادرًا على هذا، وليرحل الكسالى ومن يعيشون على المعونات بعيدًا. عبرنا الطريق الذي يخترق الأرض الخلاء، كنت متوترًا، وكان "بسلَّة" يتظاهر بأنني لا أسير خلفه، لكنه كان يلتفت من حين لآخر وينظر لي، بتعبير من يجعلني أعرف أنني أدرك سبب وجودي في ذلك المكان، معه. ولكي أهدئ من توتري وأخفف من حدة الألم في أسفل بطني وبين فخدي، أخذت أكرر أسماء النباتات الموجودة في الأرض الخلاء والتي كنا قد درسناها في مادة العلوم في نهاية السنة الماضية: الشبت والزوان والنجيلة. لم أكن أعرف أكثر من هذا. كنت أتوخى عدم تلويث طرف بنطلوني. تلويثه بماذا؟ بالشبت والزوان والنجيلة. مررنا بجوار المبنى غير المكتمل. شعرت برائحة الماء القذر في البئر ونسمة الهواء الأولى في مساء الصيف. خلال لحظة يا جويل، تخيلت أن جاومه سينتظرني وإننا سنجلس على الأرض، وأنه سيقوم بالتدخين وسأنظر له بينما يدخن، لن يحمل اسم "بسلَّة" بعد ذلك مُطلقًا، وسنمضي الليلة بينما نضحك وننظر حولنا بينما نستلقي على الأرض، فوق الشبت

والزوان والنجيلة. كان مثلك يا جويل. وضعني لصق الحائط وبدأ يحدثني عن المساء، عن لحظة غروب الشمس، عندما تنفتح ستائر البيوت، ويذهب الأطفال للنوم، ويرغب القمر في الظهور وتنتظر الحيوانات المتوحشة للخروج، مثل تلك القصيدة القديمة التي قرأها لنا المعلم جوان جيلبرت في حصة الأدب، يخرج الأعداء من خلف الجدران، والسحالي من تحت الأحجار، ويبتعد الأولاد الأشرار عن أماكن مرور الناس ويجتمعون في الأركان المعتمة، وفي الأراضي الخلاء الممتلئة بالشبت والزوان والنجيلة. أنا أيضا فتى يعرف الضحك والحياة بمفرده عندما لا يرغب في البكاء يا جويل. لهذا أعرف ما كان الرجال والأولاد يفعلون بجوار ذلك المبنى تحت الإنشاء عندما يخفت ضوء النهار، وكنت أعرف من هي النداهة وأن اسمها جاومه، وأنها كانت الكسالى والذين يرغبون في التحليق نحو مكان لا يعرفونه أو مكان لا وجود له. على الرغم من هذا، بينما كان جاومه "بسلَّة" يؤذيني إلى حد ما، كانت عيناي مغلقتان وكنت أقول لنفسي إنني أرغب في هذا، أرغب في ذلك الحب، لم يمكنني التوقف عن التفكير يا جويل، لم يمكنني التوقف عن التفكير في أمي وأن أحشاءها ستتمزق في لحظة إن رأتني منحنيًا أمام الجدار. ستنفجر عروقها وليس أحشائها. ستتمزق روحها وليس عروقها... لا، ليست العروق يا جويل، سيكون شيئًا أكبر بكثير...

....

– عُدت بعد بضعة أيام يا جويل، لم يكن دافعي هو لقاء ”بسلَّة“ وإنما العثور على نفسي هناك، بعيدًا عن الطفل السخيف الذي يخرج من البيت ويذهب للمدرسة. وبعد ذلك ذهبت هناك مع بيب وجان، أنت تعرفهما، ولم تكن راغبًا في أن أحدثك عنهما. هل تعرف كل شيء الآن؟ هل تعرف كل شيء في العالم؟ هل الموت يعني استيقاظ الوعي يا جويل؟ أم أنه يعني النوم؟ إن كنت قادرًا على الاختيار بين الأمرين، سأختار أن يكون النوم، النوم مثل رضيع، برقة، النوم مثل شخص محظوظ، الحلم بحرية بمفردي، وتشييد جسور ونسيان الآبار. السقوط، وإمضاء بقية الحياة في السقوط، دون تفكير، دون معرفة، دون إدراك. أعتقد أنني لو فتحت قبرك الآن يا جويل، سوف ألقي بنفسي رأسًا في تابوتك، ولن أصل مُطلقًا. سأسقط، سأسقط إلى ما لا نهاية، سيكون الأمر كأنني أطير إلى أسفل، كأنني أقفز من أعلى صخرة في «تراموتانا»، ولا أصل للمس البحر مُطلقًا. مثل ذلك اليوم، مع ”بسلَّة“، بأنفي لصق الجدار غير المكتمل، بأستك البنطلون ضاغطًا على عقبي، كنت أبحث عن نفسي بينما كان ”بسلَّة“، الذي كان اسمه جاومه حتى ذلك الحين، يبحث عن نفسه فقط. بدأت قطراته في التساقط، لكنه لم يقل أي شيء، وأنا أيضًا لم أقل أي شيء، ولم أصل للمس المياه لأكون أنا ذاتي يا جويل. وبعد عشرة أيام، في المدرسة، في أول أيام الدراسة، بينما كان الجميع يتبادلون العناق والقبلات، باستثناء الأفراد الشبيهين بك وبي، وكانوا يقولون كيف أمضوا الصيف، وكانت هناك مجموعات في

كل مكان وبهجة اللقاء من جديد، كان جاومه جالسًا مع توفول في ركنه المعتاد، وذهبت لكي أعانقه وأخبره ببهجتي لرؤيته من جديد، وعندما اقتربت منه، نهض جاومه وقال «حسنًا يا توفول، سأذهب لرؤية الجدول»، ومرَّ أمامي دون أن ينظر في عيني، مثلك يا جويل، كما فعلت يوم كان بوثا والآخرين يسخرون مني، والأكثر من هذا أنك نهرتني في المساء وقلت إنني لم يكن يجب أن أقول أي شيء، لكي لا يقولوا إنني مخنث. وتوفول، أعني "الشيخ"، وأنا كنا ننظر لجاومه، أعني إلى "بسلَّة"، الذي اتجه للداخل وفي طريقه نظر للفتى الجديد الذي كان يدخن بجوار حوض أزهار الدلفي، ذلك الفتى الذي عرفنا بعد ذلك أنه سبستيان يا جويل. لكن اليوم، قبل قليل، لا أعرف كم من الوقت بالتحديد، كان "بسلَّة" متقد الغضب في ميدان باريس، ولم تكن لغضبه علاقة بي، بالعكس كنت أمامه لكن كأنني غير موجود، كأنني غير موجود بالنسبة له. وعندما رأيته يا جويل بينما يدور حول نفسه في الميدان، اقتربت منه واعيًا بأنه قد يأمرني بالابتعاد أو يضربني. سألني بغضب وحدة إن كان سبستيان في الأعلى، في بيت ألبرت آبات. أعرف أنه كان موجودًا خلال بعض الوقت، لكن عندما خرجت للمرة الأولى لم أكن قد رأيته منذ أكثر من ساعة. أعتقد أن "بسلَّة" قد تناول شيئًا ما، كان خارجًا عن أطواره، كانت عيناه متقدتين، أشعرني بالخوف أكثر من إثارة ضحكي، وابتعدت جاريًا، مثل المهووس، مثل المخنث كما قلتَ يا جويل. أخذت أتجول في الشارع. لم أكن أصدق، لقد ذهبت إلى حفل، ومن دونك، على الرغم من أننا لم

نذهب معا إلى أي مكان، لكن أريد أن أقول إنني ذهبت من دونك، الآن بينما لم تعد أنت، وأصبحت لا شيء يا جويل. مشيت في الشارع، فكرت في أمور كثيرة، فكرت أيضًا في أمي، الغارقة في أحزان أبي لدرجة أنها لا تمتلك قوة للابتهاج إن قلت لها «ماما، هل تعرفين؟ لقد ذهبت إلى حفل بالأمس!». لأنني لا أخجل من قول إنني لم أذهب لأي حفل من قبل. ولا أعتقد أن هناك من دعاك لأي حفل من قبل. وهكذا فقد فعلت شيئًا لم تفعله أنت، لأن ألبرت آبات شخصيًا قد دعاني. من المؤكد أنك لم تكن قد اصطحبتني إلى أي حفل، كما لم أصطحبك اليوم وذهبت بمفردي، على الرغم من أنني وحيد دائمًا وعلى الرغم من وجودي معك هنا الآن لكي لا يكون كل منا بمفرده. كما أعتقد أنك لم تكن ستدعوني مُطلقًا إلى حفل في بيتك، كنت ستخبرني لكي أذهب عندما لا يكون هناك أي شخص، عندما يكون كل المدعوين قد ذهبوا ولا يوجد في البيت سوانا. حفلك، في بيتك، كان سيكون مختلفًا عن الحفل الذي أُقيم اليوم في بيت ألبرت آبات. وفي الحقيقة أعتقد أن ألبرت آبات فقد السيطرة على الحفل إلى حد ما يا جويل، أعتقد أن الأمر قد خرج من يديه: كان هناك الكثيرون، زملاء من الفصل، لكن كان هناك فتيان من فصول أخرى أيضًا، وفتيان يذهبون للمدرسة أحيانًا لكنهم لا يدرسون بها، وشخصان أو ثلاثة يدخلون ويخرجون، أعتقد أن غرفة أخيه كانت ممتلئة بأعقاب السجائر وعلب البيرة التي تم شراءها من السوبر ماركت. هل كان يجب أن أخبره عندما تحدثت معه؟ أنا لست صديقه، لكن عندما أفاق ونهض من الأرض

ورآني، نظر لي بعينين حالمتين، بذات العينين اللتين سينظر بهما لأي شخص آخر، وليس لي. نظرة ألبرت آبات تلك لا يمكن أن تكون لي، وبخلاف هذا، لم يكن قد أبعدني وأطلقني عندما كنا في المطبخ. تلك النظرة الشغوفة لا أراها إلا قليلًا، في عيني بيب، عندما يقف أمامي بينما أكون معتمدًا على ركبتيِّ، ويمسك بفكي وينظر لي مليًا، بينما يكون جان خلفي مُباعدًا بين فخدي. بيب وجان يحبونني لأنني الفتى الوحيد المتاح لهما، إن كان لديهما سبستيان سيحبانه أكثر. وإن كان لديهما ألبرت آبات، سيحبانه أكثر. على الرغم من أي منهما لم يكن سيترك نفسه لأنهما لا يحتاجان لهذا. اليوم، عندما نظر لي ألبرت بعينيه المخصصتين لشخص آخر، رأيت بوضوح أنه أكثر رجولة منك ألف مرة يا جويل. عناقه أكثر حرية واتساعًا من عناقك، أكثر وضوحًا من حبك الضئيل. كما أن عناق من سبستيان أفضل مليون مرة من عناقك. حتى وإن كان عناقهما يدوم لحظة واحدة فقط، حتى وإن كان ألبرت وسبستيان يحميان نفسيهما مني، ويحميان نفسيهما بمصاحبتي. على الرغم من أنهما يعدان الثواني المتبقية لإطلاقي أثناء العناق، إلا أن أي لفتة حنان منهما أفضل بكثير مما كنت تبدي تجاهي يا جويل. لكنني كنت أصاحبك، وسأكرر هذا إن كان ممكنًا، لأنك كنت موجودًا دائمًا يا جويل، لأنني كنت الوحيد الذي تمتلكه، لأن ذاتي الحقيرة هي الشيء الوحيد الذي كنت تحتاجه.

....

-وبعد أن طفت بالحي لكي أضيع الوقت حتى ينقضي الليل،

عدت إلى ميدان «باريس» بدلًا من العودة إلى بيتي. كنت قد ذهبت إلى الطريق الوردي. القمر اليوم يشبه شمسًا شاحبةً، كانت الظلال فضية، والضوء لامع، كانت عيون القطط تتقافز من جانب لآخر. لم يكن هناك أي شخص في ميدان «باريس». رأيت أن هناك ضوءًا في شرفة ألبرت آبات، كان الباب مفتوحًا ولم يكن يجب أن أطرقه، لهذا كان الجميع يدخلون ويخرجون كما يريدون. صعدت ودخلت. كانت الموسيقى مملة في الصالة، الضحكات مطفأة، رائحة تبغ ثقيلة. لم يكن هناك أي شخص في المطبخ أو المدخل. لا أعرف كيف عبرت الطرقة دون النظر لأي شخص، دون تحية أي شخص، وأيضا دون أن يلحظ أي شخص وجودي، وفتحت الباب الموجود على اليمين. في البداية لم يمكنني فتحه، فكرت أنه مُغلق بالمفتاح، لكن الخشب المزاح من مكانه كان يمنعني. دخلت غرفت ألبرت آبات يا جويل. كان ألبرت وسبستيان جالسين على الفراش، كانا عارقين وعاريي الصدر. كانا جالسين مثلي ومثلك لكنهما كانا يتبادلان النظر، ويضحكان، واندهشا لكل هذه التلقائية، داخل هذا الشعور بعبور البلد السحري ذاته، بملامسة الأرض يا جويل. عندما دخلت الغرفة لم يبد على وجهيهما الضيق، ولم يبديا أنني أقاطعهما: كان يضحكان، كان يبدو أنهما منتشيان، لا أعرف إن كان السبب هو الليل أم أنهما تناولا مخدرًا ما، كان الضوء خافتًا داخل الغرفة، وعلى نحو ما فكرت أنهما يدعوانني. دخلت الغرفة يا جويل. لم أشعر أنني كائن طفيلي، أو الفتى الذي يمكن للجميع أن

يسخروا منه في فناء المدرسة. جلست على الأرض، أمامهما. كان ثلاثتنا جالسين. كيف يمكنني وصف هذا؟ كنا نشعر بالعذوبة، بالسعادة، كنا نضحك ولا نتكلم، مرت دقائق لا أعرف عددها، كنا نتحدث بأعيننا، كما كان يحدث في أي لحظة عندما نلتقي في الشارع يا جويل، ونتبادل النظرات ونتكلم عبرها. كانت غمغمة الحاضرين تأخذ في الخفوت. فكرت أن ألبرت متوتر لمعرفة كيف تركوا بيته بعد الحفل، لكن لا، كان ألبرت ما زال هو الفتى الهادىء الذي يسير في الطرقات، وسبستيان هو الفتى الجريء الذي يشم الهواء بجوار أحواض الزهور، وأنا كنت أنا يا جويل، كنت ميكيل أنجيل، كنت أنا نفسي. على الرغم من هذا، انفتح الباب فجأة كأنما هبت الرياح. صدر ضجيج، وتوتر الجو، كما يحدث عندما تكون في المقابر في صمت وتعبر سيارة بصوت الموسيقى عالية والنوافذ مفتوحة. كان ”بسلَّة“. تبادل ثلاثتنا النظرات باندهاش، لم نكن نتوقع حضوره. قبل برهة كنا معا نحن الثلاثة، لكن لم أعد أشعر بصلابة وحدتنا. كان ”بسلَّة“ يسبب الضيق، وأدركَ هذا في الحال. وبدأ في الصراخ: «تقريبًا لم يعد هناك أي شخص، أنا أدخل وأخرج ميدان «باريس» منذ ساعات! هل يمكن أن تخبرني منذ متى وأنت هنا؟». كان يوجه كلامه لسبستيان. وواصل ”بسلَّة“: هيا بنا، لنذهب، إن الوقت متأخر. لنتمشى قليلًا في الطريق الوردي. وأنت يا ألبرت، ألا يجب أن ترتب بيتك؟ ألا يجب أن تكون مع بوثا والشلة؟ ماذا تفعل مع سبستيان؟ وأنت يا ميكيل أنجيل؟ ماذا تفعل هنا؟ منذ

متى تجلس معنا؟ أنت لست منا يا ميكيل أنجيل. لتذهب، هيا، اختفي من أمامي يا ميكيل أنجيل!». ونهضت لكي أرحل يا جويل، وفي هذه اللحظة نهض سبستيان من فوق الفراش وأخذ يضحك. كانت عيناه متقدتين، جامدتين، ليستا ناريتين أو ثلجيتين، كانت عيناه لامعتين مثل مصابيح السيارات في ليلة هادئة، مثل الكثير من المصابيح اللامعة، في شارع ممتلئ بالسيارات. كان يضحك أمام وجه "بسلَّة". لم يشر لي لكي أخرج، لكنني ظللت ساكنا. «ما الخطب يا "بسلَّة"؟ ماذا لدغك في مؤخرتك؟ ماذا أتيت لترى هنا؟». كان ألبرت هادئًا وصامتًا فوق الفراش. كان هو وسبتسيان يبدوان ذات الشخص. كان "بسلَّة" يتحرك من جانب لآخر، كان يحرك رأسه بشكل هيستيري، وعلى وجهه يبدو عدم إدراك أي شي، بعينين متركزتين على سبستيان. وقال: «لقد أخبرتك يا سبستيان، لقد أخبرتك من قبل. لقد رأيتك، وأعرف من تكون، ويجب عليك أن تأتي معي، أنا وأنت لدينا عمل لنقوم به معا. يجب أن نحضر لذلك الأمر يا سبستيان، متى سنفعل هذا؟ إن صبري موشك على النفاد. عندما يخون الشريك شريكه، يجب أن يدفع بالدم والنار. لا يمكن أن تأتي هنا لقضاء الليلة دون اكتراث، بينما أبحث عنك في كل مكان مثل المجنون. يوجد بيننا اتفاق. أنا وأنت فريق من شخصين. أنت رجل ذئب، لكنني صيادك». واقترب منه سبستيان شيئًا فشيئًا، بفمه مفتوحًا، كان يبدو طائرًا جارحًا يوشك على الانقضاض، وبدأ يعوي بقوة، ليس كذئب جريح وإنما كحيوان حر مرح. كان يعوي في وجهه وفي

عينيه وأمام جسده. كان "بسلَّة" يرتعش، أمسك بالباب، ابتعد عن نظرة سبستيان التي كانت تخيفه. لم يكن ألبرت يعوي لكنه نهض أيضًا. كانا يبدوان كبطلين خارقين متألقين، يحيط بهما النور والقوة، كان جلديهما فضيين مع النور المطفأ بينما يدخل ضوء القمر عبر النافذة. كان "بسلَّة" ينظر لي بحنق، كان ينظر لي لأنني لم أكن الشخص الذي يتعرض للإهانة. وذهب بعنف شديد كما دخل. وهناك، مرة أخرى، وسط ذلك الصمت المليء بالعرق ورائحة الآباط، أنا وألبرت وسبستيان، ألبرت الذي كان يبهرك كثيرًا، وسبستيان الذي كان يثير تقززك يا جويل، وأنا. بعد برهة نظر لي سبستيان وطلب مني الخروج بتهذب. استأت يا جويل. كنت أعرف أنهما سيبعدانني في أي لحظة. كنت أعرف أنني لست مثلهما. كانا هما وأنا كنت أنا يا جويل. ذهبت ببطء، وعندما خرجت من باب العمارة اتجهت إلى الجنوب بدلًا من الالتفاف في ميدان «باريس» لأنني كنت أخشى التعثر بـ"بسلَّة". لكنني أعتقد أن "بسلَّة" لم يكن هناك....

....

لا أعرف لماذا أرتعش كثيرًا عندما أفكر أننا، سبستيان وألبرت و"بسلَّة" وأنا أيضا، ظللنا هنا طافيين على سطح العالم بينما ذهبت أنت إلى أعماقه. هل أصبحت أكثر نضجًا الآن؟ هل أصحبتَ أسمى لأنك ميت؟ كم أود الذهاب معك، حتى وإن كان هذا خلال برهة فقطة، ونظل كما كنا نفعل من قبل، جالسين في صمت، بصرامتك بينما تشغل الكومبيوتر وتقودني إلى فراشك، الباب

مغلق، لا يوجد أي شخص في البيت، وأراك تفتح صفحة على الانترنت وأيضا تفتح درجًا لكي أرتدي سروالك، كل هذا في صمت، ثم تذهب إلى المطبخ وتعود للغرفة، بينما أكون ساكنًا فوق الفراش، بفضول النظر في كل الأدراج وفتح كل كتبك لأرى اسمك مكتوبًا، لكنني أظل ساكنًا لكي لا تغضب، وأراك تعود بسندوتشين، وأنا سعيد، رغم أننا لا نتحدث، ومع كل حركة غير متوقعة أشعر بخوف وصول اللحظة التي تقول لي فيها «حسنًا، لقد حان وقت رحيلك». وأجرؤ على الإمساك بورقة بيضاء من فوق مكتبك، وأكتب اسمك واسمي، كأن وجودهما معا، كونهما مكتوبين معًا، يعني شيئًا، كأن هذين الاسمين يعبران عن حقيقة شيء ما يا جويل. الأشياء الماضية تنتمي لعالم مختلف عن عالم الأشياء الحاضرة. مثلك ومثلي، في الماضي كنا متتاليتين متساويتين في نفس العالم، والآن ننتمي لعالمين مختلفين: أنت في عالمك وأنا في عالمي. لكن هنا في الأعلى، بينما أتحدث إلى الأعماق حيث لا تتحرك، أفكر مرة أخرى، إن وقعت معجزة أو بسبب الحب، قمتَ بفتح غطاء قبرك ونزلتُ، من المؤكد أننا سنجلس متواجهين، عاريين، بينما يفعل كل منا ما يريد، دون أن تقول لي ما يجب أن أفعل، دون انتظار عودتك من المطبخ بوجبة العصر، سأكون مبتهجًا برؤيتك وأنت أيضًا ستكون مبتهجًا لرؤيتي، لأنني سأكون قد اتجهت إليك، وسنضحك يا جويل، أعرف أن ذلك الوجه الموحي بالألم وذلك الخوف وكل تلك الأشياء التي تلازمنا ستختفي. حينئذ لن نكترث بكل الأشياء التي حدثت

لنا. حينئذ لن يُشعرنا الصمت بالخوف، لن يفزعنا، لأننا سنجعله عذبًا، سنبتسم، سنبتسم معا يا جويل.

القسم الثاني

ميكيل أنجيل

15

يبدو أن هناك دافع. هناك شيء ما لم أخبركم به من قبل بشأن قضية آل كلاتر. قبل ذهابي لذلك البيت كنت أعرف بوجود فتاة. وأعتقد أن سببي الأساسي لم يكن هو السرقة، وإنما اغتصاب الفتاة. فكرت في هذا كثيرًا. لهذا لم أكن راغبًا في التراجع عندما نكون هناك، عندما نكون قد بدأنا، بل وعندما رأيت أنه لا توجد خزانة.

ترومان كابوتي

لقد هجروك. هو تحديدًا هجرك، أبعدك، تخلص منك كالغبار المتطاير في الهواء، كما يحدث عندما تمر عنزة برية بجوار جرف وتتساقط الأحجار والتراب. تدخن في غرفتك المعتمة، تدخن بيأس ولا ترغب سوى في تلويث وجهك وتمزيق ملابسك، القيام بكارثة تعيد لك الثقة بنفسك وتُبعدك عن التفكير في سبستيان وألبرت آبات وميكيل أنجيل. تشعر أنك مستعد، في عتمة غرفتك يا جاومه، بينما تستلقي على الفراش، لأن السقف يبدأ في الانهيار وتسقط قطع الأسمنت على وجنتيك، على وجهك. ينهار البيت، وسينتهي الأمر بجسدك جريحًا مهشمًا، وسيتحلل تحت أطنان من الركام. أنت شديد الكبرياء يا جاومه. لا يمكن أن يهجرك

أي شخص دون اكتراث. بالإضافة إلى هذا فأنت محظوظ: منذ ثلاثة أيام لا تذهب للمدرسة، واليوم هو الرابع. أبوك وأمك يطلان من باب الغرفة فقط، هو يربت على ركبتك وهي تضع يدها على جبهتك لترى إن كنت محمومًا. كان كافيًا اليوم أن تقول لهما إنك متوعك وكان رأيهما ألا تذهب للمدرسة. لماذا يثقان بك ثقة عمياء؟ هل تستحق هذه الثقة؟ ومنذ أربعة أيام بالضبط، لأن اليوم هو الخامس، منذ رأيت سبستيان في غرفة ألبرت آبات، لا تتحدث معه. مهما اتصلت به لا يرد على المكالمات أو الرسائل.
اليوم هو الخميس. إنها التاسعة صباحًا. عندما نهضت من فراشك كان الجو معتمًا. لم تكن هناك أي نجمة عابرة، لتخدش حزن الليل. هذه الأيام، على الرغم من قرارك بالعزلة داخل قصر من الكتب والفوضى والجدارن الملئية بالصور المقصوصة من مجلات الموضة، لم يمكنك البقاء بمفردك: توفول أو "الشيخ"، الذي يناديك باسم جاومه عندما يكون معك، بتواطؤ من يجعلك تدرك أنه يفعل هذا لأنكما صديقان، جاء ليلة أمس ليطلعك على أخر الأخبار. دائمًا ما اعتقدت أن "الشيخ" يعيش في العالم دون أن يعرف ما يحدث فيه، كأنما يرى العالم يمر أمام عينيه بينما لا يهتم سوى بما يُعرض في التلفزيون. دائمًا ما اعتقدت أن «"الشيخ": لا يعرف الألم أو البهجة. إن رأيت "الشيخ" ذات مرة ممسكًا ببضعة أعشاب على حافة جرف، لن تنحني لمساعدته، لأنك تعتقد أنه سيسقط، سيرتطم بالأرض ويتهشم على الصخور دون أن تأسف لموته، فأنت لا تكترث بالموت أو الحزن بسبب

الموت، مثل المتوحشين. لكن لا يا جاومه: دائمًا ما يخفي "الشيخ" شيئًا ما خلف نظرته، يتظاهر بأنه ينظر للجهة الأخرى، لكن لديه قرون استشعار خفية، ذاتية التوجيه. أنت لا تريد معرفة هذا، لكن «"الشيخ" يعرف كل ما يمكن معرفته. يمكن لـ"الشيخ" أن يناديك باسمك يا جاومه، لكن قرون استشعاره كبيرة للغاية. لهذا جاء ليلة أمس ليخبرك كيف انتهى حفل ألبرت آبات ولماذا لم يحدثك سبستيان طوال هذه الأيام، وماذا يفعل سبستيان وماذا يفعل ميكيل أنجيل.

– ماذا يا جاومه؟ لماذا لا تأتي للمدرسة.

كان "الشيخ" ينظر لك بعينين خاليتين من التعبيرات؟ ماذا أصابه؟ هل كانت خصلة شعره مائلة؟ هل تناول شيئًا يجعل عينيه مفتوحتين مثل الطبق؟ كان يلف السجائر دون توقف، لكنها لم تكن من تلك الأعشاب الطفولية التي تدخنونها أحيانًا. كانت تلك الأعشاب التي تفوح برائحة الأرض الرطبة والحية في باطن الأرض، تحت الجذور، بجانب الجذور والأحجار.

– أنا لست على ما يرام يا "شيخ" – وهكذا عدت للعبة الألقاب أيها اللعين جاومه "بسلَّة"– لا يجب أن تفعل أي شيء. شكرًا على مجيئك، لكن كان يجب أن أطلب من أبي ألا يدعك تدخل. أنا منعزل هنا، في غرفتي، لا أريد لقاء أي شخص.

– ألسنا صديقين يا جاومه؟ هل تريد أن آتي لك بأي شيء.

– لا. أنا مريض. سأتحسن خلال بضعة أيام. هل سأل سبستيان

عني؟ - لم يكن يجب أن تسأل، لكنك ضعيف يا جاومه، دائما ما يوجد بك جزء من الطفل الذي يبكي لأنه وصل متأخرًا على توزيع الهدايا.

- سبستيان؟ عنك؟ أعتقد أنه لم يفعل... - هنا يمكنك أن تدخل في حالة تشنج وبكاء، ورأيت أيضا كيف أن طريقة رد "الشيخ" توحي أنه لم يأت بنية طيبة.

- لا؟ لم أذهب للمدرسة منذ ثلاثة أيام ولم يسأل عني؟

- في الحقيقة كانت المدرسة غريبة خلال هذه الأيام، ولم أتحدث مع سبستيان لأنه لم يذهب. أنا آسف يا جاومه.

- آسف؟ علام تأسف يا توفول؟

- أنا... عندما حدث هذا لأول مرة لم أكن أعرف، لأنني لم أكن أهتم بأي شيء، لم أكن أكترث بأي شيء.

- ما الذي حدث لأول مرة يا «"الشيخ"؟ سأحطم فكك إن لم تتكلم بصراحة.

- بالطبع، الشيء الوحيد الذي قلته لسبستيان إن الأموات، بغض النظر عن مكانتهم، أصبحوا أمواتًا، ويجب علينا أن نصلي من أجلهم. نحن أيضًا سنصبح مثلهم ذات يوم، وسيصلي شخص ما من أجلنا. كان يتحدث بشكل سيء عن الفتى الميت. أحيانا يكون سبستيان هكذا. يريد أن يكون فوق الأشياء البديهية، يريد إظهار أنه يسير في طريق مواز لنا جميعًا، أو يريد إبراز صلابة

أو برودًا لا يمتلكهما.

– تحدث دون لف ودوران يا "شيخ"!

– لقد ضجرت بالمداهنة والخوف من الأحكام المسبقة والتفكير فيما ما يجب أن أفكر وأفعل. تصلُ للمدرسة مبكرًا (وضمير «أنت» هنا مجازي، أنا أتحدث عن الجميع وليس عنك أنت تحديدًا، هل هذا واضح؟)، وماذا يجب أن تفعل؟ بالإضافة لدخول الفصل والتدوين وإعارة الانتباه وكل هذا، يجب أن تضحك. يجب أن تضحك من البداية يا جاومه. تعبر البوابة، تقترب من سلم باب المبنى الرئيسي، ولا تضحك على ترهات بوثا ومارك وهؤلاء، ولا تسمع ما حدث بالأمس لشخص ما أو ما فعل الآخر في عطلة نهاية الأسبوع. ماذا سيحدث لك؟ أخبرني، ماذا سيحدث لك؟ سأقول لك بنفسي ما سيحدث: سيبعدونك إلى ركن، ولن ينظر لك أي شخص ولن يقول لك صباح الخير. حتى إن دخلت وقلت «صباح الخير»، لن يسمعونك، لأنهم اتفقوا فيما بينهم على عدم تحيتك عندما تدخل. حتى إن دخلت بمكبر صوت ذات يوم وقلت لهم «صباح الخير» بينما تضع مُكبر الصوت على أذانهم. سيتركونك في ركن، الركن الذي أصبح مرتبطًا بك. لن تضايقهم، لن تخيفهم، وفي نهاية الأسبوع، عندما يكونون بحاجة للانتعاش لأنهم يعيشون ميتين في ميادين الحي، يأتون خلسةً تقريبًا ليطلبوا منك مخدرات، وهم يدركون أنهم بحاجة لك، رغم أنك غريب الأطوار وحقير، لكي تبيعهم ما يحتاجون عندما يريدون.

– يا "شيخ"، لماذا تحكي لي كل هذا؟ – أوشكت على طرده من غرفتك ركلًا، وعلى أن تقول له إن مشاعره وأفكاره لا تهمك في أي شيء، وأن يخبرك مباشرة بما جاء ليقول، ثم يخرج من غرفتك بذلك الوجه الذي يبدو مغيبًا بالمخدرات وتلك الأنفاس كريهة الرائحة. لكنك لم تفعل هذا. كان نفاد صبرك ينبئك أيضًا أن "الشيخ" جاء ليخبرك بشيء ما تهمك معرفته– قُل يا توفول. ألم تر سبستيان؟

– سبستيان؟ هذا مثير، لقد أصبح صديقي لأنك قررت أن يكون صديقك. كأن سبستيان قد قبلنًا كحزمة معًا. كنت أتحرك معك في كل مكان. وسبستيان طيب للغاية، ولهذا بدلًا من الالتحاق بأفضل شلة في المدرسة، أصبح صديقنا، نحن المُهمشان.

– نحن لسنا مُهمشين يا "شيخ". نحن لسنا ميكيل أنجيل.

– هل أنت واثق من هذا يا جاومه؟ إن كان هناك شيء ما لا يمكن قبوله في هذا العالم فهو الأصالة والتفرد. عندما يصمت شخص ما فلأن جسده بالكامل صامت، حتى وإن كان كل الشارع يتحدث زاعقًا. عندما ينهض شخص ما ويبتعد عن الشلة ويذهب للجلوس في ركن منعزل، على مبعدة خمسة عشر مترًا، أو في الخارج خلف السور، فإن كل جسده ينهض ويذهب. عندما يحدث هذا، تشك الشلة كلها في أمر هذا الرحيل، تبدأ في الشعور بالخوف ممن نهض وهجر ما هو جماعي. هذا هو ما يحدث لي يا جاومه، ولسبستيان أيضًا.

– نحن مُهمشان لأننا فريدان يا توفول. يخافون منا لأننا أفضل منهم. أنا وأنت وسبستيان. في حقيقة الأمر فإن أرناو ومارك وشلة المثقفين، جابريل وجونكوسا، يودون مصاحبتنا.

– لا يا جاومه، ليس معك أو معي. إن بوثا ومارك، وسبستيان ذاته، يعتقدون أنني أعيش في حالة من الذهول والخدر، بل إنهم لا يعرفون اسمي، ويطلقون على "الشيخ" لأنك وضعت لي هذا اللقب. ولماذا أطلقته عليَ يا جاومه؟ لأنهم يطلقون عليك "بسلَّة"، لأن سبستيان قال لهم إن شعرك يشبه حزمة من أوراق البسلَّة. إنهم لا يعرفونني، ويطلقون عليَ "الشيخ" لكنني لا أكترث إن أسموني "الشيخ" أو «تشام» أو «تشوكلابيو». أطلقت عليَ هذا الاسم لأن الغضب كان يأكلك بعدما أطلق عليك سبستيان لقب "بسلَّة". وهذا موائم لسبستيان لأنه يريد أن يكون فتى شريرًا، مثلك، وأنت لا تحبه بالفعل. أنت تحبه لأنه كل ما ترغب أن تكون: فتى فريد، طيب، يشعر أنه ضائع لكنه يبحث عن شيء ما، يعرف أن العالم يبدأ على الجانب الآخر من السور. أنت شرير يا "بسلَّة". أنت لست فريدًا: أنت متردد، خائف، تعيش رهينة ردود أفعالك، تعتقد أن قرارًا منك يمكن أن يغير العالم. أنت شرير يا "بسلَّة".

وتتراجع، تمسك الوسادة، تعد إلى ما لا نهاية لكي لا تنقض على عنق "الشيخ" وتخنقه، لكي تصمته، لكي تخرسه. في ذات اللحظة التي كنت تشعر فيها بأنك مُحاصر، وحيد، يأتي "الشيخ" ليقول في وجهك إن سبستيان قد تخلَّص منك لأنك شرير، عفن. "الشيخ"، الذي لم يقل كلمة صائبة طوال حياته...

- لماذا أتيت يا "شيخ"؟ لكي تقول لي إنني شرير؟ ألا ترى أنني مريض؟ ألا ترى أنهم جمعيًا تركوني وحيدًا؟

- عندما قيل قبل أيام إن ذلك الفتى الأبله، الذي كان يقف دائمًا في ركن بمفرده لأن الجميع كانوا يتحاشونه، عندما قيل إن موتوسيكل قد صدمه ومات، لم أشعر بأي شيء يا جاومه... ربما أكون قد شعرت بالاحترام إزاء غموض فتى أصبح جزءًا من عالم لا نعرفه. صدقني يا جاومه. عندما أخذ سبستيان في انتقاد الفتى الميت شعرت بالغضب، لأنني أدركت أنه يريد أن يكون فتى شريرًا بينما لم يكن هكذا بالفعل. فكرت: اذهب وقُل هذا لـ"بسلَّة". إنه مثل شخص لعين. سيبتهج لموت فتى آخر، "بسلَّة" يسعد بموت الفتيان. من المحزن أن يتحدث المرء هكذا يا جاومه. والأكثر إثارة للحزن رؤية أن بوثا وأرناور وجابريل وجونكوسا كانوا حزانى، كأنهم يشعرون بالحزن على ذلك الفتى الميت. كنت أمر على زملاء حزانى، كانوا واقفين بجوار جوان جيلبرت وتولو كانتاريس وماجدالينا تراوس، وصمتوا دقيقة حداد على الفتى الذي كان ينظر لهم كأنهم حشرات. لم يكونوا يبكون عليه، لم يكونوا يصلون من أجله. كانوا يبكون على أنفسهم، لأن موته غيَّر عالمهم، تركهم في مواجهة خوف السير في الشارع في هدوء ثم الموت، لكن هذه المرة كانت مختلفة يا جاومه. هذه المرة لم يكن أي شخص راغبًا في أن يكون شريرًا. هذه المرة...

- هذه المرة ماذا؟ ماذا حدث يا توفول؟ ماذا حدث وجعل سبستيان لا يتصل بي؟

– أعرف أنك ذهبت يوم السبت إلى بيت ألبرت آبات عندما لم يكن هناك كثيرون، وكان الوقت متأخرًا للغاية. في الحقيقة كان هذا مؤسفًا، أعنى ذلك الحفل. لم يكن حفلًا على الإطلاق. ذهبنا معًا، رافقتك. كنت أعرف أنك مهتم بشيء ما. كنت أعرف أنك كنت تريد أن ترى إن كان سبستيان موجودًا. منذ أيام لم يكن سبستيان راغبًا في مرافقتك، منذ أيام لم يكن يخرج معنا. كان سبستيان يعقد صداقة مع ألبرت آبات، وأيضا مع ذلك الكائن القبيح المسمى ميكيل أنجيل. بصراحة، لابد أنني محدود، لكنني لا أعرف ماذا كان سبستيان يفعل متجولًا مع ميكيل أنجيل. كان ميكيل أنجيل راغبًا فقط في الاقتراب من أي شخص. في البداية اقترب من الفتى الميت. الآن يقترب من سبستيان. لا يدهشني أن يذهبوا للتمشية في الأراضي الخلاء فيما وراء السجن أو في الطريق الوردي.

– مع ميكيل أنجيل؟

– نعم، ميكيل أنجيل. ذلك القبيح ذي الأسنان المعوجة والأظافر القذرة.

– في الطريق الوردي؟ سبستيان وميكيل أنجيل؟

وأمام عينيك، بالأمس، في غرفتك شبه المعتمة، سيختفي جسد توفول المنحني، المحاط بدخان سجائر الماريجوانا، وتخطر على بالك عينا سبستيان كالذئب، وتلك النظرة إلى بعيد بينما كان ألبرت آبات إلى جواره، وميكيل أنجيل هادئ ويجرؤ على النظر

لك، بينما كان جالسًا على الأرض في حماية سبستيان؟

- ماذا يميزه برأيك؟ في الفجر، كان الجميع يذهبون شيئًا فشيئًا. كنت في الصالة. لا أعرف من كان يشغل الموسيقى. هذا لم يكن حفلًا، لم يكن هناك أي شخص يمضي وقتًا جيدًا، كانوا يضايقون بعضهم البعض فقط. بالإضافة إلى هذا، لم يكن أي منهم بمفرده، كانت الموسيقى جيدة، كنت أنظر بشيء من الهوس إلى ستائر الصالة الحمراء، التي كانت تتراقص لأن الباب الأكورديون كان مفتوحًا وكانت تتحرك معه. كان بوثا ورفاقه قد رحلوا مبكرًا. لم أكن أعرف الموجودين. عندما دخلت معك كان هناك الكثيرون، لكنك ذهبت دون أن تقول أي شيء، كالعادة. أعرف أن الوضع قد خرج عن السيطرة بعد وقت قصير، أشخاص يدخلون ويخرجون، كنت قد أعطيت قرصًا لألبرت آبات، لأنني كنت أريد تقديم هدية له منذ سنوات. وكنتَ قد أخبرتني أنه دعا ثلاثتنا. بعد برهة قال شخص ما إن ألبرت يأتي بأفعال غريبة في البيت. ما أدراني: لم يقل لي أي شيء. بعد ذلك جاء سبستيان، وأنت لم تكن موجودًا، وجلس معي خلال دقيقتين وقال لي إن ألبرت آبات غريب التصرفات.

- قال لك إن ألبرت آبات ماذا...؟

- كان يبدو غريبًا. أنا أيضًا شعرت أنني غريب، لأنني لم أفهم ما قاله سبستيان عن ألبرت. كنت أعرف أنه لن يسألني عنك، لكنني لم أكن أعرف إنه سيسألني إن كنت قد أعطيت شيئًا لألبرت آبات.

بعد ذلك جاءت تلك البدينة مع بوثا، وأخذت تصرخ في سبستيان. أخذت تسأل عمن يظن نفسه، عم فعل بألبرت، وأمرته ألا يقترب منه لأن ألبرت فتى جيد، وفكرت أن سبستيان حصل في النهاية على ما يريد بعد جهد كبير، وأن الجميع يعتقدون أنه فتى شرير، مثلك يا "بسلَّة". وتساءلت هل سيضرب تلك الخنزيرة في الحال؟ لكن سبستيان رحل، بعدما شعر بالضيق من غضبها. لكنه عاد بعد ذلك. ورأيتك تدخل أيضا بعد ذلك، عندما لم يكن هناك أي شخص تقريبًا، وكان البيت يشبه مستودع القمامة، فكرت أن أبوا ألبرت سيضربانه علقة معتبرة عندما يأتيان في اليوم التالي، لأنه لن يتوفر على وقت لتنظيف كل هذا. ولا أعرف ما حدث بعد ذلك، لكنني سمعت صياحًا، وبدا لي أنه كان صوت سبستيان، ورأيتك تخرج كالمجنون. خلال برهة فكرت أنك قد ذهبت لتصطحبني، لكن لا، أعتقد أنني قد نعست في أحد الأركان، كان بابلو مول في الصالة، كان مستلقيًا على الأريكة، وكانت فتاة متمددة فوقه. في الحقيقة لم أتوقف أمامها من قبل، مؤخرتها جيدة.

– وماذا فعلت؟ هل رحلت؟

– لا، ظللتُ جالسًا هناك. على الرغم من أن النهار لم يكن قد حل، لم أكن راغبًا في الذهاب للبيت، لم أكن راغبًا في النوم. كنت هناك زجاجة فودكا مفتوحة ولففت بضعة سجائر. نعست، وأوشكت على حرق الأريكة بالسيجارة التي كانت بين أصابعي. شعرت بفزع كبير. وازداد فزعي عندما رأيت ضوء الفجر، وفكرت في أبي، الذي لابد أنه قد عاد من العمل، وربما كان ينتظرني أمام باب

البيت أو جالسًا على الأريكة لكي يسألني أين كنت. كان بابلو مول موجودًا، والفتاة أيضًا، وبدا أنه لم يكن هناك أي شخص. ورنَّ جرس التليفون، وسمعت شخصًا ما يرد في مكان آخر، وبعد ذلك سمعت نحيبًا وبكاءً وصرخات حادة، كان صوتًا مألوفًا، واتضح أنه كان ألبرت آبات، سمعت ألبرت آبات الذي كان يبكي ويقول» لا، لا، لا!»، وبعد ذلك يقول «لا يا سبستيان!»»، ونهضت كأنني نائم ومشيت داخل كابوس ورأيت خلف الباب ما يوقظك من كابوس أو يجعلك تعيش داخل كابوس للأبد. رأيت ألبرت عاريًا تمامًا، وكان يبكي، وسبستيان، العاري تمامًا أيضًا، كان يعانقه ويبكي أيضًا ويعتمد جسد ألبرت الذي كان يرتعش ويسقط. واندهش سبستيان كثيرًا لرؤيتي أمامهما، وأشار لكي أذهب، وكان رقيقًا للغاية في إشارته، وكان حزينًا، وذهبت دون أن أقول أي شيء. وكان النهار قد حلَّ في الشارع، في ميدان «باريس»، ساعة مبكرة في صباح يوم الأحد. كانت رأسي مشوشة، كان شعورًا غريبًا، كان هناك تناغم رمادي حزين، كان هناك أفراد يسيرون على الرصيف، وعندما وصلت البيت كان أبي نائمًا، وكان فراشي غير مرتب، وخلعت ملابسي بالكامل مثل ألبرت وسبستيان، وانخرطت في البكاء ولم أكن أعرف السبب.

– لكن ماذا حدث يا توفول؟

– لم أبك. كان راغبًا في النوم، وسقطت نائمًا في التو.

– هل أنت أبله؟ ماذا حدث؟ لماذا كان ألبرت آبات يبكي؟ ولماذا

كان سبستيان يعانقه؟

– هذا ما عرفناه بالأمس في المدرسة. لم يكن ألبرت أو سبستيان قد ذهبا للمدرسة. لم أكن سألحظ غياب ألبرت آبات لولا الجو العام المهيمن، ذات الجو الذي ساد عندما مات ذلك الفتى؛ لكنه كان أكثر حزنًا، لأن أحدًا لم يكن يحب الفتى الميت، لكن ألبرت محبوب. أعلنت المُعلمة تاروس الخبر في الراحة الأولى. لكنني عرفت عن طريق أرناو، لأنني سألته. لم أقل لأي شخص إنني كنت موجودًا عندما رنَّ التليفون. يبدو أن أبوي ألبرت آبات يمتلكان بيتًا ريفيًا صغيرًا خارج المدينة. ويبدو أنهم قد خرجوا لتناول العشاء في قرية قريبة. وأثناء عودتهم في طريق فرعي ارتطمت بهم سيارة من الأمام وسقطوا من فوق منحدر. الأم والأخ الصغير ماتا في الحال. يُقال إنهما دُفنا بالأمس. أبوه في غيبوبة في المستشفى.

تمر عليك الساعات ولا تعرف كيف. تسمع صوت مفاتيح، يُفتح الباب، أبوك يدخل من الباب. تعرف دائمًا عندما يكون أبوك لأنه يدخل في صمت. أمك تقوم بالتحية من المدخل، تسأل دائمًا إن كان هناك شخص ما في الداخل. كأنما تخشى لقاء العدو، أو من رؤيتك مع جاركم. منذ متى لم تره؟ منذ حبست نفسك هنا. ماذا يمكن أن يكون الجار فاعلًا الآن بينما يجهل نقاشاتك مع سبستيان وميكيل أنجيل؟ هل هو موجود في البيت الآن؟ هل جدار

غرفته ملاصق لجدار غرفتك؟ تتشجع وتنتشي بينما تسأل نفسك أسئلة لا تجيب عليها. هل رفض سبستيان فكرتك لسرقة شقة الجيران في نهاية الأمر؟ لم يقبل هذا التعميد لحياته الإجرامية؟ يُفضل الجلوس جانبًا في صمت أو الترويح عن نفسه مع ميكيل أنجيل في الطريق الوردي وقضاء الساعات في غرفة ألبرت آبات بينما يرى صور عائلته عندما كانت على قيد الحياة؟ إنك قاس يا جاومه، نعم، أنت قاسي. بخلاف هذا يستحيل التوفيق بين سلوك أخلاقي وحياة مكرسة للجريمة. وإن لم يكن سبستيان راغبًا في الذهاب معك، هل ستذهب يا جاومه؟ هل تمتلك الجرأة الكافية والدم البارد لكي تدخل هذا الاختبار بمفردك؟ ماذا ستفعل إذن عندما تخرج من باب الجيران بعدما تنتهي من مهمتك؟ هل يمكنك النظر لسبستيان والإشارة له في صمت، كصديق ومؤتمن سر، لكي يدخل أول شارع على اليمين ليرى الغنيمة. إن دخلت بمفردك ورأوك، إن رأى الأبوان والأخوة وجهك، إن رؤوا كيف تربط معاصمهم خلف ظهور المقاعد، إن كان بإمكانهم التعرف عليك، ماذا ستفعل؟ هل ستفعل مثل ديك وبيري؛ اللذان اضطرا لقطع أعناق آل كلاتر؟ وماذا ستفعل بالطفل؟ أنت بمفردك يا جاومه. يمكنك أن تفعل به ما تريد. وإن رأيت جارك الصغير متمددًا في فراشه بسرواله الداخلي أو يُمتع نفسه، ويبتهج لرؤيتك، ماذا ستفعل؟ وإن ساعدك على إنهاء العمل والهرب معا خارج المدينة، تتقاسما الغنيمة، يفتح السيارة، وعلى الرغم من أنه صغير السن، يعرف القيادة، وتبتعدان عبر الطرقات التي شهدت حادث عائلة

ألبرت آبات وتضرم النار في البيت قبل رحيلك، ويدخل اللهب بيتك بينما يكون أبواك نائمين، وتصبحان يتيمين أيضًا، وفي اليوم التالي عندما تشرق الشمس تترك السيارة، وتجدا نفسيكما في مدينة حيث لا يعرفكما أي شخص وتبدأن حياتيكما من جديد.

– جاومه! – إنه الصوت الحنون، لكن القوي، المميز لأبيه، الذي ينادي قبل أن يطرق الباب مباشرة –. جاومه، هل أنت هنا؟

– نعم. أنا بخير. لا تدخل.

– جاومه، افتح الباب. – نعم، لديك مزلاج في الباب يا جاومه. نعم، على الرغم من أن شعرك يشبه حزمة من أوراق البسلَّة –افتح، يحب أن نتكلم.

– عم نتكلم؟ – أبوك من هؤلاء الآباء الذين يجلسون أمامك ويسألونك عن أحوالك وإن كنت تريد الكلام عن أي شيء. وبعد قليل يربت على ظهرك ويعطيك شيئًا من المال لربما رغبت في الخروج.

– إن لم تكن بخير يجب أن نذهب لزيارة الطبيب. لكن لا يمكنك أن تمضي المزيد من الأيام محبوسًا في غرفتك يا جاومه.

– سأخرج يا أبي. سأخرج الآن يا أبي.

ولم تخرج من غرفتك حتى مرت بضعة ساعات يا جاومه. سمعت أمك لدى وصولها، وبينما تعد الطعام، وتشاهد نشرة التلفزيون، ثم تخرج مع أبيك. طبق المكرونة، المغطى بطبق آخر، فوق

المفرش. بينما كنت تتلاعب بالمكرونة أرسلت رسالة لسبستيان وغيرت نبرتك المعتادة «من فضلك، لنلتقي، لبرهة واحدة فقط». تلقيت الرد قبل مرور دقيقة، «في التاسعة في الطريق الوردي». أوشك قلبك على الانطلاق من فمك يا جاومه بسبب السعادة. ترك لك "الشيخ" كيس أعشاب. تعود لغرفتك، وتلف سيجارة، أنت هادئ لأن سبستيان ردَّ على رسالتك، تنام.

تستيقظ بعنف جسد يسقط على السلالم، تنظر للساعة وترى أنها التاسعة إلا ربع. تلعن كل شيء قابل للعن، وتخرج من الباب منطلقًا. لكن أباك يسد عليك الطريق بروح أبوية.

– أبي. دعني أعبر. سأخرج الآن.

– لا، لن تخرج.

– كيف لن أخرج؟ ومن سيمنعني؟ أنت؟

–...

– قُل لي، هل أنت من سيمنعني؟

– يجب أن نتحدث يا جاومه.

– أفسح الطريق.

– أمك قلقة للغاية.

– هل ستفسح الطريق أم أفسحه بنفسي؟

– أنت متغير يا جاومه.

-...

- لقد ظللت محبوسًا داخل غرفتك.

- ...

- أنت مختلف عما كنت أعتقد يا جاومه.

وتتركه دون أن يكمل كلامه، فبينما كان يفضي بمخاوفه، أخذ يبتعد شيئا فشيئًا لكي يتركك تعبر وتخرج. تجري في الشارع، تجري دون هدى. بينما تجري يقشعر جلدك كلما فكرت في جسدي ألبرت آبات وسبستيان العاريين وعناقهما. تجري وتشعر برغبة أكبر عندما تتذكر عيني ميكيل أنجيل الصغيرتين الخائفتين الحزينتين، فجر يوم السبت الماضي، بينما كان جالسًا على أرض غرفة ألبرت آبات، بينما كان سبستيان يحميه ويدفعك إلى الشارع، ولم يكن أخو ألبرت آبات الصغير قد مات بعد. هل كان ميكيل أنجيل ينظر لك منتصرًا بينما كنت تخرج؟ هل كان ينظر لك لكي يقول لك إنك من يذهب الآن وأنه من سيحتل مكانك؟ هل جاء ميكيل أنجيل بعد موت الفتى ذلك لكي يسلبك ما تملك؟

تصل للمدرسة وتستمر في الجري. المساء يلتهم المدينة، تعبر الممر ذا السقف المزخرف، تنظر لأضواء الطوارئ. لا تجري في الطريق الوردي. لا تريد أن يرى سبستيان أنك جئت مهرولًا. تراه من بعيد، بينما يدخن بجوار خلاط الخرسانة الصدئ، لكنه ليس بمفرده. بينما كنت تقترب أخذت تبتهل لكي لا يكون الشخص الموجود مع سبستيان هو ألبرت آبات. ماذا يجب أن تقول له؟

أنك تشعر بالأسف لموت عائلته؟ هل ستقول إنك ستقتله لأنه سلبك سبستيان؟ لكن سبستيان ليس مع ألبرت آبات وإنما مع ميكيل أنجيل. سبستيان هادئ، في الطريق الوردي، مع ميكيل أنجيل. إنهما يتحدثان، يبدوان كصديقين. هل فعل هذا عمدًا؟ هل أراد الذئب قنص الصياد ووضع الطُعم أمام عينيك؟

تتوقف وتظل ساكنًا لبرهة بينما تجلس مقرفصًا فوق أعشاب عالية. بعد لحظة يرحل ميكيل أنجيل. تنتظر لبرهة أخرى، حتى يبدو أن صبر سبستيان يوشك على النفاد. من موضعك، إن كنت صيادًا، سيكون الذئب في مجال نظرك، البندقية تحرق يديك، تلتفت إلى الجانبين، ولم تعد المدرسة موجودة، كل شيء غابة كبيرة، ومن بعيد يبدو الطريق الرئيسي الذي يقود إلى رامونتانا. لكنك تنهض من جلستك، وتقترب من سبستيان شيئًا فشيئًا، ولا يسمع صوتك عندما تقول.

– سبستيان...

– كيف حالك يا "بسلَّة"؟

كما في أي مرة ذهبتما هنا، جفنا سبستيان شبه مغلقان، رموشه طويلة، السيجارة المحشوة متدلية من فمه، يستند بمؤخرته على الجدار، تلك الرائحة المميزة له، التي لا تشبه رائحة أي شخص آخر. الخصر نحيل، البنطلون ممزق، الحذاء الأصفر والرمادي متقشر. تلك الأرض من الأسمنت المشقق، الذي تخترقه الأعشاب. وإلى جانب يوجد البئر، بعنقه شبه متهدم، الأسلاك

الصدئة، صدى ثقب ما زال يصدر صدى. صدى ينتهي عندما ينتهي الصوت.

16

اللعنة على الأفلام بشكل عام. ألعنها لأنها تتحدث دائمًا عن الزمن، عن الزمن الذي يمر، عن كذبة الزمن الذي يمر. ألعنها لأنني لا أصدق أنني أبعدت "بسلَّة" منذ ثلاثة أسابيع ولم يعد ميكيل أنجيل موجودًا.

بينما كنت أسير معه، كنت أتساءل أحيانا: هل صحبة "بسلَّة" أفضل من البقاء بمفردي أم العكس؟ كنت أتساءل: لماذا تصاحب "بسلَّة"؟ بالفعل، عندما لم أكن أعرف إن كنت سأصل لألبرت آبات وكنت أصاحب "بسلَّة" لكي لا أكون بمفردي، ألم يكن أفضل عدم مصاحبته، إمساك يد ميكيل أنجيل الأفضل منه مليون مرة، وعلى الرغم من أنني لا أحبه، أتركه يقول إنه يعزني، والذهاب إلى ما وراء الطريق الوردي وعدم الالتفات لنظرة الآخرين لنا والحياة كأننا نحن من ينظر لهم؟ ماذا كان ميكيل أنجيل سيفهم إن كنت قد قلت له ذات يوم إنني أحبه؟ هل كان سيعتقد أنني أحبه هو فقط وأن الحب شيء خاص، أو حصري أو شيء يشبه الملكية الخاصة التي يمكنك تأجيرها أو الدفع مقابلها؟ أم أن الحب شيء عمومي يمكن للجميع أن يدلوا برأيهم فيه؟ لابد أن آديلا خالة ألبرت آبات، بوجهها الذي يشبه وجه الفتى، تنظر له وتفكر «لقد أمضيت وقتًا طويلًا هنا، سنقوم بمواساة ألبرت بأنفسنا، ألا

تعتقد هذا؟

”بسلَّة“ فتى لم يعرف إبراز الجمال، لأنه مهووس بألا يكون جميلًا، يريد أن يكون منفرًا، أن يمتلك نظرة لا تعبر عنه. ومع مرور الوقت يشق عليه رؤية الجمال في نفسه. لم يمكنني التوقف عن التفكير، طوال كل تلك الأسابيع بينما كنت أرافق ألبرت في جحيم السيارة التي سقطت بأبويه من فوق الجرف. اليوم، بمفردي تمامًا، لأن جدتي بدأت تلتزم بالصمت منذ أسبوعين، وأصبحت كالغائبة، صامتة وهادئة في انتظار الموت، كما يقول الأطباء، وأماندا وزوجها رامون لا يهتمان بأي شيء، وفي الشارع يوجد صمت لا يناسب منتصف اليوم في يونيو، بهذه الرائحة المميزة للبلاط المكسور، رائحة هدم البيوت التي سقطت تحت أقدامنا، وأنا جالس مثل رجل عجوز على المقعد أمام النافذة، كالعادة أهذي على ضوء الشمعة. لكن لا، لست بمفردي تمامًا. لا أريد رؤية ”بسلَّة“ مرة أخرى. ”بسلَّة“ يشبه الكلب المضروب الذي ينتظر أن يلقوا له بالعظم والأرز. بعد تجارب وخبرات كثيرة اكتشفت أنني لست رجلًا ذئب. كما لابد أنه قد اكتشف أنه ليس صيادًا. إن ”بسلَّة“ غبي، يجلس في ركنه، تقريبًا دون صحبة ”الشيخ“ الذي بدأ يخرج مع ميرشيه، الفتاة القوطية ذات الأظافر السوداء والعينين المتقدين والملونتين بالأسود أيضًا. لم يعد هناك من يرغب في الذهاب إليه ليقول له «كيف حالك يا ”بسلَّة“؟»، رغم متعة مضايقته لعدم اختيار لقبًا آخر له. لا يقترب ”بسلَّة“ مني ولا أقترب منه. أحيانًا، عندما تحط عيناي على مكان يوجد

به، أرى أنه ينظر لي، عن بُعد، وعيناه تنتقلان من المودة إلى الغضب، من العنف إلى الرجاء. يبدو أن "بسلَّة" ينتظر جالسًا على سلالم قاعة الجيمنازيوم، لينهار وينفجر كل شيء، وليختفي كل شيء، وليكن "بسلَّة" هو الوحيد الناجي، أليس كذلك؟ وهكذا يمكنه أن يمتلك سببًا جيدًا للشكوى. اللعنة عليك يا جاومه.

أنا وحيد. أنا لست وحيدًا على الإطلاق. حتى أمام هذه الشمعة، في النافذة، أمام هذه الغرفة التي تتسع إن توقفت عن النظر للخارج ونظرت للداخل. ولا حتى في المدرسة أكون وحيدًا، لأن هناك بوثا ومارك وهؤلاء الذين أصبحوا أصدقائي، وآخرون لم يكونوا يتحدثون معي من قبل والآن يوقفونني ليسألوني عن حال أبي ألبرت، لأنهم لا يجرؤون على سؤاله. لست وحيدًا لأنني لم أعد كما كنت دائمًا: وحيد داخل الشلة، وحيد في الزحام. اللعنة، أنا كما أنا لكنني أشعر أنني شخص آخر... لا أتعرف على نفسي، اللعنة. حتى جدتي، لا تتعرف عليَ منذ أيام، أغلقت عينيها الزجاجيتين على نفسها، مرهقة، تبحث عن الراحة، بهذه التجاعيد البارزة على شفتيها، مثل لحاء شجرة. يبدو أن ذلك الحزن الذي يطفو حولنا قد وصل لها أيضًا.

كلنا؟ من نكون كلنا؟ بوثا؟ ألبرت آبات؟ "بسلَّة"؟

لا أريد الإجابة على هذا السؤال، لأنها تبدو جملة في رواية رديئة أو كلمات يقولها عجوز مؤمن بالخرافات، لكن يبدو أن الموت والحزن قد جاءا ليسحقاننا. بل إن موت ذلك الفتى يحزننا الآن

بطريقة أخرى. نفكر ونشعر بالحزن على ذلك الصمت العنيف الذي أصبح كامنًا فيه الآن، ذات الصمت الذي حمل أم وأخا ألبرت آبات، الذي يدعى يوك، وكان لطيفًا وشقيًا للغاية، كما تقول عائلة ألبرت. ذات الصمت، العنيف لكن الغريب، كما في هذه الأسابيع منذ اختفاء ميكيل أنجيل. ونحن نتحمل حزن ألبرت آبات بقدر استطاعتنا وحزن عدم معرفة لماذا ظهر ميكيل أنجيل في صفحات الصحف الأولى والآن أصبح فتى ابتلعته الأرض.

انضم صمت الجدة لكل هذا الصمت. أنظرُ لها وأشعر أن جزءًا مني يذهب مع كلماتها، وكأن الجزء الذي خرج منها يأتي ويترسخ داخلي. قبل أيام سمعت رامون يقول لأماندا إن موت الجدة بسرعة سيكون أفضل، فمن المرهق إعطاءها الطعام المهروس في فمها وتغيير الحفاضات، ووضعها في الفراش وإخراجها من الفراش، وأن وزنها أكبر من وزن حيوان ميت. ابن العاهرة هذا، وفكرت في الذهاب للمطبخ، الإمساك بسكين كبير وأقول له إنه سيكون الحيوان الميت إن لم يكن يحب هذا الوضع. لكن لا. لا أريد أن يغلي دمي بالغضب. هذه أفكار "بسلَّة" التي ما زالت داخلي. وأفكر، مثل الأبله، أن "بسلَّة" ربما كان الذئب، وأنه عضني وأوشك على نقل العدوى بكينونته.

أنا أيضًا أموت. أنا أنزع جلد حياتي كل ثانية. سأموت عندما أصل لعمر أفعل فيه ما أريد وتكون جدتي قد ماتت. وأولد من جديد، أنا. سأكون أنا، سبستيان، أنا.

إنها الحادية عشر. نظرت للساعة. اندهشت للنظر للساعة. كلما نظرت لها فكرت في الزمن الذي يمر، الذي يضاف للزمن الذي مرَّ منذ خرج ميكيل أنجيل من بيته ولم يره أي شخص بعد ذلك. ليس لأنني أفكر باستمرار في ميكيل أنجيل، وأعترف أنني أشعر كأنني بلا روح عندما أنتبه إلى أنني، في هذه اللحظة، أُقدر حياة أبي ألبرت أكثر من حياة ميكيل أنجيل. في داخل الوحش الشرير الذي ما زال موجودًا داخلي، أضحك ببطء عندما أفكر أنه على الرغم من أن المعتاد أن الخبر الجديد يجعل الفتيان يتوقفون عن الكلام عن الخبر السابق، فإن اختفاء ميكيل أنجيل لم يجعل الفتيان في المدرسة يتوقفون عن الكلام عن أبوي ألبرت آبات، ولم يؤد ما حدث لأبوي ألبرت آبات للشعور برهبة موت ذلك الفتى الذي مات. لماذا أضحك؟ في حقيقة الأمر، الفتيان في المدرسة سعداء لأن ما حدث لألبرت والفتى الميت لم يحدث لهم. ويعتقدون أيضًا أن ميكيل أنجيل أصبح الآن مجرد فتى مختفي بصورة في أقسام الشرطة، والسبب في هذا أن هذه كانت طبيعته دائمًا، وأنهم ليسوا مثل ميكيل أنجيل، ولهذا من الطبيعي أن يختفي، بنظرته الزائغة، بحركاته المتعثرة، بصمته الممتلئ بالكلمات. كان كل شيء سريعًا وحزينًا. الآن بعدما لم أعد الفتى القادم من الدمج الاجتماعي، وإنما الصديق الجديد لألبرت آبات، في هذا العالم الممتلئ بالتباهي والرغبة في التحقق، في شغل مكانة مرموقة في شبكة عنكبوتية ثقيلة، ويجعلوني أشارك الآن في نكبات الجميع،

وأعلق معهم على الألم الذي يتسبب فيه كل شيء، وأجلس على دكك الممر مع جوان جيلبرت وجابرييل جونكوس وكارلا، التي لم تعد تتذكر كيف أبعدتني عن ألبرت يوم الحفل في بيته، ومع كلارا، ونعقد جلسات للتكهن بما سيحدث وللصلاة، ونتحدث عما حدث. وعندما يحل الكلام عن الأمور الأخرى، لا أعرف كيف أشارك، أو ماذا أقول، وأحن قليلًا لوقت كنت خلاله مجرد مشاهد، وبالنسبة للجميع لم أكن سوى الفتى الصامت بلا أبوين يعطيانه المصروف.

وفي الخلفية، عندما نجلس، خاصة عندما لا يكون ألبرت موجودًا لوجوده في المستشفى أو مع أقاربه، يكون "بسلَّة" موجودًا بعينيه ككلب، مليء بالغضب والحقد، لم يعد ينظر لي كأنه يقول «أنا أعرف من تكون وأصدقائك الحاليين لا يعرفون». ينظر لي بخزي من أراد إيقاع الشر وفشل في هذا. بعار كلامي عن ميكيل أنجيل ولا يتذكر أي شخص من محيطي الجديد أنني كنت صاحبه قبل أسابيع قليلة.

كانت عينا "بسلَّة" نارًا وثعبانًا يوم جاءت الشرطة للمدرسة. مثل كل ما يحدث مؤخرًا، أثار دخولهم الدهشة، تحدثوا مع الحارس، أربعة رجال شرطة، يحمل كل منهم مسدسًا، وفجأة سقطت سجائر محشوة على الأرض واختفت أقراص في المراحيض. لا أتذكر من كان يتحدث معي حول أمر ما، لكنني أتذكر أنه قال لي «الشرطة». ارتطمت نظرتي بعيني «بسلَّة»، كانت عيناه كالجزار، كنت أصب اللعنات. كنت قادمًا من المستشفى، لم يكن ألبرت قد

وصل بعد، لم يتركوني أدخل للقاعة التي يوجد فيها أبوه، كنت قد وصلت على التو، كانت ساعة الفسحة، ولم أكن راغبًا في دخول الفصل. خطر على بالي فجأة أن ابن العاهرة "بسلَّة" قد قال إنني سرقت في غرفة تغيير الملابس لكي ينتقم مني. ربما تكون الشرطة اللعينة قد جاءت لتحملني مرة أخرى: كانت الشرطة قد أوقفتني أكثر من مرة في ميدان «بورتشوس» لأنني كنت أدخن سجائر ماريجوانا جالسًا على إحدى الدكك، وجعلوني أعود للبيت، وسبتهم جدتي، وقامت المشرفة الاجتماعية بمهاتفتي في اليوم التالي لكي تذكرني إنني لا يجب أن أدخل في مشاكل جديدة، لأن لدى ما يكفي من المشاكل بالفعل. لم أتحرك. لم أنظر له، لم أكن راغبًا في منحه أي نصر، كنت قد تركت كل شيء واضحًا قبل أيام في الطريق الوردي. دخل حارس الأمن المدرسة راكضًا، كان رجال الشرطة ينتظرون في الخارج. كان الكل ينظر لهم، وكانوا ينظرون للجميع. شخص ما قال إن الأمر يتعلق بألبرت آبات. شعر أشخاص آخرون بالانقباض، كأنما سيقع شيء ما مرعب. وفكرت «يا حمقى، هل تعتقدون أنهم جاؤوا من أجلكم؟»

كان يوم اثنين. كان الحادث الذي تعرض له أبوا ألبرت قد وقع قبل أكثر من أسبوع بقليل. خرج المدير، بارتوميو، وماجدالينا تراوس وجوان جيلابرت. حملهم رجال الشرطة إلى السور. كان هناك صمت غير مريح، يقطعه ضجيج السيارات في الشارع، وكان المارة يمرون دون التوقف. أطلعهم رجال الشرطة على أوراق. أشار المُعلمون بالنفي برؤوسهم، انخرطت ماجدالينا

تراوس في البكاء. فجأة وجدت "الشيخ" بجواري.

– ماذا حدث يا سبستيان؟ ماذا يفعل هؤلاء هنا؟ – "الشيخ" أيضًا لا يحب الشرطة.

– لا أعرف يا "شيخ".

– هل جاؤوا لأمر يتعلق بألبرت آبات؟

– أنا لا أعرف أي شيء يا "شيخ".

– اسمع، لم نتحدث عما حدث ذلك اليوم في بيته، عندما رأيتكما.

– لم تعد للأمر أهمية الآن يا "شيخ".

– هل أصبح كل شيء بلا أهمية لك الآن؟

دخل المدير بارتوميو مهرولًا ودقَّ الجرس. كانت هناك عشر دقائق على انتهاء الفسحة. وأخذنا ندخل واحدا تلو الآخر في صمت. اقتربت مع بوثا والآخرين من جوان جيلابرت في الممر وسألناه عما يحدث. طلب منا دخول أن نصمت وندخل الفصل، وعدنا لسؤاله عما حدث، وقلنا له إنه دائمًا ما يكرر أننا لم نعد أطفالًا ولهذا يجب أن يعاملنا ككبار. وقال لنا إن ميكيل أنجيل لم يعد إلى بيته منذ أربعة أيام، وأن رجال الشرطة سيدخلون كل الفصول ليسألوا إن كنا نعرف أي شيء. نظرت للساعة. كانت الحادية عشر، مثل الآن، قبل عشرة دقائق.

لم يكن ألبرت قد وصل بعد. جاء في وقت متأخر للغاية في ذلك اليوم. لم يرغب الأصدقاء في قول له أي شيء، لكي لا

يقلق، لكنني أخبرته، معتقدًا أنه لن يُعر الأمر انتباهًا، خاصة مع المشاكل التي تحيط به من كل الاتجاهات. كنا جميعًا نعتقد أنهم سيجرون تحقيقًا شبيهًا بما يحدث في المسلسلات التلفزيونية، في جلسات فردية، وعيون مهددة، لكن رجال الشرطة لم يدخلوا الفصل حتى، سألوا بشكل عام إن كنا نعرفه، إن كنت قد رأيناه يوم الخميس من الأسبوع الماضي أو أي يوم تال، وإن عرفنا أي شيء، يجب أن نخبر المدير أو مدير البرنامج الدراسي. بعد ذلك أخبرنا مدير المدرسة أن الدراسة قد انتهت في ذلك اليوم، وإن كنا سنذهب، يجب أن نتجه إلى منازلنا مباشرة، وإن رغبنا يمكننا البقاء في المدرسة حتى الثالثة.

كنت جالسًا أمام شمعة، الوقت الآن أصبح لا نهائيًا، وأسمعُ ضجيج إدخال موائد بار «بورتشوس» حيث لابد أن أبا ميكيل أنجيل قد سكر حتى الثمالة. أفكر، ليس باستمرار لكن من حين لآخر كأنما أشعر بلدغة قنديل بحر، أنني رأيته يوم الخميس ذاك، عندما خرج من بيته ولم يعد كما يقولون. لم أقل أي شيء لأي شخص، ولا حتى لألبرت، لأنني أعتقد أن حياة وأمور ميكيل أنجيل لا تخص أبوه وأمه أو الشرطة، ولا تخصني لكي أقولها كأنما أبوح بسر. أنا لا أحب ميكيل أنجيل، لكنه قال لي إنني كالملاك. سألته إن لم يكن يعتقد أنني شخص بلا روح، وهو، بهاتين العينين المعذبتين، لكن الممتلئتين بالحكمة والحماس أيضا، كرر ميكيل أنجيل إنني ملاك. اللعنة: ملاك. ماذا يجب أن أفعل يا ألبرت لكي أكون ملاكًا.

17

ذهب أبوك للعمل منذ فترة. خرجت أمك للتمشية. تشكرهما على هذا، على خروجهما، على تركك بمفردك، على عدم الكلام معك. تود أن يطول الصمت، أن تلتقي بصمتك، هكذا تفكر، ومن الأفضل ألا تعود لرؤيتهما. فيم تفكر يا جاومه؟ لديك تشكيلة كاملة من أفكار الحزن والتدمير والبكاء على الذات، وستجربها كلها كأنك في محل للملابس الفاخرة. تبحث في رأسك عن الزر الذي يجب أن يطفئ النور العمومي ويُغرق العالم في الظلام والصمت، لكنك لا تعثر عليه. توجد قاعة صور داخل عقلك، يوجد حضور لجسد سبستيان الوحشي، النافر، المُحمل برائحة الشوق، بينما يمسك بذلك الفم دون جسد، بهاتين العينين دون جسد، بهذا الوجه الأبيض دون جسد لألبرت آبات، لكنه عاري، في ممر بيت ألبرت آبات، مثل عاشقين يحمي كل منهما الآخر من صرخة الشر، يهمشك، يدمرك، يسلبك كل ما تملك، كل كينونتك، يا جاومه.

لا يمكنك أن تقول لماذا تعرف أن قول الأشياء يعني أيضًا أنها تصبح حاضرة في العالم. تصمت ولا تدرك أنك تعيش منذ أسابيع في حالة تشبه الصدمة: على الرغم من أنك لا تستطيع أن تقول إن سبستيان قد مال إلى ألبرت آبات. داخل صمت غرفتك،

أفكارك تشبه زقزقة سرب من الطيور الوحشية: ترتطم بالجدران، تصطدم بالأرفف، تفرغ الهستريا والرغبة في تمزيق أثاث الحزن، قلع العينين من رأس الحزن، تهشيم زجاج نوافذ الحزن وشق الأفق بسلسلة من الرغبات وأحياء الضواحي.

تقول كلمات يا "بسلَّة". تنطق بأسماء تعاستك بصوت عال، سبستيان، ميكيل أنجيل، ألبرت آبات، لكنك لا تستطيع أن تقول بصوت عال إن سبستيان قد أبعدك لكي يتعرى أمام ألبرت آبات ويعانقه، إلخ.

في بعض الأحيان تشعر أنك تشبه عجوزًا ينتظر رسالة لكنها لا تصل.

وتشعر أيضًا أنك تشبه الدودة التي أمضت حياتها بالكامل في تكوين الشرنقة، والآن بعدما تبقى القليل للغاية لكي تُحلق الفراشة، تجفُ الشرنقة، يتعفن الجناحان، كل جسد الحشرة أصبح مقززًا وممتلئًا بالتشققات التي يعرق منها عسلًا حامضًا.

الأمر الواضح هو أن ألبرت آبات هو النقيض الكامل لك يا جاومه. ألبرت آبات ليس فتى خبيرًا بالحياة مثل سبستيان ومثلك. إنه لا يهتم إن كان سبستيان قد دخل غرفة تغيير الملابس للسرقة أو أنه يذهب إلى حمامات محطة الأتوبيسات.

إنه ليس مثلكما، لا يمتلك قدرتكما على الحياة في عالم الجريمة. أنت حاد الطباع، ذكي أحيانًا، وملتوي التفكير. لكن ألبرت ليس هكذا. ألبرت فتح باب بيته لعناق سبستيان، ليس مثلك، حيث لم

تدعه إلى بيتك مُطلقًا، ودائمًا ما رغبت في مبادلته الحب بجوار البناية تحت الإنشاء.

هل كان "الشيخ" محقًا عندما جاء ذلك اليوم وغرس نصل الحقيقة في عنقك؟ هل كان سبستيان يوافقك ويقول نعم على كل شيء لأنه كان يريد التخلص منك؟ هل كان سبستيان لا يأخذك مأخذ الجد ويرخي لك الحبل لكي ترحل في هدوء، وتبتلع الطعم دون ضجيج؟ تأخرت كثيرًا يا جاومه. انتهى الأمر بسبستيان ضجرًا بك، وذهب مع ألبرت آبات. تركل الحائط ليسقط رسمُ رسمته مُفكرًا في سبستيان. لا تعرف أي شيء عن الرسم، لكن جدران غرفتك تخصك. توجد قطعة من الورق ملتصقة بالحائط. تفكر في بقعة الدم التي صنعتها على الحائط عندما سحقت ذبابة بحذائك.

بالإضافة إلى هذا، تأخذ في التفكير الآن، وتعذب نفسك. وهناك أمر آخر يجمع بينهما: كلاهما أصبحا فتيين دون أبوين، وسيتبادلان العطف والشفقة. يا للرياح غير المواتية، الطبيعة البشرية. ألبرت آبات سيصبح الصليب الذي ستتعذب عليه يا جاومه. تستلقي ساكنًا في الفراش، لكن ساقك تهتز قليلًا، ركبتك تتحرك، أصابعك تتلاعب. إنك هادئ لكنك تفكر بسرعة مائة وخمسين ألف في الساعة، وكل ثانيتين يرن اسم ألبرت آبات في رأسك، ألبرت آبات، ألبرت آبات. إن كان "الشيخ" وألبرت آبات أمامك على حافة هاوية، من ستدفعه؟ ألبرت آبات. وسترى كيف يسقط، وستلتفت حيث يوجد سبستيان خلفك، وسيأتي بتعبير

من نزعوا ذراعيه وأعطوهما للحيوانات المفترسة، وستقول له «أنا آسف يا سبستيان، لكن كان يجب أن أفعل هذا»، وسينتابك ذلك الشعور بأنك وضعت الأمور في نصابها الصحيح مرة أخرى: قمت بموازنة العالم يا جاومه.

ما هو الجيد في عالم غير متوازن؟ ماذا يقدم العالم غير المتوازن. كل ما هو طبيعي جيد. وما هو مناف للطبيعة غير جيد يا جاومه، ما يصنع الشر، من يسبب الألم ويأتي بأفعال سيئة، وبعد ذلك دموع وسوء فهم راسخ في الذاكرة طوال سنوات، آلاف السنين. بتناغم غريب تسببه تلك الحالة من الحزن، دون التوتر الذي يُسببه انهيار الأسقف، وسقوط الأبواب وتحطم الجدران، تفكر في كل الأشياء التي كان يمكنكما أن تفعلاها، لكن هذا غير ممكن الآن لأن سبستيان يذهب للطريق الوردي مع ألبرت آبات. ستخلفان وراءكما حياتيكما المستقبلية في عالم الجريمة والهرب، الحياة في حذر دائم، حياة التهام العالم ونوم القيلولة لهضمه بعد ذلك في أي فندق صغير على الطريق. هل أصبحت وحيدًا الآن يا جاومه؟ هل ستصبح الفتى التقليدي الذي يدخل بيوت زملائه في الفصل ويسرق مال أبائهم من الأدراج؟ هل كان يجب أن تعطي الأوراق المالية لسبستيان عندما كنتما تعقدان أربطة الحذاء بالقرب من فوهة البئر كريه الرائحة؟ بين رائحة البول وعيني سبستيان، المبتهجتين لكن غير المُعبرتين، بينما تفكر فيما سيفعل بهذا المال، هو الفتى الفقير، والذي يبدو له كل شيء قيمًا، وجيدًا و... وتفكر في وجه تلك المرأة التي لم يمكنها

اكتشاف اختفاء المال من حافظتها. وتفكر في الأمر وتقول لنفسك إن ألبرت آبات محظوظ لفقد العائلة بهذه الطريقة، فجأة، دورتين في الهاوية، ولم يعد لهم وجود، على الرغم من أن أباه، كما يقال، ما زال حيًا، متصلًا بالأجهزة، لكنه ما زال حيًا.

في حقيقة الأمر، عثر ألبرت آبات على العذر المثالي لكي يحافظ على علاقته بسبستيان: الآن يواسيه سبستيان على موت أبويه. بالفعل، كل الناس تواسي ألبرت آبات، لا يتركونه بمفرده لحظة واحدة. يفضلونه، ليس لأن الأمر يتعلق بشخصيته أو باحترامه، وإنما بسبب ما حدث له. أصبح فتى ناضجًا، هذا ما تراه يا جاومه. وأنت مع أبويك أربع وعشرين ساعة. أبوك يعمل ساعات قليلة ومتفهم للغاية. أمك لا تعمل ودائمًا مبتسمة، دائمًا تقول لك نعم. أبوان في مسلسل تلفزيوني، موجودان كأنهما غير موجودين. تعيش مع أبويك في بيت بجوار المستشفى ذي التصميم الحداثي، على الجانب الآخر من الطريق، بعيدًا عن برج السجن، ستظل في نظر الجميع ذات الفتى المهووس الغريب، قليل الفهم، وكل العيون، كل العيون دون استثناء، بما فيها عينا سبستيان، ستنظر بحب إلى وجه اليتيم ألبرت آبات، الذي ما زال أبوه في غيبوبة. وهو يترك الآخرين يحبونه.

وأكثر ما يؤلمك يا جاومه، أكثر ما يثير حنقك وغضبك حتى أنك يمكن أن تبدأ في خدش الجدار بأظافرك ولن تتوقف حتى تصل إلى العوارض وتنزع المسامير التي تثبت أرفف الممر، هو التفكير أن ألبرت آبات لم يضطر لفعل أي شيء لكي يحبه سبستيان. لن

يدرك ألبرت آبات مُطلقًا أن سبستيان يحبه لأنك ذهبت لتحدثه ذات يوم. أنت اكتشفت سبستيان. كان يظل جالسًا أو صامتًا أو واقفًا بمفرده بينما يستند على الجدار في أحد الأركان. لم يكن أي شخص يحدثه، لم يكن أي شخص يخشى أن يختفي سبستيان. كنت أنت، أنت من أخذ بيده وحماه، تركته يغير اسمك يا جاومه، هو الرجل الذئب الذي اجتمع بحمل أبيض، والذي مات أبواه.

وإن مات أبواك؟ وإن ركبا سيارة وانحرفت عن الطريق وتحطمت بهما؟ وإن اصطدمت السيارة بعنف بجسر تغيير الاتجاه أو ارتطمت بأتوبيس أو شاحنة؟ هل سيأتي سبستيان، إن أصبحت يتيمًا، ليعانقك ويقول لك «أحبك يا جاومه»؟ وسيبتعد عن ألبرت آبات المعتاد على اليُتم أكثر منك، وستجريان معا ويبدأ القمر في الظهور، في الطرق المليئة بالأعشاب التي تبدأ عندما ينتهي الطريق الوردي، بينما يظهر القمر ويسقط المبنى تحت الإنشاء، ينهار للأبد، ويُطلق عاصفة من الغبار والحصى والأسمنت الجاف الذي يصل حتى ميدان باريس. هل هذا ما سيحدث يا جاومه؟ هل ستذهب المدرسة بذكرى الدفن والتوابيت المغلقة، لدرجة أن مدير شركة الدفن سيقول لك إنك كنت شجاعًا للغاية، فلا يوجد فتيان مثلك الآن؟ هل سيقول لك إنك لا تستطيع رؤية جسدي أبويك لأنهما تشوها للغاية بعد الحادث؟ هل سيذهب الجميع لك؟ وهل سيرغب بوثا ذاته في الربت عليك، ولن ينظر لك "الشيخ" من خلف خصلة الشعر الساقطة؟ هل سيأتي جابرييل جونكوسا لعناقك؟ هل هذا ما سيحدث؟ هل سيكون الكل لطفاء ومهذبين؟

هل سيشك شخص ما أنك ستقضي عليهم جميعًا بعد قليل، وفي مقدمتهم ألبرت آبات، لتحمل سبستيان، سبستيان الذي يخصك، وتسير معه في الطريق الوردي؟

18

اتصل ميكيل أنجيل بي في البيت في ذلك اليوم. كانت جدتي ما زالت بحال جيدة، لم تكن قد رحلت بعد إلى أعماق ذاتها. كنتُ يائسًا ومتوترًا، كنت قد رافقت ألبرت طوال ملحمة مهاتفة خالته وزوجها، الذهاب للمستشفى، الذهاب للمحكمة، الذهاب للمقابر، الرزوح في الصمت، والخالة التي رغبت في رحيلي وألبرت الذي قال لي «سبستيان، لا تذهب من فضلك»، وألبرت آبات بوجه محتقن وذلك البيت برائحة التبغ والماريجوانا وكل شيء ملقى على الأرض. دائمًا ما توليت أمر نفسي، لست جبانًا، لا أحتاج لأي أخت أو أي مشرفة اجتماعية لتفعل الأشياء بدلًا مني. أنا لست مثل ألبرت، الذي لا يمكنه تخيل فظاعة الحزن لأنه كان مُحاطًا بالحب، ولا يعرف معنى عدم الحياة في البراءة للأبد.

يوم الاثنين التالي، قبل انتشار الخبر، ذهبت للقاء المدير، بارتوميو، لأحكي له كل شيء. منذ بداية الفصل الدارسي كان طيبًا للغاية معي، عندما التحقت بالمدرسة وسألني إن كنت أريد أن يعرف الآخرون من أين أتيت. اندهشت لأنه قال لي هذا، لأن كل شخص يأتي من مكان ما، وليست مسؤوليته أن يجد نفسه أو يستيقظ في مكان ما. بعد ذلك أدركت أن الفتيان ذوي الآباء على قيد الحياة لا يحبون الفتيان الذين فقدوا أبائهم. حكيت لبارتوميو

كل ما حدث، الحادثة، الأب في غيبوبة، قلت له إن ألبرت قد يتغيب بضعة أيام وكل هذا، وردَّ قائلًا إن هذا وضع استثنائي، وإننا لم نعد أطفالًا، كما يقولون لنا كل خمس دقائق. بعد لقاء المدير خرجت كالصاروخ لكي لا أتحدث مع أي شخص ولكي لا أرى "بسلَّة"، الذي لم يكن يتوقف عن مهاتفتي، بهوس من يهاتف معشوقة بخوف ألا يعود لرؤيتها مرة أخرى، وظهر ميكيل أنجيل فجأة، عندما كانت إحدى قدمي خارج الباب وقال لي:

– كيف حالك؟ كيف انتهى كل شيء؟

– بخير، لكن يجب أن أذهب.

– ألن تدخل الفصل اليوم؟

– لا.

– هل حدث أي شيء؟

– لا يمكنني أن أخبرك يا ميكيل أنجيل، لكن يجب أن أذهب.

– هل سنلتقي مرة أخرى أنا وأنت وألبرت آبات؟

– ربما. لا أعرف.

بعد ثلاثة أيام، يوم الخميس، في اليوم التالي لدفن أم وأخي ألبرت، كنت في البيت، كنت بحاجة للوجود في البيت، لأن جدتي كانت تعاني ولم أكن أفهم ما تقول، وكانت أماندا تتصل بي كل ثلاث ثوان لتسألني عن مكاني، ورامون كان يلعنني ويلعن الساعة التي وافقت فيها أماندا على ذهابي للحياة معهم، وكان "بسلَّة"

يتصل بي في كل لحظة على المحمول ولم أكن أرد عليه. رنَّ جرس التليفون في البيت، رفعت السماعة وسمعت صوت ميكيل أنجيل على الطرف الآخر من الخط، كان متوترًا كأنه يهاتفني لأول مرة. لم أندهش، لم أشعر بالكسل، ولم أفكر أنني فتى شرير يوقع الضرر بالآخرين دون توقف.

كنتُ سعيدًا، كان لدي شعور بوجود حالة من الاعتيادية مهيمنة على الجو. ميكيل أنجيل، الفتى الذي يهاتف الفتيان ليرى إن كانوا يرغبون بالتمشية، هاتفني ليرى إن كنت أريد التمشية. قلت له أن نلتقي قبل السابعة بقليل. بعد برهة، بعد الغداء، بدلًا من مهاتفتي وألا أرد عليه، أرسل لي "بسلَّة" رسالة. كنت مشفقًا عليه، لكن لم أكن أستطيع الكلام معه، لم أكن راغبًا في رؤيته. لم يكن ينقصني سوى مأساة سيكولوجية لـ"بسلَّة" أو خطة لسرقة بيت الجيران. كانت الرسالة قصيرة، كان يرجو مني اللقاء، كنت واهنًا، رغبت في مهاتفته لكن رصيدي لم يكن يسمح. أرسلت له رسالة، قلت له أن نلتقي في الطريق الوردي في التاسعة.

ليقل لي ما يريد وينتهي الأمر. نزلت للميدان قبل السابعة بقليل. كالعادة، كان ميكيل أنجيل جالسًا على دكة تحت المظلات. لم يكن هناك أي شخص في الميدان أو على موائد البار. عندما رأيته، انتبهت إلى أنني لم أقل له ساعة محددة، ربما كان ينتظرني منذ وقت طويل. ابتسم كالعادة وأشار لي بيده. لم يُقبلني في ميدان بورتشوس لكنه أحاط كتفي بذراعه.

– لقد عرفت ما حدث. أنا آسف يا سبستيان.

– هل أعلنوا الخبر في المدرسة؟

– يوم الاثنين. أنا شديد الأسف يا سبستيان.

– شكرا يا ميكيل أنجيل.

– كانت ليلة لطيفة للغاية بالنسبة لي.

– ولي أنا أيضًا، وله.

– من المؤسف أنني كان يجب أن أذهب.

سرنا بينما نخرج من الحي، اتبعنا الطريق المرتجل لكن المعروف للتمشية. كنا صامتين، كنا ننظر للأرض، نظرت لميكيل أنجيل، لأول مرة منذ عرفته يُبدي أنه لا ينتبه إلى أن هناك من ينظر له. عندما تنظر لميكيل أنجيل، يضع أمام عينيك تلك الابتسامة اللطيفة، يعرف أنك تنظر له ويريد أن يكون أكثر لطفًا. كان ذاهلًا، كان يفكر في. تقول الشرطة إنهم يعتقدون إنه خرج من بيته حوالي الخامسة، ساعين تقريبًا قبل لقائي معه. كان بجواري ولم يعطني الانطباع بأنه فتى سيختفي في ذات اليوم.

كان يريد أن نذهب إلى الأراضي الخلاء المحيطة بالبرج، لكنني لم أرغب بهذا. كانت رأسي تغلي، كانت لدي أفكار غريبة، كنت متألمًا لموت أفراد لم أرهم مُطلقًا، كانت لدي عينا وجسد ويدا وابتسامة ألبرت، وكانت كلها مُحطمة وتلاحقني على هيئة ذكرى بسرعة ألف في الثانية، تلك الأيام الثلاثة في صمت، تحت عين

خالته المراقبة. من حين لآخر كان ميكيل أنجيل يقول شيئًا عن أمه، كان يحكي لي كيف يمكن أن يكون كل شيء مختلفًا إن فعل مثلي ومثل ألبرت آبات وخرج عن مساراته الروتينية اليومية، عن كوب اللبن كل مساء. لكنني لم أكن أسمعه، لم يمكنني سماعه، كنت ألمس المحمول في جيبي لربما اتصل ألبرت.

– هل سينجو أبوه يا سبستيان؟

– لا أعرف.

– من الغريب للغاية أن يجد المرء نفسه بمفرده ويعاني من أجل أبيه. ألا تعتقد أنك لن تعاني بسبب أبويك ولن يعانيا من أجلك؟

– لم يكن لدي أبوان طوال حياتي. لا أعرف.

– هل أنت وحيد؟

– لا. لدي جدتي. لدي أيضا ألبرت آبات. وأنا الآن معك...

وعاد لرسم ابتسامته أمام وجهي. كان راضيًا وسعيدًا لأنه كان يشعر بأنه يحظي بالاحترام والصداقة بسبب كلمتين قلتهما. لماذا عندما أكون طيبًا معه يتضح أن هناك شيئًا شريرًا ما زال في شخصيتي؟ هل كان يجب أن أقول إننا التقينا في ذلك اليوم وأحكي كل ما قال لي؟ هل سيحملونني إلى قسم الشرطة إن فعلت هذا؟ أم أن أباه سيضربني ويكسر ضلوعي لأنه لا يستطيع أن يضربه هو الآن؟ إن اقترب مني أبو ميكيل أنجيل بعصا، أقسم

بجدتي أنني سأقتله ضربًا وبعد ذلك سأنطلق في الجري إلى جانب الطريق السريع.

سرنا وتجولنا. لم أكن راغبًا بالذهاب إلى منطقة الكراتين. عندما كنا بجوار محطة البنزين القريبة من المدرسة، قال لي ميكيل أنجيل «هل يمكن أن نذهب للطريق الوردي». ولا أعرف كم سرنا، بخطوات سريعة، في صمت.

– لماذا أردت أن نلتقي يا ميكيل أنجيل؟ إنك لا تتحدث، لا تطلب مني أي شيء، أنت غائب ومهموم، ماذا تريد؟

– أريد الكلام معك. أريد الكلام عن جويل.

– عن الفتى الميت؟ وماذا تريد أن تقول لي؟

– إنه فتى ميت بالنسبة لك، لكنه كان أكثر من هذا. أنت وألبرت آبات كنتما تعنيان الكثير بالنسبة له. كان يكرهك كره العمى.

– أنا؟ لماذا؟

وفكرت أن السبب لأنني في الحقيقة كنت قوادًا وحقيرًا وهذا التافه لم يكن قادرًا على رؤيتي.

– لم يكن له أصحاب. أنا فقط. وكان يتظاهر بأنه لا يعرفني.

– لقد مات جويل يا ميكيل أنجيل.

– نعم، لكن بالنسبة لي ما زال حيًا على نحو ما. كان صديقي، هل كنت تعرف هذا؟

كنا قد وصلنا للطريق الوردي. كنا متجهين للمبنى تحت الإنشاء. لم أكن قد ذهبت منذ أخر مرة مع "بسلَّة". بالفعل، كان يجب أن التقي به هناك بعد ذلك. لا أعرف لماذا قلت له أن نلتقي. ربما لأنه المكان الوحيد الذي التقيت فيه مع "بسلَّة"، وكنت أريد أن يعرف أنه لن يمتلكني مرة أخرى كما حدث من قبل في مرات سابقة هناك.

- جويل لم يكن فتى سيئًا. ببساطة كان وحيدًا تمامًا، مثلي. جويل كان حزينًا دائمًا، ولن يمكنني معرفة إن كان قد شعر بالحزن لحظة اصطدامه بالموتوسيكل، إن كان قد مات حزينًا وفكر أنه عاش طوال حياته حزينا، وأنه مات حزينًا أيضًا. أكثر ما يؤلمني في العالم أن يموت شخص ما حزينًا لأنه عاش طوال حياته هكذا.

لا أعرف. أنا أيضًا حزين. وليس لاعتقادي أنني أفعل أشياء شريرة، لا شيء من هذا على الإطلاق. كما لا أعتقد أن كل الناس تأتي بالشرور لكي يكون العالم حزينًا، وهو ما كان جويل يعتقده. أنا أعتقد أن الحزن قد يتغير ذات يوم، ذات يوم يمكنني أن أشعر وأرى وأفعل أشياء جميلة، أشياء تعبر عني، دون أن يكون هناك أي شخص بجواري ليقول لي «لا يا ميكيل أنجيل»، «اصمت يا ميكيل أنجيل»، «ماذا تقول يا ميكيل أنجيل؟». أعرف أن يومًا ما سيأتي حيث لن اضطر لكره اسمي، لأن من ينطقه لن يفعل هذا ليأمرني بالصمت، وإنما لكي يناديني. ذات يوم سأشعر بالبهجة التي شعرت بها معكما، في ذلك اليوم، قبل ذهابي. تلك البهجة

التي شعرتما بها بعد ذهابي. أنا أريد الاشتراك في هذه البهجة أيضا يا سبستيان.

- ألبرت ليس مؤهلًا الآن للكثير من المباهج. من المستشفى لغرفته. خالته أديلا ذهبت لتعيش معه في البيت.

- كان جويل سيحب أن يكون هناك، معه. كان جويل يكرهك لأنك لم تكن راغبًا بمعرفة أي شيء عنه، وكان يريد معرفة كل شيء عن ألبرت آبات.

- إنني لم أتبادل كلمة واحدة مع جويل.

- لا، لكن جويل لم يكن راغبا بالكلام مع أي شخص...

بدأت السماء تعتم. كنت أتوخى دائمًا ألا يكون ميكيل أنجيل عائقًا. أعرف وجهه الحزين، كأنه شفاف، لأنه يعتقد أنه دائمًا ما يسبب الضيق أينما حلَّ. بالفعل، قال لي هذا: كان يثق بوصول لحظة لا يسبب فيه الضيق لأي شخص، حيث يوجد مكان له، مكان حيث يمكنه أن ينهض، يتنفس الهواء، يتكلم عن نفسه. ولابد أن "بسلَّة" يوشك على الوصول بعد قليل.

- قلت لك من قبل إنني وجويل كنا صديقين، لكنني لم أكن أحبه. لم أكن أحبه لأنه لم يكن يحبني. في لحظة ما فكرت أننا يمكن أن نكون صديقين حقيقيين، لأنني أعرف أنك تعتقد أنني شخص يبحث عن الأصدقاء بيأس. جويل كان الشخص الوحيد الذي أقمت معه علاقة ندية، الشخص الوحيد الذي كان مثلي

بالفعل. جويل كان الفتى الوحيد الحزين الذي عرفته عن قرب. "بسلَّة" يصاحبك ويصاحب "الشيخ". ألبرت آبات لديه شلة بوثا. ومن لدي يا سبستيان؟ أخبرني، من يصاحبني؟ هل ترى؟ لا يمكنك أن ترد علي. لا أقول إنك تسير معي من حين لآخر شفقةً. جويل أيضا لم يكن يؤذيني، على الرغم من أن معاملته لي كانت سيئة، فبعد أن نقضي حاجتنا معا، كان يعاملني كشيء مثير للضيق في غرفته. أحكي لك هذا لكي ترى أنني أثق بك. أنت لا تجعلني أشعر مثل الآخرين.

– ميكيل أنجيل...

– لا تنطق اسمي. لقد قضيت عليه، حطمته. لم يعد اسمي مثيرًا لسخرية أي شخص عندما يراني. أصبح يصيبني بالانقباض. أحيانا أحلم أنني ثري للغاية وأذهب للحياة في بلد آخر، أغير اسمي ولا يعرف أي شخص أخباري، ولا حتى أمي، حتى وإن فكرت فيها كل يوم وربما أرسلت لها تهنئة في أعياد الميلاد. لكنها لن تعثر علي لأنني سأكون قد غيرت اسمي. ولهذا عندما عرفت بيب وجان وبدأنا نتقابل قلت لهما أن يفكرا في اسم لي. لن أقوله لك. أشعر بالخجل. ليست لدي خصوصية كبيرة، لكنها ليست أمور تقال في الهواء الطلق، على ناصية الشارع.

– بيب وجان؟ من هما؟

وفجأة تذكرت رجلين يجلسان معه في الميدان أحيانًا. رجلان لا يروقان لي، لأن وجهيهما لا يوحيان بالثقة.

– أريد أن أحدثك عنهما. بيب وجان يجلسان في ميدان «بورتشوس» أحيانًا، ربما تكون قد رأيتهما في مرة أو أخرى. أحيانا يشتريان علب بيرة من المحل القريب ويمضيان الساعات في الميدان. ذات يوم كنت جالسًا هناك، في ذلك اليوم لم يكن أبي في البار. أعتقد أنهما في الثلاثين، أو نيفًا وعشرين، لا أعرف. عرضا على بيرة لكنني رفضت وقلت إنني أريد الكلام فقط. قالا إنهما رأياني أجلس أحيانا في تلك المنطقة، سألا إن كنت أعيش قريبًا. قلت لهما إنني أعيش لصق الميدان. أعتقد أنني قلت لهما هذا لمعرفتي أن أمي ليست في المنزل. بخلاف هذا لم أكن سأستطيع إخبارهما، بينما أفكر أنها تقوم بالخياطة في الصالة أو تعد العشاء. أمي تقول لي دائمًا ألا أثق في أي شخص، أن أعود للبيت مباشرة. عندما كنت صغيرًا، عندما بدأت أذهب للمدرسة بمفردي، كانت تقول لي دائمًا ألا أقبل الحلوى من أي شخص إن عرضها على بعد الخروج من المدرسة، لأنها تحتوي على مخدرات، ويريدون أن أذهب بعد ذلك لطلب المزيد. كنت أفكر في كلمة مخدرات ويغلي الدم في رأسي. المخدرات تذكرني بالجحيم، مكان حيث يتعرض الأولاد لمأساة في حيواتهم. في ذلك اليوم تحدثنا فقط. سألاني إن كنت أدرس، إن كنت أصاحب فتاة، إن كنت أحب ألعاب الفيديو، أشياء شبيهة وترهات، كانا لطيفين للغاية. رجعت البيت مبتهجًا للغاية، في صمت، لكن لأول مرة أحمل داخلي بهجة صامتة، بدلًا من العودة للبيت بحزن صامت رازح داخلي. وأثناء العشاء أيضًا، توقفت أمي بينما تُقطع العجة

وقالت لي «كم أنت مبتهج اليوم يا ميكيل أنجيل». وقال أبي «هيا، لتأكل»، وانتهت فترة السعادة. بعد ذلك رأيتهما في يوم آخر. كان لدى انطباع أنني وصلت الميدان بينما كانا يغادرانه. أسفت لهذا، وإن لم نتحدث في يوم آخر؟ ونظرا لي، كانا مبتهجين، لا أعرف لماذا، فجأة، في حضورهما يتحول كل شيء إلى بهجة، ونسيت المدرسة، ونسيت "بسلَّة" وجويل وأنت... قال بيب إنهما يجب أن يذهبا لإحضار شيء من بيت صديق لهما، وإن رغبت يمكنني مرافقتهما، وإن السيارة قريبة، على مبعدة شارعين. لم أعرف ماذا يجب أن أفعل، لأن هناك فارق بين الجلوس مع أشخاص مجهولين في الميدان وركوب سيارة معهم. ووافقت، وبسرعة أصبحنا في الطريق السريع باتجاه «المساكن» بجوار المركز التجاري. كان الذهاب للمساكن أمرًا محظورًا أكثر من تناول قطعة بسكويت. كانت أمي مهووسة دائمًا بهذا الأمر وتقول إن هناك لا يقتصر الأمر على بيع المخدرات وعلى وجود عاهرة في كل بار، وعلى أنهم جميعًا من الغجر وكل أوبئة المدينة، وإنما من يذهب هناك ويختلط بهم، يصبح مثلهم بعد قليل، وبعد ذلك لا يمكنه التحرر منهم مُطلقًا: هناك يصبح الأطفال حزاني، والفتيان يصبحون أشرارًا أو كالفتيات، والفتيات يحبلن في الرابعة عشر، ولا يمكن مغادرة ذلك المكان مُطلقًا. لكنني قررت مرافقتهما يا سبستيان، لأن لدي شخصية، وعندما خرج بيب لبرهة ودخل بوابة في «المساكن»، قال لي جان «تعالى هنا في الأمام، لتكون صحبة لي»، وعبرت فوق ذراع تغيير السرعة وجلست على المقعد

المجاور للسائق. تكلم جان وقال إنني جميل للغاية، إنني أمتلك الكثير من الأصدقاء بالطبع، وقلت له لا، إنني لا أرى نفسي جميلًا على الإطلاق، لكنه وبيب لطيفان للغاية، وإنني لست أبلهًا وأعرف كتمان الأسرار. وعندما سمع جان ضحكتي، وضع يده على ركبتي وأضاف إنني ذكي بالإضافة لكوني جميلًا. بعد ذلك مر بيده على ذقني، وتركته يداعبني مثل قط، وكنت لأعانقه عناق صديق بعد برهة، لكن بيب عاد في الحال، وكانت عيناه حمراوين قليلًا، وعدت للمقعد الخلفي، وسألتهما «إلي أين سنذهب الآن؟». وضحك جان أولًا وتبعه بيب، وتبادلا النظرات مثل فتيين في المدرسة يوشكان على الهرب. بعد بضعة أيام، عندما كنت مع جويل في بيته، أردت أن أحكي له إنني تعرفت على بيب وجان، وقال لي إنني يجب ألا أعود لبيته إن كنت قد عرفتهما في الشارع، إن هذا مقزز، إنه يرفض أي علاقة مع هؤلاء الأفراد، ولا يريد سماع أي كلمة وأن أخرج من غرفته. شعرت بحزن كبير يا سبستيان، لأنني لم أكن أمتلك أي صديق سري لأحكي له إنني عرفت صديقين سريين.

– ربما لم تكن أفضل طريقة لإخباره، لكن يجب أن تكون حذرًا تبعًا للأشخاص يا ميكيل أنجيل.

– هل تعرف أن جويل لا يهتم إن فعلت شيئًا أو آخر؟ الشيء الوحيد الذي كان يريده ألا أخبره. وأمي لا تهتم بأمري أو بما أفعل أو بما أشعر أو ما أريد، وإنما تهتم بألا تتألم، ألا تضطر لتقديم كشف حساب لأبي والجارات. وعلى الرغم من هذا فأنا أعرف أن أمي تبكي لأن ابنها شارد ضائع، وتتألم فقط إن شرد أمام الناس،

لمعرفة الناس بهذا، عندما يصبح قطعة من الصمت على السلم عندما ينفتح الباب ويكون أحد الجيران صاعدًا أو هابطًا.

لم يكن ميكيل أنجيل يضحك أو يبكي. كان جادًا. فكرت أنه يتكلم لينفس عن نفسه. لا أعرف لماذا تذكرت إسبرانثا، إحدى مشرفات المركز الاجتماعي عندما كنا نذهب إلى بينياديل. وكانت تقول لي إن شعرت برغبة في الكلام مع أي شخص ولم يكن هناك أي فرد أمامي، أو إن أردت الحديث عن أي شيء لكن لا يوجد أي شخص يمكن الحديث معه بثقة، فلأقترب من شجرة بعيدة، وكأنني أصلي، أحكي للشجرة كل الأشياء التي تعتمل في صدري. ربما لا تصل لأي مكان، لكن على الأقل سأكون قد أخرجتها، ولن تعد داخلي ولن أشعر بثقلها. أعجبتني كلماتها، لكنني لم أفعل هذا مُطلقًا. بالنسبة لي كان من المهم أن أرى كيف تتخذ الأشياء أبعادًا حقيقية في الخارج، وأنه لم يكن شيئًا اخترعه. كان ميكيل أنجيل يتحدث دون بكاء، كأنني شجرته. و"بسلَّة" سيصل بعد قليل. وكان هناك أمرًا واضحًا: لم أكن راغبًا في أن يلتقي كل من "بسلَّة" وميكيل أنجيل.

- وذهبت مع بيب وجان مرات كثيرة. لا أريد أن أحكي لك التفاصيل يا سبستيان، لكنني كنت أتصنع البراءة معهما، وربما كانا يصدقان هذا كأنهما مع فتى يترك نفسه للتحرش. لكنهما لم يؤذياني يا سبستيان. كان جويل يؤذيني أكثر، خاصة بعينيه وكلماته.

....

– وذات يوم سألاني إن كنت أحب أن يصوراني، وفكرت في المرة التي سألت فيها جويل إن كان يريد أن نتصور. رفض وسألني «لماذا؟». وطلبا مني الجلوس على المقعد.

....

– وبعد ذلك اعتادا على إعطائي ورقة مالية. لم أفهم، لكن جان قال لي إنها لكي أفرح ولكي أنفقها كما أريد، لكنني لم أكن أنفقها: كنت أحفظها في صندوق أحذية، حذاء الذهاب للرحلات الذي أهدتني إياه إحدى عماتي. لم أرتده مُطلقًا. لم أذهب لأي رحلة من قبل. كنت أضع الأوراق المالية تحت الورق الأصفر الموجود تحت الحذاء لكي لا تراها أمي. لم أنفق منها أي شيء. كنت أدخرها. كنت أود أن أمتلك صندوقًا بقفل ذهبي، مثل صندوق جويل، الذي تركه مفتوحًا يوم ذهبت لبيته لآخر مرة، وتركه مفتوحًا عندما ذهب للمطبخ ورأيت أن....

....

– وذات يوم قالا إن أحد أصدقائهما سيأتي...

....

– لكن بعد ذلك مات جويل، وبعد ذلك أصبحت أتمشى معك، وبعد كل هذا ومعرفة أمر حادث أبوي ألبرت آبات وكل هذا، قررت إنني لن أذهب معهما مرة أخرى، كانا طيبين معي لكنني كنت قد

خططت وقررت اتباع طريق مختلف، لم نعد نضحك كثيرًا، وذات يوم سيقولان لي إنهما قد ملّا مني. وقال بيب لا: سيكون هو من يقرر متى نتوقف عن اللقاء. وإن تصنعت البله، سيقوم بإخبار أمي إنني أسير مع رجلين. أنا قلق يا سبستيان. لم أرغب في حكي أي شيء لك لأن لديك مشاكلك أيضًا، لكن لا يمكنني الوقوف أمام أمي لتسألني إن كنت أصاحب رجلين، وأجبرها على الصمت، لأن أبي سيسلخ جلدي إن عرف وستكون كارثة كبيرة.

– ستبلغ الثامنة عشر ذات يوم يا ميكيل أنجيل.

– نعم، لكن أمي ستظل هي أمي. وهي، الحزينة للغاية، لن يمكنها مُطلقًا أن تبتهج لرؤيتي سعيدًا، عندما أصل لسعادة تشبه سعادتك عندما تكون مع ألبرت آبات.

– كل شيء سيصل يا ميكيل أنجيل. كل شيء يسير في طريقه ويصل.

– يجب أن ألتقي بجان وبيب غدًا. جان أفضل من الآخر. إنه سيفهمني. يمكننا أن نكون صديقين على الرغم كل شيء، لكنني لا أريد الذهاب معهما ولا أن أكون دميتهما بعد ذلك. لا أريد أن يعطياني أي شيء. لا أريد مالًا، سواء منهما أو من أي شخص. لقد اشتريت هذا... من أجلك.

وضع ميكيل أنجيل يده في جيبه وأخرج علبة سوداء مربعة. أعطاني إياها. فتحتها وكانت بها ساعة، ساعة معدنية بأربع دوائر والكثير من الوظائف وزنبركان. قال إنها لي، إنني الصديق

الوحيد الذي كان يمتلكه... الذي يمتلكه. لا أعرف ماذا كان ينتظر أن أفعل، إن كان يريد أن أقول له إنه صديقي الكبير أيضًا، لأن هذه كانت ستكون كذبة، وعلى الرغم من هذا، بعد تلك الليلة لن نصبح سعداء. ماذا كان يجب أن أفعل؟ أقول له إنني لا أستطيع قبولها؟ يا لها من طفولية سينمائية! ذلك المشهد كان سيعجب "بسلَّة" للغاية. كان يمكنني القول إنني لا أستطيع قبولها وبعد ذلك آخذها. ربما أكون وحشًا شريرًا يا ألبرت، لكن لا يمكنني القول إنني كنت سعيدًا لأن ميكيل أنجيل دخل محل ساعات واشترى لي ساعة بذلك المال الذي كان يدخره بعناية. لكنني ارتديت الساعة. ما زلت أرتديها. لم أعتد بعد. نظرت للساعة في معصمي ورأيت أن ثلاث دقائق قد تبقت على التاسعة.

– حذار يا ميكيل أنجيل. لا تُغضب من لا يجب أن تُغضبهم. أنا أيضا أفعل هذا.

– أعتقد أنهما سيتفهمان. وذات يوم، عندما يكون ألبرت آبات بحال أفضل، يمكننا اللقاء ونجلس نحن الثلاثة.

– سنرى. لا نعرف ما سيحدث. لكن على أية حال –عدت للنظر للساعة–، يجب أن تذهب الآن يا ميكيل أنجيل.

نظرت له بوجه جاد للغاية، بوجه من يتحدث بشكل شديد الجدية. كان قد قدَّم لي هدية وأنا استخدمها لكي أجعله يرحل. ربما ما زلت شخصًا بائسًا...

– يجب أن تذهب يا ميكيل أنجيل. لقد اتفقت مع "بسلَّة" على

اللقاء الآن، و"بسلَّة" صياد. لا يجب أن يراك هنا.

– ألا تريد أن تعرف بشكل حرفي لماذا كرهك جويل؟

– لا يا ميكيل أنجيل.

– هل سيأتي «"بسلَّة" هنا والآن؟

– نعم، ومن الأفضل أن تذهب. لا أريد أن يراك. ولتأخذ حذرك مع هذين الشخصين. سأرى إن كان يمكنني التعرف عليهما في الميدان. أعتقد أنني أعرفهما، وإن أردت، يمكنني الكلام معهما.

– لا يا سبستيان. لا تتحدث معهما.

– لن أتحدث معهما، لكن اذهب الآن من فضلك.

– دائمًا ما تطلب مني الرحيل.

وامتثل، ذهب باتجاه الجزء الخلفي من المبنى تحت الإنشاء، وبدءًا من ذلك اليوم، بعد بضعة ساعات، لم يره أي شخص مرة أخرى. هذا حقيقي، لا يمكنني أن أنزع من رأسي عيني ميكيل أنجيل بينما يقول لي «دائمًا ما تطلب مني الرحيل». أفكر في هذا أمام الشعلة المتوترة للشمعة، أفكر في هشاشة هذه النار، مثل حياة أبي ألبرت، وأتذكر حكاية قرأتها منذ فترة وكانت تتحدث عن امرأة تموت عندما تسقط الورقة الأخيرة من شجرة ما في الحديقة، كانت تراها من نافذتها الكبيرة في الغرفة، على حافة الفراش. تنفصل الورقة عن الفرع وتسقط. بعد ذلك جاء "بسلَّة". مسكين "بسلَّة". مسكين «ميكيل أنجيل». لم أر بيب وجان في

الميدان في أي يوم من أيام هذا الأسبوع. لكنني رأيت أم ميكيل أنجيل متشحةً بالأسود، بوجهه أسود، بعينين سوداوين. هل كان يجب أن أقول أي شيء عن ميكيل أنجيل؟ أم يجب أن أصمت كما فعلت حتى الآن؟ هل أكون شريرًا إن فعلت هذا؟ هل أكون شريرًا إن لم أفعل هذا؟

خرجت من الغرفة. كانت الشمعة قد انطفأت. جدتي جالسة على المقعد الهزاز. عيناها مغلقتان، تتنفس، لا تسمعني، لا تشعر بي. وتقريبًا لا تنتظر أن يأتي رامون ليحملها للفراش. أفكر أنها ستموت هادئة. أفكر أيضًا أن أبا ألبرت آبات سيستيقظ وسيفتح ألبرت عينيه وسيفتح فمه، وسيبكيان لأن أي شيء لن يعود كالماضي، لكنهما سيتعلمان كيف يعيشان الزمن الحاضر. أفكر أيضًا إننا سنجلس ذات يوم في ميدان «باريس» أو في ميدان «بورتشوس»، وسنرى ميكيل أنجيل قادمًا دون سابق إنذار. يسير منتصبًا ومبتهجًا، وسيكون قد نما طولاً ونضجت نظرته. سيكون مبتهجًا. لن ينتظر أن نقول له «تعال». أفكر أن كل هذا سيكون ممكنًا. لن نسمع أخبارًا عن بيب وجان مرة أخرى. بل إن "بسلّة" سيجد طريقًا خلف الطريق الوردي. لن نشعر بالخوف يا جدتي. سنمشي في الشوارع والسهول ولن نضطر لسماع الذئب الذي يعوي. لن نسمع الصياد الذي يُعمِّر سلاحه. لن نضطر للركض مُطلقًا يا جدتي. هل ستموتين اليوم يا جدتي؟ هل تريدين أن أساعدك على الموت؟ هل الشر في أن أتركك تعيشين أم مساعدتك على الموت؟ لن نتألم مُطلقًا يا جدتي. مساء الخير يا جدتي.

19

الصوت يتمدد ويتراجع مُتقلصًا داخل الحنجرة، يدعو للتكثف، لغلق العينين والاختفاء تمامًا. مثل تلك البرودة العميقة في الماء، وذراع الشمس العمودي، المشحوذ، وهو سكين بلا مقبض أو نصل، سكين لا يقطع لكن يجب أن تحمي نفسك بالسباحة في الماء. الماء، الجسد الطافي مثل الرضيع في المشيمة، الطفل الأبله خلف غمازة سنارة بها ورقة دولار، مباهج البلهاء الذين ليسوا بلهاءً لكنهم يبدون هكذا عندما يشعر شخص ما بالخوف من رؤية الأمور كأنها تحدث لأول مرة. كل زهرة أوركيديا تنفتح وتموت للمرة الأولى. الجسد في الماء، الماء بلا رائحة، الماء لا يمكن أن يمتلك رائحة. وهو الشيء الوحيد الذي لا يمكن فعله داخل الماء: يمكنك أن تلمس، يمكنك أن تتحسس الأشياء، تتحدث معها بيديك، يمكنك لعق الأحجار، والأعشاب النضرة، يمكنك فتح عينيك وتخمين أشكال السحب أثناء حركتها وسكونها الزائف تحت الشمس، لكنك لا تستطيع أن تشم، لا، هذا لا يحدث. من أين يصدر هذا الصوت؟

الأرض جافة وسط أشجار اللوز. كتل من التراب، أكوام من التراب، عندما يمر يوك جاريًا يتحول التراب إلى غبار، دماء على الأرض عندما جُرحت ركبة أثناء حصد اللوز في منتصف

أغسطس، وتركعوا أمام الشمعة. لكن لا. الصخور المتوحشة في أكثر النقاط انخفاضًا في طريق تسلكه الماعز. وحل ومؤخرات وجلة في ملابس استحمام. الممرضة تدخل وتغطي قدميك. تزيل الغطاء. إن كان عليك أن تسلك أحد تلك الممرات، أيها ستأخذ؟ الممر الذي تصدح به ضحكة يوك أم الممر الذي توجد به أمه شبه متحللة، فمها مائل وفكها ساقط على الكتف؟ في الثلاجة يوجد ديك رومي مشوي وخبز محشو باللحم.

تركع بركبتيك المغطيتين بالجينز فوق العشب الطري، وبصرخة جافة، مختنقة، حادة مثل صراخ مساعد في القداس، بصدى كبير، توجد روح كونية لا يمكنك تخيلها. السماء تكتسي بلون أزرق لامع، بريقه يشبه الموسيقى العالية تحت الأوراق بالميدان اللامعة في أحد الأعياد الكبيرة. الهواء الذي يدخل أنفك جميل كالحلوى، بعد جرعة السكر التي تتركها فوق لسانك طراوة الفضاء بين الحلوى واللوز، وتصارع الرقة لتصنع فضاء داخل فمك. لا تسمع الصفير المستمر للجهاز الذي يتنفس أبوك عن طريقه. خالتك آديلا تسير بين أشجار اللوز وتعرق. رغم أن الجو ليس صيفًا، لكنك تمتلك بهجة وجود الحلاوة على لسانك، الطراوة الأولى للحلوى، كما يحدث عندما تلعق صدفة بلسانك ويتراجع المحار للخلف وينكمش، وبعد ذلك تريد ماء، لكن لا يوجد عرق كل صيف في البيت، أبوك جالس على المقعد ممسكًا بالصحيفة، وأمك تتحرك من مكان لآخر، ويوك ينتقل من جانب لآخر. نقاط العرق الكبيرة في إبط خالتك آديلا. تشعر بطرواة

هواء البحر خلف الصخور، لا توجد زهور زنبق وسط أشجار السنديان والصنوبر. تستلقي عاريًا على الفوطة، تحت السماء الزرقاء، تدعو صديقك الجديد لكي يجعلك سعيدًا ولكي يحصل على السعادة في كهفك الدافئ، الذي لم يعد طفوليًا أو خشنًا. تقسم أنك ستفاجئ نفسك دائمًا بالأشياء وأنك ستحصل على أقصى قدر من رحيق هذه المتعة.

لا. كل شيء مُرتب في صالة بيتك. كل شيء في مكانه. السيدة جارثيا تبكي بينما تنظف وتضع التماثيل في مكانها، تلقي بأكواب وزجاجات ومناديل ورقية، تخيط ثقبًا بفعل سيجارة في غطاء الأريكة. يوجد ضوء لامع داخل الماء. ضوء غير منتظر، جديد. داخل الماء توجد نار. بالقناع على وجهك ترى كل شيء واضحًا: ملايين الأسماك الصغيرة التي تروح وتجيء، مثل يوك الذي يروح ويجيء وسط أشجار اللوز. الأسماك الصغيرة تعض قدميك وساقيك، وتدخل مندفعة في الجرح الذي تسببت فيه لدغة ذبابة وقمت بحكها على صخرة وسال دمك. إنه وقت الغروب. جارتكم تصعد وتبكي وتظل جالسة على الأريكة طوال ساعتين بينما تبكي. أنت وسبستيان لم تغلقا الغرفة بالمفتاح. خالتك أديلا لم تصب بالانهيار وفجأة تشعر بالحنين لمتعة أشجار اللوز، والذهاب لسرقة البرتقال، والخروج بالدراجة في طريق «كان باسكوال»، والوصول حتى الطريق السريع، وحتى البئر المهجور على الجانب الآخر من الطريق، حيث قال لك ابن عمك مارثيل إن هناك يدًا سوداء. يوجد هواء ندي بمجرد خروجك من

البحر واستلقائك على الصخرة. وعوارض فراش أبيك ثابتة جامدة مثل قدمي يوك الصغيرتين، أنت وخالتك آديلا في المستشفى، في الطابق السلفي، حيث توجد دواليب وفُرُش جرارة. تنظر من خلف الزجاج، هي بشعرها الرمادي ورائحة التبغ الأسود تصدر من فمها. ملاطفة سبستيان توجد فوق الصخرة. توجد في الممر حركة سرائر نقالة، أصوات وبكاء، وطفل يغني.

الباب ينفتح. من يوجد خلف الباب؟ لا، الباب لا ينفتح. لمن هذه اليد الباكية المرتعشة؟ هذه اليد المعتمدة على مقبض الباب والخالية من الأظافر تقريبًا. الماء يأكل جسدك بالكامل. الماء يدخل عبر أذنيك، من فمك، يدخل عروقك، وينفخك، تطفو فوق الماء، بذراعيك مفتوحين وصدرك مشقوق، مثل سمكة ساكنة. عينا خالتك آديلا وعينا سبستيان. على جانبيك. الصندوقان يهبطان والصفير الذي لا تسمعه لأن الجبل يوجد خلف أشجار الصنوبر، وخلفه يوجد طريق آخر، وتنهض تلال صغيرة على الأرض. ينفتح الباب ببطء، هل هي ممرضة لا تريد إصدار ضجيج؟ بينما يهبط الصندوقان ويستقران للأبد، حمام الشمس الذي يغسل الماء ويتركه لامعًا.

هذه العيون تنظر لك ببطء، إنها عيون تنظر وتظهر خلف الأجفان، إنها عيون حية، موسيقية تقريبًا، عيون لم تنظر لوجهك لكنها بحثت عنك دائمًا. إنها لا تختفي داخل الماء، لكنها ترحل بعينيك وتسير بها على الأرض. الصفير يختفي، كل شيء بعيد، عينا السيدة جارثيا الممتلئتان بالدموع، عينا خالتك آديلا

المحتقنتان، عينا أبوك المغلقتان. وتلك الصخرة: يمكنك أن تذهب سباحةً بهدوء، الماء شفاف، لم تكن هناك قناديل بحر في ذلك اليوم. يمكنك أن تتسلق، الصخرة مدببة، وزلقة أيضًا، والشمس منعشة أيضًا والماء يحرق، توجد نار في الماء، سبستيان ينظر لك من فوق الرصيف، تشير له محييًا، تشعر بطراوة تمر تحت إبطيك. أمواتك لن يجروا بعد ذلك بين أشجار اللوز. أمواتك يتحللون بين أشجار الصنوبر، يغطسون في الماء. أخرج يوك خيار بحر. تحييه من فوق الصخرة، تثني ركبتيك وتقفز برأسك داخل الماء.

العرق كثيف. الهواء ساكن، لا يسري. يستيقظ ألبرت بمفرده، يشعر بالبرد في قدميه العاريتين، يستنشق رائحة التعقيم الطبية في المستشفى. ألبرت، بيديه فارغتين، وداخل عيني أبيه المتمدد المتصل بأجهزة كثيرة، يستيقظ بنار باردة، بحمولة من الأفكار التي تختلط داخل علب الطعام في المجمد، خالتك آديلا، إعادة السير في طريق السيارة في الجرف، وجه بوثا والآخرين عندما عجزوا عن الكلام، مكالمة الفجر وهو يملأ بالدموع إبطيه العارقين اللزجين اللذين يحملان رائحة سبستيان، نظرة أخوك يوك عندما قال لك «هل ستأتي معنا السبت القادم؟». لحظة وقوف مارك أمامه ليواسيه، وكان حزينا للغاية، متأثرًا للغاية. وبينما كانا يتعانقان، كان ألبرت هو من واساه.

الخال ماتيو والخالة آديلا. الخال ماتيو: لا يقول أي شيء. خالته آديلا صامتة، تنظر له بوجه شفوق، تداعب شعره، يهز

رأسه نفيًا، يبدو كأنه يصلي في صمت. تقول إنه يجب أن يتكلم مع الأطباء، ومتى سيذهب للمدرسة، إنه يجب أن يفكر، إن أمه لم تكن سترغب في رؤيته مُنهارًا وهي أيضا لا تحب هذا، ربما يقضي هذا الصديق ساعات كثيرة في غرفتك. الخالة آديلا نقيض لبحر الصيف. إنها أخت أم ألبرت، لم يكن بينهما تفاهم، البغلة التي كان يهاتفها في الأعياد فقط. لم تذرف أي دمعة على أختها، لكن يبدو أحيانا أنها تلوم ألبرت لأنه بكى قليلًا. فجأة قالت له «يا ألبرت، الآن بعد أن قمنا بدفنهما وبينما يكون أبوك في المستشفى، يجب أن تكون شجاعًا قويًا بعد دفنهما، ويجب أن تحزم حقائبك وتأتي لتعيش معنا، في غرفة مارسيل، الذي يدرس في الخارج، يمكنك الذهاب للمدرسة والمجيء كل يوم بالأتوبيس». ورفض ألبرت تمامًا. هذا هو بيتي. وقالت له خالته آديلا إنه يستطيع عقد حفلات كلما شاء. وأمام خالته أخرج أسوأ ما فيه وأصبح شبيهًا بأمه عندما تغضب رغم أنه لم يكن راغبًا بهذا، وأوشك على صفعها، على كسر مزهرية على رأسها. لكن الخال مايتو قال «آديلا...»، وارتسم الحنق على وجهها كأنما غمسته في خل فسد في شمس أغسطس خلال ثلاثة أيام.

كان ألبرت يفكر ويشعر إنه هو ذاته، أصبح كبيرًا ووحيدًا وسط عالم ينهار بسرعة غير منتظرة. أبوه نائم، بجواره صفير لا يسمعه. لا يحمل ساعة. إن استيقظ، ماذا سيقول؟ أبي، لقد ماتوا جميعًا، لم يبقى سوى أنا وأنت. يمكن أن يأتي سبستيان ليعيش معنا. سنجد طريقة لمواصلة حياتنا. بالطبع سنفعل هذا.

خلال ثانية واحدة يراجع ألبرت الصور المتحركة التي تُعرض واحدة تلو الأخرى في مخه القلق: صورة ثابتة لأمه، الموجودة بجوار المزهرية في الدولاب الزجاجي، بشعرها الطويل والتجاعيد في فمها، دائمًا مشغولة، مسيطرة، شجاعة وواضحة، أمٌ لم تعد موجودة الآن. في الصورة ألبرت فتى من دون أم لكنه يتصرف بسرعة وكفاءة مثلها: لم يشعر بالحنين لها بعد، لأنها كانت أيام مليئة بالمشاغل، الكثير من الجهد، أيام في المستشفى. في الصورة، ألبرت قادر أيضًا على الاشتعال مثلها ليكون فتى من النار كما في فيلم «فانتستيك فور»، لكن دون تحكم.

صورة متحركة ليوك، في التاسعة من عمره، الأخ الأصغر الشقي كثير الصراخ، إنها الصورة الموجودة على الجانب الآخر من المزهرية. الطفل الذي قال «هل ستأتي معنا السبت القادم؟»، وأيضا الطفل الذي ينظر بفضول من يفكر إن كان كل شيء سيصبح شبيهًا عندما يكبر: ميت ومدفون. ألبرت في الصورة، وبما أنه فتى كبير لا يذهب مع العائلة خلال عطلة نهاية الأسبوع. ويبدو في الصورة كأنه حصل على فرصة معرفة شخص ما كان مجهولًا له حتى ذلك الحين. وفي صورة أخرى يبدو كأن ذراعه منزوع وما زال يوخزه.

صورة حية للأب، طويل ونحيف، صامت، أب محترم أكثر منه ساعيًا للحصول على الاحترام، الأب الذي يرتجل، إلخ، إلخ، الآن أصبح بلا حول ولا قوة على الفراش، الأب غير الموجود، بجهاز يصدر صفيرًا.

أطباء: يمكن أن يستيقظ أو يتوقف قلبه عن النبض في أي لحظة، لا يمكننا سوى الانتظار والصلاة. أعمام. إنهم ليسوا أباء، إنهم حل مؤقت. خالته آديلا لا تتألم كثيرًا ولديها حل لكل شيء وتشبه المحرك والببغاء والمنشار الكهربائي في آن واحد. ألبرت آبات، فتى دون عائلة، بلا أخوة كبار، مثل سبستيان، لأنه كان الأخ الأكبر. جويل، الفتى الذي مات قبل أسابيع. الزمن لا يمر بسرعة أو ببطء. تحدث أشياء كثيرة أو قليلة في الزمن. يبدو أن جويل قد مات منذ سنوات. بالفعل، يبدو أنه لم يكن حيًا في يوم من الأيام، أن كل هذا مجرد ذكرى في مسلسل تلفزيوني مسائي. ميكيل أنجيل الفتى الذي اختفى بعد بضعة أيام من حادث أبويه. وماذا يعني الاختفاء؟ سأل سبستيان عندما أخبره. وأجابه أن هذا يعني أنهم لا يعرفون مكانه، لا يعرفون عنه أي شيء. لكن أين يمكن أن يكون ميكيل أنجيل إن كان معنا في ذلك اليوم؟ وبدأ يبكي، تمامًا كأنما قالوا له إن أرييل قد مات على شريط القطار. لكن أين هو؟ وإن كان قد مات؟ أين توجد جثته؟

المدرسة: يشعر برغبة في التقيؤ فجأة، لأنه حزين وفقد طفولته، كمن يقول إنه لم يخف من حياة المراهقة، وهي مرض فيروسي حقيقي، يتم التغلب عليه بالجهد أو الصبر أو باليقظة، وأحيانا تخلف أجسام مقاومة وأفرادًا مُحطمين شاردين، ومواهب كونية تتوق لليوم الأول من الشفاء ومُستهلكين مُحتملين للمخدرات التي تحاكي ترياق الشباب الأبدي، اللعنة.

أفكار ألبرت آبات غريبة للغاية، أحيانا تكون مليئة بالعنف

عندما تقول له خالته آديلا ألا يفكر، فلا ضرورة للتفكير طوال اليوم، وهو يفكر في أن يقول لها إن كانت تريد لعقه، «وهكذا تتوقفي عن التفكير أيتها العاهرة». ألبرت في المدرسة، عندما يصل يرى أمامه وجوه الجميع المتأثرة، وهو سريع البكاء لكنه لا يريد أن يكون خبر الموسم، وأن يتحدث عنه الجميع، ودخل الحمام، وأحيانا يجد "بسلَّة" في الحمام، ويبدو أنه عزم على عدم التعبير له عن أي بادرة دعم أو عاطفة أو عزاء، ويراه بينما ينظر في المرآة كأنما يبحث عن شيء ما أو كأنه يتشوق لشيء ما.

سبستيان، الذي ظل بجواره طالما لم تطلب منه خالته آديلا أن يذهب، الذي نام معه عندما قال ألبرت لخالته، بسلطة الحياة بمفرده بينما يظل أبوه في الغيبوبة، إنه لن يذهب لينام في بيتها تلك الليلة, ولم يعد العشاء لأنه لا يشعر بالجوع، لكن السيدة جراثيا تركت العشاء مطبوخًا، وأكل مع سبستيان بينما ينظر كل منهما للآخر. ومن حين لآخر ينظر ألبرت باتجاه نافذة المطبخ، لربما كان أرييل ينظر. وفي وسط الصور: ينفتح الباب. هذه المرة ينفتح حقيقة. عندما ينفتح الباب يصبح صفير أجهزة المستشفى غير مسموع.

إنه الطبيب. يمرون على أبيه ثلاث مرات يوميًا. يسأله: «ألا يجب أن تكون في المدرسة؟». ويرد عليه الآخر: «كان يجب أن تكون لي عائلة وبيت»، وبعد ذلك يعتذر ويبكي لبرهة. أطباء هذا المستشفى طيبون للغاية، ويعانقه الطبيب، وبينما يعانقه

ينفتح الباب مرة أخرى وتظهر الخالة آديلا، التي تصدر سعلة، كأنها تقول، بمزاج عكر، إنها لا تريد مقاطعة لحظة تعبيرهما عن الصداقة.

- كيف حاله؟ كيف حال زوج أختي؟

تعبير «زوج أختي» طعنة في صدر ألبرت آبات. خالته آديلا تقوله لكي تصنع مسافة، لكي يكون واضحًا أن ذلك المتمدد الذي يتنفس ليس من أقاربها المباشرين، وأن لا دخل لها في قرابته بها.

- لا يمكن الجزم بأي شيء. الوقت مبكر لإصدار أي حكم. كلما طالت أيامه في هذا النوم العميق، فالوضع أسوأ. توجد حالات لا يمكن الشفاء بعدها تمامًا.

- وهذه إحداها؟

- هذه إحداها.

دخل ألبرت الحمام ليجفف دموعه، لأنه لم يكن راغبًا بالبكاء أمام خالته آديلا، وخرج. كان ظهرهما له. كانا ينظران لجسد أبيه النائم الساكن. يبدوان شخصان بالغان يسهران على ميت. شخصان بالغان ذهبا للسهر على ميت لا يهمهما كثيرًا، ولا يجعلهما يفكران حتى في اليوم الذي يسهر عليهما الآخرون. هذا هو ما يفكر معظم الأحياء أمام الموتى.

- وإن طال الوضع؟ وإن احتفظت به الأجهزة حيًا لوقت غير

محدد لكن دون أمل في التحسن أو الشفاء؟

كان خالته آديلا تتحدث بصوت خفيض، بينما تعتقد أن ألبرت ما زال في الحمام، وأضافت:

- ما هو التصرف برأيكم؟

هنا قال لها الطبيب إن المريض، إن لم يكن قد اتخذ قرارًا مُسبقًا، وهو ما لا يبدو في هذه الحالة، فإن العائلة هي من تقرر. وقالت خالته:

- أقرب شخص في عائلته هو ابنه، لكنه قاصر. لقد مر بمأساة رهيبة. وضاعت عليه السنة الدراسية، ونحن نعيش في الطرف الآخر من المدينة، ولا يمكن إطالة هذا الوضع للأبد.

- يا سيدتي، إننا نتحدث عن حياة إنسان.

- إننا نتحدث عن أبي أيتها العاهرة المسعورة! إن ما تريدين هو فصل الأجهزة وبهذا لا تضطري للانشغال بمشاكل بعد ذلك. أنت عاهرة. أمي كانت تقول هذا، إنك مومس حقيرة.

انفجر ألبرت أمام الشخصين الكبيرين. تحول العالم إلى شظايا، والتي ترتطم وتنفجر بدورها. تلك الصرخات، تلك الدموع، تلك التشنجات لإيقاف الاندفاع إلى توجيه الضربات في كل الاتجاهات. هذه الأشياء مناقضة أيضًا للماء، للصخرة، للبحر الذي تصدر عنه غمغمة البحر ويسمع نفسه، وللأسماك التي لها لون الأسماك لكنها لا تعرف.

– اسكت يا ألبرت! لا تصرخ هكذا أمام الطبيب وأمام أبيك!

– كم أتمنى أن يستيقظ ويسمع كلماتك!

وتقترب الخالة من ألبرت، وترفع يدها، ويبدو أنها تريد أن تصفع ابن اختها، تنظر الخالة للطبيب، وابن أختها لا يريد أن يكون عدوانيًا أو عنيفًا، لكنه ينظر لها بتعبير من سيركلها في وجهها إن صفعته، ويقف الطبيب بينهما. «لكن ما هذا الصراخ؟ ألبرت!»، إنه سبستيان، بمفرده، دون بوثا والفتيات أو أي شخص، يدخل الغرفة، وينظر للموقف مندهشًا.

يقول الطبيب إنه سيمر في وقت آخر، وإن أرادوا أي شيء للأعصاب، يمكنهم طلبه من الممرضات. تنظر له الخالة آديلا بنظرة حية. تنظر آديلا لسبستيان من فوق إلى تحت. رباط الحذاء غير معقود، البنطلون الرياضي المثقوب الذي يحمل شريطًا في كل ساق لتغطية الثقوب، الفانلة بدون كمين تقريبًا، باهتة، بلون جناح الذبابة. ما رائحة هذا الفتى ذي الأظافر السوداء؟

– لا داعي لأن تأتي لتنام اليوم، إن لم تكن ترغب. لتذهبا. وسنتحدث غدًا يا ألبرت. لا أريد أي شر لك. لا أريد أي شر لكم.

وتذهب. ولا ينتظر الفتيان حتى تخرج الخالة آديلا من الغرفة لكي يتعانقًا. شيئا فشيئًا يتحول صفير الأجهزة إلى صوت النورس الذي يصرخ فوق الصخرة. الجدران الصفراء هي الصخرة والحصى وطريق الماعز والأعشاب البرية والنخيل والينابيع في هذه الأرض الموحلة، الأب غير موجود، إنهم في البيت الريفي مع

الأم ويوك. يوك الذي يعتقد أن ألبرت سيذهب في الأسبوع التالي. العرق يتحول إلى ملح. فم سبستيان هو فم ألبرت آبات وفم ألبرت آبات هو فم سبستيان، وعندما يصل كل شيء لتوازن بلا نظام لكن بمنطق وكينونة، يدرك سبستيان وألبرت أن الطبيعة تتخذ طريقًا متناغمًا، يفوح بالروائح، لا نهاية له عندما يرحل البشر.

كانا مُحاطين بالحصى والهواء الوحشي، فجأة لم يعودا منشغلين بوجودهما في المستشفى أو بأبي ألبرت الذي كان مجرد جسد يتنفس أمامهما. عندما وصلا للسعادة، اختفى البحر، لا يسمعا أي عربة تمر على الطريق الذي يعبر تلك الهضبة. أصبحا من جديد فتيان في المستشفى.

– هل تعتقد أن جويل يرغب في رفقة آلان؟

– لا أعرف. وما رأيك أنت؟ لماذا تسأل؟

– أنا لا أعتقد هذا. جويل كان يكرهني. ميكيل أنجيل أخبرني بهذا.

– ميكيل أنجيل. هل قال لك هذا منذ فترة طويلة؟ هل كانا صديقين؟

– نعم، أخبرني منذ فترة طويلة.

– جويل كان فتى مسكين. ميكيل أنجيل لا. هل تعتقد أنه قد مات؟

– لا أعرف. أحيانا أفكر أن هذا ما حدث. أحيانا أتخيلهما ميتين،

هو وجويل. أحيانا أفكر أنه قد ذهب إلى مكان حيث لا يثير اسمه السخرية.

– السخرية؟

– أمور خاصة به. ربما يحدث هذا في الموت. معذرة لقولي هذا لك أنت تحديدًا، لكنني أعتقد الموت يمكن أن يكون شيئًا جميلًا.

– هل تعتقد أن الموت ليس فظيعًا دائمًا؟

– لا. أعتقد أنه جيد أحيانًا. أنا حزين اليوم. استيقظت اليوم هادئًا. ذهبت هذا الصباح إلى المقابر. لقد ماتت جدتي أول أمس، في الفجر.

20

في ذلك اليوم قال ميكيل أنجيل لأمه إنه سيخرج للتمشية في وقت لاحق. كانوا قد انتهوا من تناول الطعام منذ فترة. عجة، شهية للغاية كما قال أبوه، وتجشأ أثناء جلوسه إلى المائدة. الشبه الوحيد بين ميكيل أنجيل وأبيه أن أي منهما لم يحمل طبقًا من المائدة إلى المطبخ طوال حياته. كانت أمه تقول: إن كنت فتاة، كنت ستساعدني في المسح. وأبوه على الأريكة ، بالكونياك والقهوة وسجائر ويسترن، سيجارة بعد الأخرى، يلعن الفتيات والبنات وميكيل أنجيل، ويقول إنه يجب أن ينظف له السيارة في الغد. كان ميكيل أنجيل على حال سيئة منذ أيام، لاحظت أمه هذا، منذ عرف بحادث أبوي ألبرت آبات. لم يكن ميكيل أنجيل فتى كثير الكلام، نادرًا ما ينطلق في الحديث، ولم يكن هذا يحدث، إن حدث، في بيته. كان ميكيل أنجيل يتحدث بمفرده في غرفته أكثر مما يتكلم أمام أبيه. ولا يمكنه الكلام مع أمه: كانت ترفع كتفيها وحاجبيها بذلك الحذر لمن يخشى أن تقول شيئًا لا يجب أن تقوله. حذار أن يسمعك أبوك يا ميكيل أنجيل، وإن لم يكن أبوه موجودًا، لربما جاء فجأة، وإن لم يحدث هذا، سد فمك يا ميكيل أنجيل، لقد سكتُ على أشياء كثيرة طوال حياتي، وعلى الأقل لديك غرفتك وأصدقائك لكي تفضفض. وهذا حقيقي، في ذلك اليوم، بعدما انتهى ميكيل أنجيل من تناول الطعام، قام بمهاتفة سبستيان، ثم أغلق غرفته على نفسه. الوجهان الوحيدان لحريته: مفتاح غرفته،

وإمكانية الخروج كما يشاء طوال عطلة نهاية الأسبوع لأن أبوه يشرب الخمر طوال الوقت، على الرغم من أنه بعد ذلك، يومي الاثنين والثلاثاء، يحارب الصداع بالصراخ والضرب.

داخل غرفته يوجد فراش، كومودينو، دولاب، مكتب ورفان معلقان على الحائط. كل شيء صغير وجدير بطفل أصبح طويل الساقين والذراعين منذ وقت طويل للغاية. كانت الساعة الثالثة، وما زالت أمامه أربع ساعات تقريبا على لقاء صديقه. لكي يمضي الوقت، أخذ ميكيل أنجيل يفكر في مفهوم الصديق والصداقة، هذا العذاب الجميل الذي فرضه على نفسه بعد الطعام، وحيدًا في غرفته: إن كان هذا صديقي، وذلك ليس صديقي، ووجه جويل عندما يضحك أحيانا، ووجها سبستيان وألبرت آبات المتقدان، ولحظة قول سبستيان له «اِذهب».

فتح ميكيل أنجيل الدرج الثاني في الكومودينو دون إصدار ضجيج، وشيئًا فشيئًا أخذ يخرج الملابس التي اشتراها له جويل، والتي كان يحفظها تحت بضعة فانلات قديمة. وكان قد قال له: يجب أن ترتديها عندما أخبرك، يجب أن تكون مطيعًا يا ميكيل أنجيل، اتفقنا؟ كان الشيش مُغلقًا، وعيناه مغلقتان، وأوصل ميكيل أنجيل نفسه للسعادة، تصرف كفتى وحشي في غرفته بينما كانت عائلته تشاهد التلفزيون أو تقرأ الصحف، وأمه تغزل بالإبرة. داخل غيبوبة المتعة توجد صور متقطعة لجويل واقفًا على قديمه، جويل راكعًا، سبستيان متمددًا على الكرتون، ألبرت آبات واقفًا أمام باب بيته، بعينيه فارغتين، وساقي بيب

المشعرتان وصدر جان المحلوق، صورة لفتى ما غير محدد في المدرسة، وفي النهاية، عندما سالت متعته المختلطة بشعور غريب بالجحيم، بسبب تساؤله إن كان شخص ما في محيطه، إن كان أحد أصدقائه، لو كانوا أصدقائه بالفعل، إن كان هناك من يعرف حقيقته. ميكيل أنجيل، الذي لم يكن ينظر للمرآة مُطلقًا في حضور أي شخص، لكي لا يرى شكله.

في ذلك اليوم ذاته، عاد ميكيل أنجيل لارتداء ملابسه اليومية، وفكر مرة أخرى في موت جويل. ليس في موقف موت جويل، وإنما في واقع أن جويل ميت ولم يعد موجودًا بين الأحياء. حتى أيام قليلة سابقة، وعلى الرغم من شعوره أن جويل قد ذهب في رحلة طويلة وأنه سيعود يومًا ما، وأنه لم يمت في الشارع، وإنما استمر في السير واتجه إلى الناصية، ولم يره أي شخص بعد ذلك، لم يكن يتخيل أنه سيعود للصعود في مصعد بيت جويل، وإنما كان يتخيل اليوم الذي يذهب فيه جويل إلى ميدان «بورتشوس»، وعن طريق إرشادات غير واضحة سيجد باب البيت، أو سينادي ببساطة «ميكيل أنجيل! ميكيل أنجيل»، كما يفعل الأصدقاء والناس عندما يذهبون للبحث عن شخص ما ولا يعرفون باب البيت. لكن هذه البهجة الشبيهة بالسحر أخذت في التلاشي. بدلًا منها كان يرغب بارتداء ملابس سوداء، على الرغم من أن اليوم مشمس، لأنه كان يشعر أنه في حداد، ولا يمكنه أن يقول لأي شخص، وسيسأله بيب بضيق «ما هذا الذي ترتديه؟»، وسينظر الآخر دون اعتراض. ميكيل أنجيل أيضا كان ينظر ويقبل، لكنه

كان يشعر برغبة داخلية في الكلام مع أي شخص.

فتح صندوق مكتبه الوحيد. تذكر يوم أحضره أبوه، مُغلفًا في صندوق كرتوني مع المسامير والإرشادات من أجل تركيبه. كان قد طلب مكتبًا ملايين المرات، لأنه كان يمتلك مائدة طفل لعمل واجبات المدرسة، لكي يقرأ ويكتب، وكان يرغب في مكتب بأدراج. عندما أعطى له أبوه الصندوق، قال له «هاك المكتب ذي الأدراج». وشعر برغبة كبيرة في البكاء لأنه لم يكن يصدق أن صندوقًا كرتونيًا نحيفًا مربعًا يمكن أن يحتوي على مكتب بالداخل. وطوال ذلك العصر، بينما كانت أمه تطل من الباب لترى إن كان كل شيء على ما يرام، كان ميكيل أنجيل يقوم بتركيب ألواح ومسامير ويصنع تركيبات معقدة، لكي يكتشف عندما بدأ المكتب يكتسب هيئته، أنه ليس مكتبًا بأدراج، وإنما مكتبًا بدرج واحد.

واضطر لترك نصف أوراقه على الرف كما كانت، بعدما اختارها مسبقا لكي توضع في الأدراج. كانت قصاصات من مجلات، كشاكيل، كراريس المدرسة، بطاقات بريدية كتبها بنفسه لشخص ما. وفي الليل دخل أبوه الغرفة، تأمل المكتب خلال خمس ثواني وقال «إنه مائل». أخرج ميكيل أنجيل من درج مكتبه الساعة التي اشتراها لسبستيان، رأى أن أمامه ساعتين على اللقاء، ووضع الساعة والمفاتيح في جيبه وخرج دون أن يقول أي شيء لأبويه الجالسين على الأريكة. أغلق الباب دون ضجيج، وعلى بسطة السلم تذكر جويل عندما لم يكن يقول له إلى اللقاء لكنه كان

ينظر له بشيء من المودة بينما ينغلق باب المصعد.

بالأمل في جيبه، كان وحيدًا تمامًا لكنه يمتلك فكرة لمس الصداقة. بينما كان ميكيل أنجيل ينزل على السلم ببطء ودون ضجيج، خرج من نفسه ورأى ذاته، في ذكرى يراها من الخارج، منعكسًا في مرآة الحمام، في المدرسة، بعدما دخل في صمت، كأنه قد دخل خلسة، وكان جسد "بسلَّة" المعذب خلف المرآة أيضًا، كأنه يختبئ داخل المرآة. لم تكن المرآة تقول الحقيقة لهما: لم تكن تعرض البلد السري الخاص بكل واحد منهما، وإنما فتيان قبيحان، وجه أحدهما ممتلئ بالبثور وأسنان الآخر معوجة وأنفه مدببة. في الحقيقة، في المرآة، كانا يبدوان فتيين يدخلان الحمام كل يوم ليقول كل منهما للآخر وداعًا.

21

أريد أن أقول لك: وداعًا يا جدتي. لا أعرف لماذا أقول لك وداعًا من حين لآخر، مرات كثيرة، كأنك تسمعينني، كأنك تشعرين بي بينما توجدين في مكان ما. كما لا يمكنني تفادي تخيل أنك، بعد أيام كثيرة من عدم سماع أي شيء وعدم الشعور بأي شيء أو عدم الرغبة في السمع والشعور، تسمعين الآن أكثر من أي وقت، الآن تشعرين بالرغبة في السماع ومعرفة كيف تسير الأمور من دونك. هل ابتهجت برحيلك؟ هل رحلت هادئةً وسعيدة؟ كلما فكرت بك تذكرت كلمات ميكيل أنجيل عن فظاعة ترك الوعي معلقًا فوق العالم والانتقال للأبدية مع تذكر ألم الموت حزينًا.

أعتقد أنك تدركين وجودك شيئًا فشيئًا، لأن ما يوجد في الخارج لم يعد يهمك. ألم تعودي راغبةً في رؤيتي يا جدتي؟ أم أنك تعتقدين أنك بلا ضرورة في عالمي؟ هل عرفت أن ألبرت آبات قد دخل حياتي ولهذا رحلت؟ هل لأنني بدأت أتحرك وأعيش حياتي؟

لماذا أنظر للسماء وأتحدث معها. هذا مُضحك للغاية، الآن بعدما أصبحت كبيرًا. رأيت كيف يضعونها في الصندوق المزين ويدخلونها في القبر. كان رامون ينظر لساعته وأماندا تبكي، لأن الموت هو الموت دائمًا، رغم أنها بعد العودة من المقابر دخلت البيت، شغلت التلفزيون وأخذت تعد الطعام. كنت أحمل

الساعة التي أهداني ميكيل أنجيل. لم يسألني أي شخص في البيت عن مصدرها. لم يقولوا أي شيء في البيت، باستثناء طلبهم أن أخبرهم إن لم أكن سأعود للنوم في البيت ذات يوم، لأن الأخصائيين الاجتماعيين للأحداث قد يمرون في أي وقت، ولا يمكن لي أن أفعل ما أريد بعد. على الرغم من موتك يا جدتي، تعطيني الأذن لأفعل ما أريد.

بالأمس، بعد صرخات الخالة آديلا وكل الموقف المتوتر، استلقى ألبرت على الأريكة الموجودة في الغرفة ونام. كنت أنظر لشخصين نائمين من آل آبات: الابن والأب، الذي لم ألتق به من قبل ولم أسمع صوته، لكنني أمسك يده أحيانًا وأقول له «عُد»، وهذه الكلمة أوجهها أيضا لميكيل أنجيل، الذي اختفى منذ أسابيع. يبدوان هادئين، أحدهما بجوار الآخر: ملامح الموت في الأب تتحول إلى ملامح نائم، وملامح المعاناة في وجه ألبرت تتحول إلى ملامح شخص مُرهق، يعثر على ركن صغير على العشب وينام.

تركتهما نائمين ونزلت للتدخين. بينما كنت أعبر الطرقة وأنزل في المصعد، فكرت في أن المستشفى هو المكان الوحيد حيث لا ينظر لك أي شخص باندهاش، لا يسألك أي شخص «ماذا تفعل هنا؟». ويستمر الوضع هكذا حتى تصل للشارع، تخرج من الباب، تبحث عن دكة وتبدأ في طرقعة أصابعك.

أعرف هذا لأننا مرنا هناك ذات يوم وأخبرني بشعور أن يعيش

المرء بجوار مستشفى، قدر المعاناة الذي يعبق المكان، الأفراد الذين يتمتمون برغباتهم الأخيرة أو بغضهم الأخير، كل القوى المتراكمة، التي إن تجمَّعت في طاقة واحدة، يمكنها تغيير لون الأشياء والعالم. أعني أنني كنت أعرف أن "بسلَّة" يعيش هناك، في أحد تلك البيوت ذات الطابقين بالقرب من مبنى قديم للمستشفى، في شارع يصعد باتجاه سان باريرا, أعني أنه شارع موجود داخل المدينة: ألبرت في المستشفى، "بسلَّة" في الشارع، أنا أتحرك من جانب لآخر، المدرسة هناك وصورة ميكيل أنجيل المنشورة في الصحيفة. خرجت للتدخين، سرت في الشارع، ورأيته جالسًا على دكة، تحت عمود إنارة، في ناصية كبيرة تبدو كالميدان الصغير، ما زالت هناك دكك في ذلك الشارع، وليست مقاعد صغيرة كما يضعون في الميادين مؤخرًا، لكي لا يجلس الناس ويعودون لبيوتهم ويشترون سيارة أودي ويرتطمون بجدار ويدفعون نفقات الدفن. «آووووو!»، لماذا يعود الذئب عندما أفكر فيه؟ لماذا يا "بسلَّة"؟.

كان جالسًا هناك، شعره مُصفف بعناية شديد، بمثبت شعر، وكان جالسًا مع طفل يبدو في الرابعة عشر من عمره. كانا يرتديان بنطلونات طويلة وفانلات طويلة الأكمام. كانا يتحدثان، كان "بسلَّة" يتحدث أكثر من الطفل، ويحرك ذراعيه بشكل مبالغ، كان يأتي بحركات مُعبرة للغاية بيديه، وكان ينظر ليديه بينما يتكلم، وكان ينظر لعيني الفتى ليعرف إن كان ينظر ليديه. يوجد أفراد يسمعون أنفسهم بينما يتحدثون، وأفراد مثل "بسلَّة"، ينظر

ليديه كأنما يوجد سحر خلف هذه الحركة. عندما مررت أمامهما، توقف "بسلَّة" عن الكلام، نظر لي بسرعة، بعنف، رأيته قد قطب حاجبيه، اللعنة عليك يا "بسلَّة"، وقال لي: «ماذا تفعل هنا؟»، وأنا غير مكترث وساكن، كأن لدي دافعًا لهذا، قلت له «كنت في المستشفى. أبو ألبرت آبات هناك». كان الطفل ينظر لي بذات تعبير الانقباض كما الفتى الميت، أتذكر هذا جيدًا، في ذلك اليوم كان بوثا وأصدقائه يسخران من ميكيل أنجيل، ونهرت ألبرت أبات كثيرًا، في ذلك الحين كان أبوا ألبرت آبات على قيد الحياة؟

كان الطفل ينظر لي من فوق إلى تحت، نهض، كان على وجهه تعبير من لا يصدق أن صديقه الجديد يتحدث مع شخص مثلي.

سألته: «هل وضعت مثبتًا للشعر على أوراق البسلَّة؟»، قال الفتى «ماذا تقول؟». كان «"بسلَّة" ينظر لي مهددًا، كأنه يحمي صديقه الجديد، أشفقت عليه يا ألبرت. أشفقت عليه كثيرًا يا ميكيل أنجيل. لم يؤلمني هذا يا جدتي، كان يشعرني برغبة في البكاء من أجله خلال وقت طويل. كان ينظر لي متقد الغضب، كبير الألم، كان سخيفًا. ابتعدت. لاحظت عيني وأضراس "بسلَّة" في قفاي، كنت أريد التظاهر أن شيئًا لم يحدث، كنت ألحظ أنفاسه كصياد، نظرت للسماء، التي كانت قد أعتمت، ولم أر القمر، شعرت برائحة الغضب والبارود، رغبة في التكشير عن أنيابي والبدء في الركض على أربع حتى أصعد أعلى الجبل وأعوي ولا أتوقف عن الجري طوال الليل. لكن لا. ذهبت للجلوس على دكة أخرى. بعد ذلك عدت للمستشفى. كان ألبرت ما زال نائمًا. جلست على الأريكة

وبدأت أفكر في الفتى الذي كان برفقة "بسلَّة" وأشفقت عليه. أنا أيضا كنت في الثالثة عشر أو الرابعة عشر، في مركز الأحداث، وعرفت أولادًا في الخامسة عشر أو السادسة عشر وكانوا يريدون إبهاري وكانوا يعتقدون أنني أريد حمل أحذيتهم أو استبدال ملابس الداخلية معهم. دخلوا مرتين أو ثلاث أثناء الليل.

22

«قريبًا سيكتمل شهر على غياب الشاب ميكيل أنجيل أوريل عن بيته. يعرض أبوه المنهار مكافأة لمن يساعد في الإرشاد عن مكانه.» فتى مسكين... لماذا يوجد أولاد يخرجون من بيوتهم ذات يوم ويختفون بعد ذلك؟ لماذا يخلفون كل هذا الحزن في بيوتهم؟ أي مهارة يمتلك الأفراد الذين يختفون ولا يتركون أي إشارة؟ كنت جالسًا كسيد وأمامه قهوة وكعكة والجريدة في أحد مقاهي وسط المدينة. إن لم يكن بسبب العصير المثلج، الرعشة المتواصلة في الساقين والأظافر المقضومة، والجلد المقشعر، كنت ستبدو أكبر، وليس فتى يذهب للمدرسة، وإنما شاب تخرج من الجامعة. شيء ما تغير فيك يا جاومه. بل إن الجميع في بيتك قد لاحظوا هذا خلال الأيام الأخيرة: بعدما أمضيت أيامًا عديدة محبوسًا في غرفتك، تغيَّر وجهك في النهاية، بدأت تنضج، خرجت من غرفتك، تقبلهم لدى خروجك ولدى عودتك. أنت الفتى التقليدي الذي لا يشك به أحد مُطلقًا. أنت، بمكانك على الكرسي الهزاز، بالكتب المصفوفة على الأرفف. أنت، بدولابك الممتلئ بالملابس الغالية المُعلقة والمطوية جيدًا. ستحطم الأطباق والأكواب في بيتك، وعندما تصل أمك، تبكي قليلًا بينما تجمع

هي الحطام، وستمتلك الجرأة على إقناعها بأي حكاية تخترعها. وهي ستصدقك. وسيعود أبوك بعد ذلك، بذلك الهدوء المميز به عندما يفتح الباب، وسيرى نتيجة تهورك، وينظر لك بوجه مُحمل بالأسئلة، بوجه آل جاومه، وأنت تختبئ خلف المأساة، لكن ستمر ثلاث أو خمس ثواني، وسيتنفس، وسيقترب منك ويربت على قفاك، بالطبع سيفعل هذا.

زبائن الكافيتريا من العجائز اللائي طلين وجوههن فأصبحن كالببغاوات، وكن يعلقن على أخر الأخبار: طفل المدينة الذي اختفى ذات يوم. الجرسونات يعملون هناك منذ ألف عام. الشمس تطلع كل يوم. أيام وأيام دون انفجارات، دون كوارث أو مذابح جماعية. لكنه يفكر: ما أن يوجد تسريب غاز، شعلة لهب في المكان المناسب، وبووووم! هؤلاء العجائز سيتطايرن ويتمزقن، والجرسونات أيضًا، وبعد ذلك في مقهى آخر، وعجائز أخريات يعلقن على الأحداث، وتسرب آخر، وبوووم! ها!ها! ها! ها!، ويمكنك أن تفعل هذا يا جاومه، يمكنك أن تفعل هذا كل أسبوع ولن يعرف أي شخص أنك الفاعل، وأبوك، بعدما يقرأ الخبر كل أسبوع في الجريدة، سيأتي ويربت على قفاك، وبووووووم، ها!ها! ها! ها!

ماذا كنت تقول قبل قليل؟ آه، نعم، في الحقيقة أنت لست جالسًا في مقهى بوسط المدينة، والوقت ليس صباحًا، أنت تسير على كورنيش البحر، بدأت تعتاد على تدخين السجائر الغالية. لا للسجائر المحشوة، التي تُذهب بالعقل، وبالإضافة لهذا فهي

طفولية، جديرة بأطفال الحي. لا وجود للانفجارات، لا مجال لها. لقد مررت بهذا من قبل، مررت بحركة الأشياء هذه. أنهيت المدرسة، درست في الجامعة، لم تعد ذلك الطفل الذي يجلس بمفرده على سلالم قاعة الجمنازيوم. لم تعد هناك ظلال في قلبك. ربما تكون عضو نادي، أحد تلك الأندية الموجودة في نهاية الممشى البحري، حيث يفتح لك الحارس الباب، وعندما تدخل تجد كل أصدقائك الذين يحيونك بشكل عابر، لأنكم دائمًا ما تتبادلون التحية بشكل عابر، كل شيء عابر في حياتكم، الحياة مثيرة ودائمًا ما تحدث أشياء هامة. هناك من لا يحتاجون للبحث عن الأشياء، لأنها تأتي. تشرب كوكتيل ولا تصاب بتشنجات. حمام السباحة يوجد في الشرفة. يمكن رؤية اليخوت من حمام السباحة. بينما تمتص الزيتونة المثبتة في عود خشبي، تنظر للمشهد الموجود أمامك، المقاعد العالية والموائد في التراس، كأنها صورة في إحدى المجلات الاجتماعية، بالفعل، إنها الخلفية الموجودة في الصورة المعلقة بجوار الفراش، صورة المتزلج على الماء، مُعلقة في المكان الذي كانت تشغله سلسلة الرسومات المخصصة لسبستسان، ورق من ماركة جوارو وشمع من ماركة داكس. الوجوه جامدة في تراس النادي، والابتسامات سطحية، والملامح متشابهة والحوارات عقيمة، وأنت مجرد ذكرى تلاحقك، الأكواب هي ذاتها، لا تدخل أي موجة كبيرة في الخليج، لا يسقط المطر، وأنت في العتمة. الحائط بجوارك، وتدق «توك، توك، توك»، وتركل بقدمك «توك، توك»، بينما تركب المتوسيكل وتأخذ طريق الساحل، مستقيم، ضيق، دون منحنيات. وعلى هذا

الحال ترى شخصًا يعبر في الاتجاه المعاكس. تعرفهم جمعيًا وكلهم يعرفونك، لكنهم لا يعرفون حقيقتك: لا يوجد من يعرفك من الداخل. أنت متواضع يا جاومه، تختبئ خلف واجهة السلوك العادي، لكنك لماح، ذكي، تعمل حساب كل شيء، شجاع، ومتهور: أنت تصل للنهاية دائمًا. تحيي من يمرون، يعرفونك بسبب لون خوذتك الفضي. الطريق والضباب الذي يتكون فوق الأسفلت متسقان مع الخوذة. تشعر بالنسيم الذي يرتطم بحافة الخوذة، تمر بلحظة صمت، تمر بلحظة حماس، وفي لحظة لا تعرف أين يجب أن تذهب، وفي هذه اللحظة تحديدًا تسمع طرقًا على الباب. أنت مستلقي على الفراش في غرفتك، وهذه طرقات أبوك عندما يدق على الباب. لا يمكنك القيام بجولة بالمتوسيكل في هدوء.

- جاومه، هل أنت بخير؟

ويجب عليك أن تقول له « نعم يا أبي، لا تقلقوا يا أبي»، في هذه اللحظة تحديدًا كنت تقوم بجولة في الطريق السريع. لا توجد أي مشكلة، اللعنة، ماذا تريد الآن؟ أبواك سعيدان بك، أصبحا هادئين لأنك لم تعد تمضي الساعات داخل غرفتك، تقبلهما لدى الخروج والدخول، لم يذهب أبوك لغرفتك بسبب قلقه لأنك تلعب في العتمة، لا يا أبي.

- جاومه، تعال لتجلس معنا. لماذا لا تأتي بكتاب وتجلس معنا؟ سنتناول العشاء بعد قليل يا جاومه.

تسمع الخطوات التي تهبط السلم. يدخل الضوء عبر الشباك.

تتخيل أنك قادر على الخروج من نفسك، مثل الأشباح، تعبر البسطة وتصعد إلى سطح البيت، تقطع أوراق نبتة الجيران، وستدخل بيتهم عبر بئر السلم لكي ترى كل شيء، إن كانت هناك أي حركة عفوية، إن كان صديقك الصغير الجديد يبكي أو يضحك، وستدخل عبر شباك المستشفى، وسترى وجه أبي ألبرت آبات الميت، ووجه ألبرت آبات اليتيم، وعلى الأخص فأنت مهتم بمعرفة إن كان سبستيان، اليتيم وصديق اليتيم، موجودًا هناك ويمد له يده بعطف، وتريد أن تتحول كل روحك إلى تيار كهربائي، وتدخل في مقبس كهربائي، وتعبر الأسلاك وتصل إلى المؤلد، وبما أنك مشحون للغاية، ستتسبب في تفريغ يترك المستشفى بالكامل دون ضوء، وستتوقف الأجهزة، وسيلفظ أبو ألبرت آبات أنفاسه الأخيرة، لكنك لن تضحك، ماذا ستفعل؟ هل ستذهب إلى الطريق الوردي، متطوحًا مثل ملاءة في يوم مليء بالرياح. ومن سترى؟ من يوجد هناك؟ من يوجد معك؟

على الرغم من هذا فقد أصبحت بجوار الباب، مرتديا بنطلونك، تنزل على السلم الداخلي، تتجه للصالة. أبواك يقرآن الصحف والمجلات على الأريكة. وجه أمك يشرق لدى رؤيتك، لكنها لا تنهض أو تعانقك أو تبكي من البهجة: دائمًا ما كنتم قليلي المبالغة، دائمًا ما كنتم أناسًا عاديين. عاديون لدرجة أنك تنهض وتخرج من الغرفة حيث كنت تطير فوق المدينة، وتهبط إلى الصالة لتجلس مع أبويك، تمسك بجريدة رياضية وتريد قضاء الوقت بكرامة بينما تنظر لأفخاد وما بين سيقان لاعبي كرة القدم.

«قريبًا سيكتمل شهر على غياب الشاب ميكيل أنجيل أوريل عن بيته. يعرض أبوه المنهار مكافأة لمن يساعد في الإرشاد عن مكانه.» يا لها من أمور فظيعة يا ريكارد. فتى من عمر جاومه يختفي، هكذا فجأة، ولا أثر له.

- لابد أن أباه منهار الآن.

- يا إلهي. هل هو زميلك في المدرسة يا جاومه؟ مكتوبٌ هنا إنه كان طالبًا... حسنًا، إنه طالب في مدرستك. أليس صديقًا لك يا جاومه؟

- من؟ المختفي؟ لا، لم أكن أعرفه. لكن يكفي رؤية أن عينيه حزينتان.

- عيناه حزينتان؟ هل تقول هذا بسبب صورة الجريدة؟

وتستدير أمك وتعطيك الجريدة، وترى صورة ميكيل أنجيل منشورة بها، كان واقفًا بجوار نافذة منخفضة، مرتديًا فانلة متهرئة تحمل دعاية لمشروب برتقال، كانت يداه على خصره، وفي هذه الوقفة، بكوعيه للخلف و كتفاه متقلصان،. وتفكر أن عيناه تقولان لك «لا يا جاومه». وتغلق عينيك وتعود للسباق.

- نتمنى أن يعثروا عليه، وألا تعاني عائلته أكثر من هذا. وإن كان ميتًا ليعثروا على جثته! لا يمكن للمرء أن يعيش في ضيق دائم. آه، اسمع هذا الخبر «أعلنت المسئولة عن الأشغال العمومية عن تحديد لتاريخ لهدم البناء المهجور في «سون بارريرا»...»

– لقد حان الوقت! كم عامًا مرت على هذه البناية غير المكتملة؟

– وهو خطر أيضًا، يبدو أن هناك من يذهبون إلى ذلك المكان، وهناك آخرون يذهبون بالدراجات، ويمكن أن تقع كارثة في أي يوم. هل تعرف أين يوجد يا جاومه؟ إنه خلف المدرسة.

– هناك في الطريق الوردي...

– أين هو الطريق الوردي؟

– لا أعرف. ماذا يوجد للعشاء؟

– لا أعرف ماذا طهت لنا هيلينا. لقد حانت ساعة هدم ذلك المبنى، أليس كذلك يا ريكارد؟ يمكن لأن شخص أن يربح الكثير من المال هناك. ولا يوجد هناك الآن سوى قاذروات.

– توجد أعشاب برية، عجلات دراجات، كما توجد أشياء مهملة، الناس تخشى الذهاب هناك، كما يوجد كرتون على الأرض وبئر عنقه شبه مكسور، والأعشاب البرية تصل إلى ركبتيك، و...

– ماذا تقول يا جاومه؟ هل ذهبت هناك من قبل؟

– لا. هذا ما حكاه زميل ذات يوم. أنا أيضًا سعيد لأنهم سيهدمون ذلك المبنى. إنه قبيح للغاية عندما نراه من المدرسة.

– على ذكر المدرسة، ماذا فعلت اليوم يا جاومه؟ هل عدت للانتظام في المدرسة؟

وأنت تبدأ في التذكر وفي التفكير داخليًا.

23

خرجنا من المستشفى لنذهب للمدرسة في ساعة مبكرة من صباح اليوم. لدي أفكار حقيرة تهيمن على وتحفر عقلي، وفي الأيام الماضية، كان عبور الشارع الموجود خلف الطريق الوردي والمرور أمام الباب الخلفي للمدرسة يجعلني أتذكر ميكيل أنجيل عندما أخبرني أنه يريد أن يكون مدرس لغة. لأنه كان يحب هذا... كان يحب المذاكرة. أنا لست غبيًا وأحب القراءة، لكنني لا أريد المذاكرة. إن لم يكن بسبب وجود نظام صارم للحضور، لم أكن سأذهب للمدرسة. لم أكن سأبتعد اليوم عن ألبرت، ولم يكن هو أيضا قد ذهب للمدرسة، كنا سننتظر الطبيب، كنا سننتظر أن ينفتح الباب وتدخل خالته العاهرة آديلا، وكنت ستتحملها يا سبستيان، أنت هناك، قوي ولا تتحرك من مكانك، لأن ألبرت آبات صديقي الكبير. لكن لا: أخذت الشنطة واتجهت للمدرسة. منذ أيام أشعر بالخجل منذ دخول المدرسة. أشعر بذات الخجل الذي كان ينتابني قبل عامين، عندما كنت أدرس في مدرسة، وفي منتصف اليوم، في ساعة الغداء، كنت أتجه يمينا وأدخل مركز الأحداث. ماذا أقول؟ أشعر اليوم كأن جدتي مجبرة على ترك مشاغلها، ذات اليوم، والذهاب للمدرسة. بأي وجه ستدخل، بينما عقلها في مكان آخر؟ ولا ينتهي الضيق بين الانتقال بين المحاكم

والبلدية والشرطة.

قال ألبرت إنه سيذهب في وقت لاحق. خمنت أنه يريد انتظار العاهرة خالته آديلا، لأن النار كانت مشتعلة بينهما عندما وصلت بالأمس، لكن في أخر لحظة طبع قبلة على جبهة أبيه وقال إنه سيذهب للمدرسة، وأن خالته أديلا ستتدبر أمرها. كانت ساقا ألبرت مرتعدتين، وعيناه كانتا غريبتين، وأنا اكتفي بإمساك كوعه ولمس ظهره. أعتقد أن هناك في المستشفى من يعتقد أننا أخوان أو ابنا عمومة، أو أقارب من أي درجة. نعم، وعندما أصبحنا في المصعد طلبت منه أن ينتظر لحظة لأنني نسيت شيئًا ما، وعدت راكضا إلى الغرفة ولم يكن هناك ممرضات أو أطباء أو خالات، ووقفت لأول مرة أمام أبي ألبرت آبات.

إنه رجل بلا حول ولا قوة: نائم. إنه بلا حول ولا قوة مثل مجموعة نائمة من الصبية، ويقول آخرون «انظروا، إنهم نائمون»، ويضطهدونهم ويضعون قضبانهم بين شفاههم، ويصورونهم، وأشياء شبيهة. كأنه ميت متحرك، وقلت له إنني لا أريد الركض بعد ذلك، إنني جريت طوال حياتي من مكان لآخر، وإنه لم يستيقظ منذ أيام كثيرة، وسألته، كأنني أرجوه أو كأنني أتحدث مع الشجرة كما أخبرتني اسبيرانثا، سألته إن كان يعرف أن زوجته وابنه قد ماتا وإن كان يرغب في الموت. قلت له إنه بعدما سمع كل الأشياء التي قالها له ألبرت بينما يمسك بعوارض الفراش ولم يستيقظ بعد، فلأنه على الأرجح يريد أن يموت. ويجب على المرء أن يموت ذات يوم.

وبعد ذلك كان ألبرت ينتظرني أمام المصعد ونزلنا معا وبعد ذلك سرنا على أقدامنا بينما نتحدث، وعندما تبقت خمس دقائق على الوصول للمدرسة، تظاهرنا أننا سنقوم بالتمشية وذهبنا في الطريق الأسفلتي وأخذنا نتحدث عن الجبال وعن الأشياء التي سنفعلها عندما يستيقظ أبوه، وكنت أفكر في كرسي جدتي الهزاز، إن كان رامون قد ألقى به في الشارع أم أنه يجلس عليه بينما يقرأ مجلاته التافهة. دخنا فناء المدرسة وكانت هناك وجوه ساهمة. لم أندهش للوجوه الكئيبة، وعلى الرغم من أنها الأيام الأخيرة في المدرسة، والكثيرون يرغبون في الوصول للصيف وبدء الحياة من الصفر، فإن الحزن كان يطاردنا منذ أيام عديدة، لكنني فكرت فجأة أن الزملاء قد عرفوا بأخبار عن ميكيل أنجيل. وكان هناك بوثا وكلارا والآخر، و"الشيخ" مع ميرتشيه في جانب آخر، وفجأة كانوا ينظرون لي، ينظرون لي مباشرة، لا أعرف إن كانوا ينظرون لي لأنني أحمل شيئًا غريبًا فوق رأسي، أو لأن أحدهم سيقترب ويقول لي «أنا آسف للغاية يا سبستيان». نظرت في كل الاتجاه لأرى إن كان "بسلَّة" موجودًا، اللعنة عليه، لم يكن هناك.

كان المدير بارتوميو يتحدث مع رجل آخر مرتديًا ملابس داكنة، وكان بجواره رجل شرطة. كان ثلاثتهم جالسين على دكة في الكانتين. وفكرتُ «الشرطة مرة أخرى، لا» وألبرت، الذي لم يكن موجودًا في المرة السابقة عندما جاء رجال الشرطة الثلاثة، أمسك

بكوعي كما أمسكت بكوعه لأن كلينا رأينا بوضوح أن بارتوميو ينظر لي ويشير لكي أقترب، وقال للرجل ذي الملابس الداكنة «إنه هذا الفتى»، وفي ذات الوقت أتى بالإشارة أنني سأقترب، ولا داعي لنهوضه لكي يذهب لي. وبما أنني لم أقترب، جاء بارتوميو وحيا ألبرت الذي كان متوترًا لأن بوثا و«الشيخ» وبضعة فتيان آخرون جاؤوا ليقفوا خلفي. وقال لي:

– سبستيان، لقد جاءت الشرطة. لا أعرف ما هو الموضوع، لكنهم يريدون سؤالك عن بضعة أشياء. قالوا إنهم ذهبوا للسؤال عنك في بيتك لكن أختك قالت إنك لم تذهب للنوم في البيت. لنذهب إلى مكتبي. لقد طلبت منهم أن يتصرفوا بهدوء ودون لفت الأنظار، لأن هذه مدرسة. أنا سأكون معك بينما تتحدث معهم.

– لا داعي للخوف – قال الرجل ذي الملابس السوداء الذي لابد أن مؤخرته كانت تحترق بالنار لأنه نهض مسرعًا وجاء باتجاهي –، إننا نريد أن نسألك عن بضعة أشياء فقط.

كنتُ أفكر في "بسلَّة"، قاعة تغيير الملابس، "الشيخ"، سجائر الماريجوانا، الطريق الوردي، محطة «نورد»، بل إنني فكرت في جويل أيضا. كنت متوترًا، وأدرك ألبرت هذا، لكنني لم أكن راغبًا في الوجود في ذلك المكان لأنني لم أكن راغبا في حضوره، وقال ذلك الشخص:

– سنتحدث الآن، لكن لا يمكن لصديقك أن يدخل.

أوشكت على أن أقول له إن ألبرت ليس صديقي، وإنما صديقي

الكبير، ومن المؤكد أنك شخص بلا أصدقاء أو أصدقاء كبار، لكن كأن بارتوميو قد قرأ أفكاري، وارتسم على وجهه تعبير «اغلق فمك». وبعد ذلك اقترب بوثا والفتيان الآخرون، وتقريبًا بدت البهجة على الرجل ذي الملابس السوداء، وحملوا ألبرت بعيدًا، وقادوه إلى المدخل، دون أن يخرجوا لكن على مسافة معقولة، وأخذوا ينظرون لنا بينما ندخل المكتب.

– قبل أي شيء، نريد أن نوجه لك بضعة أسئلة فقط، لا داعي لأن تتوتر، ولا أن تعتقد أنك فعلت أي شيء سيء. اسمك هو؟؟ آه، نعم، سبستيان. حسنًا أنا، يمكنك أن تطلق علي السيد «يوبيس».

– هل أبلغتم الأخصائية الاجتماعية الخاصة بي؟

– الأخصائية ماذا...؟

– توجد أخصائية اجتماعية من مكتب الأحداث لمتابعة سبستيان.

– آه، نعم، نعم. لا، لا. إنها أربع أسئلة. حسبما أرى هنا، لقد قمنا بإبلاغ مشرفتك في مرة سابقة، أليس كذلك؟ أنت تعيش في ميدان «بورتشوس»، أليس كذلك؟ الآن يقوموا بتغيير كل شيء هناك، سيتبدل وجه الحي تمامًا، أليس كذلك؟ حسنًا، لكن هذا ليس موضوعنا. نريد أن نوجه لك بضعة أسئلة حول ذلك الفتى الذي يعيش هناك، ميكيل أنجيل أوريل. أعتقد أنك تعرف باختفائه منذ ثلاثة أسابيع.

الآخر، الذي كان يرتدي زي رجال الشرطة، كان جالسًا في أحد الأركان، بيديه على ركبتيه، صامت مثل الكلب، وينظر لي مثل الكلب. كنت قد أصبحت أكثر هدوءًا، لأن الشرطة لا تثير أعصابي، لكنني توترت كثيرًا عندما رأيت أنهم يريدون الكلام حول ميكيل أنجيل. وأشعر بألم شديد للكلام مع الشرطة حول ميكيل أنجيل، لأنه لا يوجد شيء أكثر تناقضًا وتنافرًا في العالم أكثر من ميكيل أنجيل والشرطة. وبصراحة يا سيد «يوبيس»، أنت تبدوا طبيبًا أبلهًا أكثر منك مفتش شرطة أو محقق، أو أي ما كان منصبك.

– وكما تعرف فقد عرض أبو ميكيل أنجيل مكافأة لمن يساعد في الإرشاد عن مكانه.

– لم أكن أعرف هذا.

– أفهم هذا. ربما كان يمكنك الذهاب ليعطونك أي شيء.

– ربما كانت نبرة هذا التعليق غير مناسبة. لقد قال لكم إنه لم يكن يعرف. هؤلاء الأولاد لا يقرؤون الصحف.

وضايقني للغاية أن يقول بارتوميو إننا لا نقرأ الصحف. لتضع الجريدة في مؤخرتك يا بارتوميو، وابن العاهرة «يوبيس» هذا.

– لا يخطر على بالي الذهاب للكلام مع أبي ميكيل أنجيل.

– هكذا إذن، هل تعرفان بعضكما البعض؟ هل كنتما صديقين؟ ألم تتحدث معه من قبل؟ لأنكما تعيشان في ذات الشارع، أليس كذلك؟ أبوه قلق للغاية. هو أيضًا كان يريد المجيء للكلام معك،

لكن حالته لم تكن تسمح له بالمجيء. وعلى الرغم من هذا فهذه أمور روتينية، دائمًا ما توجد أمور غير متسقة، ودائمًا ما توجد أمور تتسق في آخر لحظة. هل تفهمني؟

ارتعدت لمجرد التفكير في ذلك الأب الوحشي جالسًا في مكتب المدير، برائحة البيرة في أنفاسه وإبطه محلوق وعارق، ولقلت له، لذلك الكلب «يوبيس»، إن أبا ميكيل أنجيل هو أكثر من في الميدان سُكرًا، وإن وجه أم ميكيل أنجيل رمادي، وتبدو ملامحها كأنها تلقت حذاء مقذوفًا على وجهها، وإن أباه لديه بضعة أصدقاء قليلين ويجلسون في بار «بورتشوس»، وإنهم مثيرون للشفقة والألم، لكن أكثر ما يؤلم هي تلك «العُلق» التي كان يضربها ذلك الأب المتأثر لميكيل أنجيل، والذي يقول الآن إنه يعرض مالاً لمن يعرف أي شيء... وإن ميكيل أنجيل كان يشعر... إنه يشعر بالخوف من أبيه، وأمه تشعر بالخوف من أبيه، وإنني لا أريد الكلام معه مُطلقًا لأنني لن أقول له سوى إنه خنزير قذر، وهو لن يستطيع فعل أي شيء سوى التجشؤ في وجهي بعد كل البيرة التي شربها.

وتنهدت، لأنني في الحقيقة كنت منفعلًا لقول هذه الأمور بينما أجلس على مقعد في مكتب المدير، وأمامي رجل شرطة، وكان بارتوميو قد وضع يدًا على كتفي ورأيت أنه متوتر وحائر، ورأيت أن «يوبيس» بدأ يعرق وكان يدون كل شيء كيفما اتفق، وشعرت أنني داخل حلقة في مسلسل تلفزيوني من تلك المسلسلات التي يشاهدها "بسلَّة" كل ليلة، لكنني لم أكن أشعر أنني بحال جيدة

لأن ميكيل أنجيل لم يكن موجودًا. في الحقيقة لم يكن صديقي الكبير، لكن ربما كان قوله إنني ملاك حقيقيًا.

– يقول أبو ميكيل أنجيل الآن إنه رآك مع ابنه ذات يوم اختفائه.

– لابد أن قد رأى قريني...

– سبستيان...

– ألم تفكروا أنه ربما لم يختفي وإنما ذهب لمكان مجهول لكي يتخلص من أبويه ومنا؟

– منكم؟

– نعم، وربما كان ميكيل أنجيل محظوظًا ورحل ليبقى مع جويل، ما أدراني!

– ماذا تقول يا سبستيان؟ ما علاقة جويل بهذا؟

– حسنًا، حسنًا، حسنًا. لا نعقد الأمور أكثر من هذا. من هو جويل ذاك؟

– إنه تلميذ في المدرسة، مات بعدما صدمه موتوسيكل قبل خمسة أو ستة أسابيع. – أحنى بارتوميو رأسه احترامًا بينما يقول تلك الكلمات. أتى يوبيس بتعبير من يسأل إن كان يستطيع أخذ منديل من فوق المائدة لتجفيف العرق. وتوجه بارتوميو لي قائلًا: – لماذا تقول هذا يا سبستيان؟ هل تعتقد أن ميكيل أنجيل قد سعى للموت؟ لماذا تقول هذا؟ هل تعتقد إننا يمكن أن نمر بحالة وفاة كل خمسة عشر يومًا في هذه المدرسة؟

– هدوء، هدوء، لنوضح كل هذا. نحن لا نعتقد أن الفتى قد مات. ولا نعرف أي شيء عن ذلك الفتى الآخر الذي مات. هل كانا صديقين؟

– لا يمكنني وصفهما بالصديقين، لكن ميكيل أنجيل كان يفتقده، على الرغم من أن جويل لم يكن فتى طيبًا. يمكنكم أن تتخيلوا الوضع: أبوه يضربه دائمًا، والفتى الميت يعامله بطريقة مهينة.

– الفتى الميت؟ هل تعني جويل ذاك؟

– نعم، أعني جويل ذاك، جويل مات، لكننا أحياء، وقمنا جميعًا بدفع ميكيل أنجيل لكي يفتح الباب ويرحل ولا يعود مُطلقًا.

– حسب معلوماتنا، لم يكن يحمل أي حقيبة أو أي غيار. هذا يعني أنه لم يخطط للهرب.

– ميكيل أنجيل لم يكن بحاجة للهرب. كنا نطرده دائمًا.

لم يعد بارتوميو يبدو المدير الذي أعرفه. بدلًا من الإمساك بذراعي وجعلي أُشعر بالأمان، وهو ما فعل دائمًا منذ التحقت بالمدرسة، كنت أُمسكً بذراعه وأحاول إشعاره بالأمان. بدا لي إنه سيأخذ في البكاء في أي لحظة، مثل المعلمة تراوس عندما جاءت الشرطة لأول مرة، وبدا لي يوبيس كخنزير أسود يفقد عقله ويتفصد عرقًا، وبدا لي رجل الشرطة ذا الزي الرسمي كصورة لرجل شرطة، صورة بالحجم الطبيعي مُعلقة بالدبابيس على

الحائط.

– لكن هل رأيت ميكيل أنجيل يوم الخميس ذاك حسبما يقول أبوه عن يوم اختفائه؟

– نعم. لكن يشق علي تصديق أن أبوه قد رآني.

– سبستيان، حاول الاكتفاء بالرد على أسئلة ذلك السيد.

– هل رأيته مصادفة؟ أين التقيتما؟

– كنا قد اتفقنا على اللقاء. اتصل بي ميكيل أنجيل في التليفون ليرى إن كنت راغبًا في التجول قليلًا. من حين لآخر كان ميكيل أنجيل يتصل بي لكي نتمشى. وأحيانا كنا نلتقي للتمشية.

– وأين ذهبتما؟

– سرنا في المدينة. لا أتذكر بدقة. لم ندخل أي مكان لتناول أي مشروب. – ولم أقل لهم أي شيء عن الصناديق الكرتونية أو عن الطريق الوردي، وبينما كنت أتحدث، انتبهت لوجود الساعة في معصمي، وفكرت أن ألبرت أيضا لم يسألني عن الساعة، وقبضت عليها بقوة لأنني شعرت أن ذلك الوحش يوببيس يريد أن يأخذها مني، يضعها في كيس بلاستيكي ويكتب عليه «دليل رقم 5»،، وقلت لهم: – لا يبدو لي أن ميكيل أنجيل قد اختفى.

– ولا أبواه أيضا.

– ألم يخبركم أبوه عن الرجلين؟ هل شممتم رائحة أنفاسه بينما يتحدث؟

– رجلان؟

– نعم، أبوه على علم بأننا كنا نلتقي من حين لآخر للتمشية، ولم يكن يرى أن ميكيل أنجيل كان خائفًا لأن رجلين كانا يضايقانه؟

ذات يوم كان جويل يسير نشطًا وهادئًا للغاية في أفكار ميكيل أنجيل، وقال له «لا أريد أن تصاحب هذين الشخصين، هل تريد أن يقول لك الجميع يا مخنث؟ ألا يكفيك مجيئك هنا؟ هل تريد بالفعل أن تكون مثل ألبرت آبات يا ميكيل أنجيل، بدلًا من أن تكون أنت ذاتك؟ أنت تمتلك بالفعل هذه التلقائية التي لا تتمتع بها، ولا حاجة لك لأن تكون فتى يتصرف بطريقة معينة عندما ينظر له شخص معين وبطريقة أخرى عندما لا يراه أي شخص». وفي ذلك اليوم في ذاكرة ميكيل أنجيل، قال له جويل لا، «لا أريد أن تحكي لي مرة أخرى ما تفعلون، أنا وأنت لن نفعل مُطلقًا ما تفعل مع هذين، هذا مؤسف يا ميكيل أنجيل».

– وهذا ما أخبرني أنهما يفعلان، ولماذا كان يشعر بالخوف.

– معذرة، لكنني بحاجة للهواء – لأن يدي فوق ذراع المدير بارتوميو لم تكن كافية بالنسبة له، وكان وجهه أبيض وأصفر، وشق عليه سماع الحكاية الملخصة التي رويتها، على الرغم من أنني قد اخترعت ثلاثة أو أربعة أشياء، ولم أقل لهم أي شيء عن الساعة أو أن ميكيل أنجيل أخبرني أن أحدهما كان أكثر طيبة والآخر كان أكثر شرًا.

– الاسمان اللذان أخبرتني بهما؟

– بيب وجان.

– ولقبي العائلتين؟

– وما أدراني بهذا!

– ولماذا لم تقل هذا عندما جئنا من قبل؟

– كنت خائفًا.

– خوف من ماذا؟

– أنا لا أحب الشرطة.

– اللعنة.

– بالإضافة إلى هذا كان يجب أن أكون بجوار ألبرت آبات، وهو صديقي الكبير.

– ماذا؟ صديق آخر؟

– نعم. أبوه في غيبوبة، وأمه وأخوه ماتا قبل أسابيع في حادث مروري.

– آه، في غيبوبة، أنا آسف على هذا. في المستشفى ذي التصميم الحداثي؟

– نعم. لم تجدوني في المنزل بالأمس لأنني نمت معه هناك، في الغرفة.

– لقد ماتت جدتك منذ أربعة أيام. أليس كذلك؟

– نعم، لماذا تقول هذا؟

– لا شيء. سنذهب جميعًا للسماء.

واستند بمشقة على ظهر المقعد، وبدأ في التفكير ساهمًا، كأنه يقوم بالحساب أو يقرأ العقول، وكان بارتوميو في الخارج، وفكرت «ماذا حدث لك يا يوبيس؟».

24

تتذكر كل شيء كأنه يقع الآن، في هذه اللحظة. أمك تسخن العشاء. أبوك يعد المائدة. سألاك إن كنت تريد مشاهدة نشرة الأخبار، لكنك قلت «لا، سأقرأ قليلًا»، وأبوك، عندما يسمع أنك ستقرأ، يشعر برضا أبله لا تعرف مصدره أو سببه. عدت اليوم من بار «أشبيلية»، منذ فترة تذهب بمفردك تمامًا، من حين لآخر. ”الشيخ“ لم يعد راغبًا في الذهاب، لأنه يخرج الآن مع تلك الفتاة القوطية ويتظاهر بالغضب، وينظر لك بتعبير من يجب أن يقول لك شيئًا ما، وبهذه الوقفة التي تجعل منه شيخًا عربيًا، ها! ها! ها!، ليس بسبب أي شيء، لكن خطرت لك فكرة جيدة، نعم، منذ توقف سسبستيان و“الشيخ“ عن الذهاب معك لبار «أشبيلية»، أصبحت المالكة أكثر لطفًا، تبتسم لك عندما تدخل، تضع لك طبق لوز مملح، العجائز يحيونك، أصبحت تشكل جزءًا من شلة «أشبيلية»، كما يحدث عندما تذهب إلى نادي كورنيش البحر ويقول لك الحارس «مساء الخير يا سيد جاومه». الفكرة أنك جالس على الكرسي الهزاز بكتاب في يدك، وأنت عائد من بار «أشبيلية» وهناك حالة فزع على باب المدرسة، وذهبت لتبحث عن ”الشيخ“، على الرغم من أنه ينظر لك دون مودة، فهو صديقك في نهاية الأمر، أو كان صديقك، وتسأله «ماذا حدث يا

”شيخ“؟».

- جاءت الشرطة مرة أخرى. ويبدو أنهم جاؤوا للكلام مع سبستيان. لا أعرف لماذا.

- ليستجوبونه؟ لإلقاء القبض عليه؟

- وما أدراني يا ”بسلَّة“؟ يُقال إنه معهم في مكتب المدير.

- لابد أنهم يستجوبونه استجوابًا صارمًا... من الطبيعي أن يحملوه إلى قسم.....

- أي ترهات تقول؟ هل جننت يا جاومه؟ لقد فقدت عقلك! إنه معهم في المكتب. شخص ما قال إن الأمر يتعلق بميكيل أنجيل.

وتركت نفسك تنساق خلف هذا. حشرة حقيرة. توفول لا يعرف أي شيء عن ذكائك الطبيعي، عن قدرتك على تفسير وقراءة العالم والأشياء، عن أنفك الجيدة. أنت هناك، في وسط الحشد القلق بشأن سبستيان، الموجود مع الشرطة، عدوك رقم 1، وهناك كنت أكثر عرضًا منك طولًا، كأنما لم يحدث أي شيء ليلة أمس، لأنك لست من هؤلاء الفتيان الساهين الذين يتركون آثارًا بسبب الإهمال، كما أنك لست مغرورًا مهووسًا، يسلط الضوء على جرائمه كأنه يترك لغزًا بالهيروغليفية للشرطة. بالفعل، تفكر في هذا، إن كان هناك شيء من الكفاءة في النظام القضائي، كان يجب أن يقوموا باستجوابك أنت في مكتب المدير، بينما تنتظر كاميرات التلفزيون ووسائل الإعلام المكتوبة خلف السور، ولا يتركهم

الحارس وماجدالين تراوس يدخلون، وأنت بالبرود الذي يميزك، تشرح للشرطة كل تفاصيل ضربتك الكبرى، تعميدك الذهبي في عالم الجريمة. نعم، وأنت لا تقلق مُطلقًا بشأن شرح هذا لهم، لأنك ستنتهز أي لحظة سهو لتهرب وتختفي في الطرق السرية والأماكن المهجورة التي تحيط بالطريق الوردي، وسترحل بعيدًا بينما شخص ما، هنا في المدرسة، يقول أمام الكاميرات «نعم، لا أصدق هذا، أنا أعرفه، كنا صديقين، دائمًا ما بدا لي فتى طيب»، ها! ها! ها! ها!، جاومه، أنت رائع.

لكن لم يكن هناك وقت للضحك صباح اليوم. كنت واثقًا من أن الشرطة قد جاءت لاستجواب سبستيان. كان يجب عليك أن تقول لهم إنك ستفاجئهم بملء جيوبهم بمال الآخرين، لكنك نبيل على الرغم من كل شيء، وبالطبع أنت شجاع وجدير بالتصديق، ولن تخون مُطلقا العهد الجرائمي مع شخص آخر، لن تكشف مُطلقًا عن الطبيعة الجرائمية لزميل. اذهب لتعرف لماذا يستجوبونه، تفكر في هذا الآن. لكنك لم تكن سعيدًا، لأن سبستيان هجرك، ألمك، أبعدك، واستبدلك بذلك التافه ألبرت آبات. ولم يكن هو الوحيد الذي ذهب، لكن بالإضافة إلى هذا، في مساء الأمس، جاء بينما كنت جالسًا مع راؤول، قبل قليل من إعداد جريمتك الأولى، لكي يقول لك إنه يقضي الليلة مع ألبرت آبات بينما يرعيان النبات الميت الذي تحول أبوه إليه، بينما تمضي وقتك في قتل الناس في صمت ومن دونه.

أنت لست بحاجة لطلب أي شيء منه. لكن يوجد بينكما أمر

معلق، لم تنهيا الموضوع بعد: لستما متعادلين. أنت فتحت له العالم وهو جعلك شريرًا. وعدته بحياة مليئة بالإثارة، ورد لك الجميل بركلة لكي يذهب لفعل الترهات في مستشفى مع ذلك الأبله ألبرت آبات. أنت....

بينما كنت تفكر في كل هذا، رأيت كيف يخرج ألبرت آبات من الطرقة بينما يجري كالبائس ويبكي، أو تقريبًا كان يبكي، وبوثا والآخرون يتبعونه جريًا أيضًا، وبعد ذلك تخرج ماجدالينا ترواس، وتشير له لكي يركب معها السيارة، ويركبان ويذهبان، وعندما رأيت كل هذا أدركت كل ما حدث بوضوح وأن هذه هي فرصتك. أنت ذكي ووحشي يا جاومه. من المؤسف ألا توجد موسيقى تصويرية في العالم لكي تصاحب الأحداث ويقع كل شيء بشكل رائع.

بعد ذلك خرج سبستيان. كان يبدو دائخًا، مدَّ له رجل بدين يدَه دون رغبة حقيقة، بعد ذلك نفض سبستيان فخد بنطلونه، بينما ينظر لوجهه، كبرياء سبستيان يخلب لبك، يجب أن تعترف بهذا، وبعد ذلك رأيته ينظر من جانب لآخر بحثًا عن صديقه، أو عن بوثا والآخرين، لكنهم لم يكونوا موجودين، وتوقفت عيناه عليك، وكنت تنظر له بثبات، وأنت هادئ، كما يحدث عندما تدخل النادي وتعبر الممر الذي يقود إلى الكافيتريا، بتلك الأطر التي تحمل عُقدًا بحرية وصور لشواطئ كانت عذراء قبل أربعين عامًا، وأخذت تسير نحوه ببطء.

- سبستيان. يقولون إن الشرطة قد جاءت...

- أين ألبرت آبات وبوثا والآخرين؟

- أنا آسف يا سبستيان. لقد جاءت مكالمة قبل قليل بأن أبا البرت آبات قد مات. وذهب قبل قليل إلى المستشفى مع ماجدالينا تراوس.

ونظر لك سبستيان مليًا، وأراح كتفيه كأنه مرهق للغاية من الاحتفاظ بهما مرفوعين خلال وقت طويل، بل وبدا خلال لحظة أنه سيقترب ليعانقك، وأنه سيقول لك «لقد انتهى كل شيء الآن، لم يعد هناك داع لأن أقف بجوار ألبرت آبات، الآن يمكنني الذهاب معك يا جاومه».

لكنه لم يقل هذا، وإنما قال:

- يجب أن أذهب للمستشفى على الفور.

- أريد الكلام معك يا سبستيان. - قلت له بهدوء، دون أن تهتم بأنه قد يعتقد أنك تزحف مثل دودة القز دون أن تنسج أي حرير.

- اتركني في حالي. يجب أن أذهب.

وانتابك شعور بتسمم دمك، ورأيت كيف يبتعد، وقلت لنفسك «فكر يا جاومه»، وفكرت بسرعة، لأنك تمتلك قدرة على الارتجال، ولديك موهبة البقاء على قيد الحياة. قلت له:

- انتظر يا سبستيان. سأحملك بالموتوسيكل! - واستدار سبستيان ونظر لك كأنه يسألك منذ متى تمتلك موتوسيكل؟

واقتربت منه شيئًا فشيئًا، ومع كل خطوة كنت تكرر لنفسك أنه سيحبك للأبد، حتى إن قتلته، وقلت له إنك تمتلكه منذ وقت قريب، وإن أباك قد أهداك إياه ليرفع من روحك المعنوية، وإنك لم تكن بخير مؤخرًا، لكن هذا قد انتهى، في هذه الليلة. وبسرعة قلت له إنك يمكن أن تتفهم أنه يحب ألبرت آبات، وبدا أن سبستيان مرهق للغاية، وبدا أنه يرغب في التوقف لبرهة للتحدث، وقلت له إن هذا تصرف جيد، وسألك عن مكان الموتوسيكل، وقلت له إنك تركته في الطريق الوردي، لأنك لا تريد أن يراه زملاء المدرسة ويتحدثون عنك، وإنك لا تريد أن تحمل أي شخص في لفة حتى إن كان هذا حتى مصنع الحلويات.

وقلت له أيضًا إنك تشعر بأسف شديد بسبب الطريقة التي تطورت بها الأمور، وإنك كنت تريد أن يسير كل شيء بطريقة مختلفة. وفي أثناء ذلك كنتما قد بدأتما تتحركان، وكنت تشعر برعشة خاصة، كنت تشعر ببرودة في ساقيك، ولسانك يفرز اللعاب دون توقف، وكنت تحرك أصابع قدميك، وكنت متوترًا ومنفعلًا للغاية، أكثر من الطفل الذي يهبط السلم ليرى هدايا أعياد الميلاد، وأكثر انفعالًا منك عندما كنت تنتظر سبستيان في أول يوم ورأيته يصل عبر الطريق الوردي، وكيف يضع وجهه للجدار ويتركك تنزل بنطلونه. وكنتما قد اقتربتما من المبنى المهجور، وكنت تقول له إنك على الرغم من الحزن، كنت سعيدًا لأن لديك أمورًا جيدة لتحكيها له، وإنك تود لقاءه ذات يوم لتخبره بها، وليختر هو نفسه هذا اليوم، وسألك من هو الطفل الذي

كنت تجلس معه على الدكة ليلة أمس، وسألته إن كان يريد أن يعرف هذا بالفعل، وسألك أين الموتوسيكل، وقال إنه يجب أن يذهب للمستشفى، وبالقرب من فوهة البئر كانت هناك قطعة من الخشب، لوح من بالة خشبية، لابد أنه منزوع منذ فترة، وبسرعة وبخفة، وبدقة شديدة، يا جاومه، أمسكت به من الأرض وضربته به على رأسه. شعرت بالضربة في يديك، وترنح سبستيان ثم سقط على الأرض. لم تفقد أعصابك. هذه المواقف الرائعة تشكل جزءًا من موهبتك المسرحية...

أثناء الوقت الذي انتظرته أمام جسد سبستيان المتمدد، بينما تدخن السجائر وتستنشق الهواء، بدأت تتذكر. إن كنت تمتلك جيتارًا وقبعة كاوبوي كنت ستؤلف أغنية.

« ايه.

– ميكيل أنجيل... اسمك ميكيل أنجيل، أليس كذلك؟

– نعم، وأنت؟

– جاومه. هل تفضل العلوم أم الأدبي؟

– لا أعرف. وأنت؟

– آوف. أنا أيضا لا أعرف. أنا قادر على كل شيء، على أي شيء. ماذا تفعل؟

– لا شيء، لقد خرجت للتبول. وأنت؟

– أنا أيضًا.

– وأين تتبول؟ في المبولة أم في المرحاض؟

– في المبولة؟

– أنا في المرحاض، بخلاف هذا لا يخرج البول.

– هل تحب التبول بمفردك؟

– لا أعرف. وأنت؟

– أنا أحب التبول بمفردي. لكن يمكنك أن تنتظر لي، إن أردت.»

كنت تنتظر له طوال الوقت حتى استيقظ. كان يبدو ميتًا، تقريبا طوال الوقت الذي استغرق نومه، لم يكن ينبض، بل وكانت هناك لحظة ظننت أنك قد قضيت عليه. لكنه سعل بعد ذلك، وتحرك، كنت تراه جريحًا، جالسًا على الأرض، لكنك أيضًا كنت تراه يسير في شارع أسفلتي، يدخن بمفرده بجوار أزهار الدفلي، يروح ويجيء بمفرده في الطريق الوردي، هو، بعينيه الحيتين، يقول لك «يمكنك أن تذهب لتموت في الطريق الوردي عندما تريد،» ويحرك ساقيه لكي يذهب ويتركك هناك بمفردك. لكنه الآن مربوط إلى خلاط الخرسانة القديم الصدئ بجوار البئر، مربوط بحبل قمت أنت يا جاومه، أيها الذكي المخطط، بإحضاره من أجل هذه اللحظة، ورأيت أن سبستيان لا يستطيع السير بإرادته، ورأيت كيف أنك كنت كالعادة من ينظم ويرتب ويصدر الأوامر في عالمكما. وفكرت أنك يمكن أن تفعل به كل ما تريد بينما

تجلس ولا يمكنه أن يفعل أي شيء، ولا يمكنه أن يقول أي شيء. إن كنت تريد، يمكنك أن تجعله لا يقول أو يفعل أي شيء بعد ذلك. أنت تعرف طرق الفرار. لن يقول أي شخص أي شيء عنك مُطلقًا. سيكون هناك شخص ما دائمًا يقول لنفسه «لا، جاومه لا، جاومه فتى طيب، ربما كان أفضل شخص عرفته».

ينظر لك سبستيان الجالس على الأرض، بيديه مربوطتين خلف ظهره. ينظر لك مليًا لدرجة أنك تشعر بغواية الانهيار في لحظة ما، وستطلب منه ألا ينظر لك، لكنك تتذكر فجأة أنك من يتحكم في الموقف، وبدءًا من تلك اللحظة ستكون أنت من يقرر لمن ينظر ولمن لا ينظر سبستيان. ولديك أفكار على شاكلة «قد تكون الليلة طويلة للغاية»، أو «قد تكون الليلة أبدية»، أو «الحياة للأبد مع مخلوقات الليل».

فجأة يأخذ سبستيان في سبك، يقول لك إنك حشرة مقززة ومريض، وأنت، ببطء كأنك إنسان آلي، تضع يدك في جيبك وتُخرج كرة مطاطية بحجم كرة الجولف، تضعها في فمه وتلجمه برباط أعددته مسبقًا. تنظر له وتفكر: انظر له، سبستيان الشموخ المباشر، والأحمق، الآن لا يمكنه الدفاع عن نفسه.

يا لك من أحمق، لا يمكنك الدفاع عن نفسك. لكن سبستيان يتحدث بعينيه، يتحرك، يصارع للتخلص من الحبال، في لحظة ما تفكر أن سبستيان من هؤلاء الأولاد الذين يتغلبون على كل الصعاب، وربما يكون هو بطل هذه الحكاية، وتكون أنت الميت،

وأنه سيفك الحبال وسيمسك بعنقك وبعد ذلك سيجري في الطريق الوردي بيديه مخضبتين بالدماء. تفكر في هذا لكنها مجرد فكرة. فكرة مثل رعد سريع. إنه بلا حول ولا قوة أمامك: لا يمكنه التحرك، لم يتغلب على دهشته، لا يعرف أين يوجد. نعم يا جاومه، إنه يبدو الآن كما تريده تمامًا.

– من المؤسف أنك فعلت هذا يا سبستيان. لابد أنك كنت تعتقد أن من السهل أن تلفظني، أن تراني ذات يوم وتقول لي إنك لا تريد أن تصاحبني بعد ذلك، تواصل حياتك كما تريد وتواصل زرع الألم. لم تعد راغبًا في أن تعطيني فتات وقتك. كنت تريد إبعادي، تركي بمفردي، تماما كما كنتَ عندما التقيت بك. لم تعد راغبًا في الاستماع لي، وانظر كيف سارت الأمور، هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنك فعله الآن: الاستماع لي. لن تتحدث بعد ذلك، لن تصفني بعد ذلك بهذه الصفة أو الأخرى، أو تقول إن شعري يشبه أوراق نبات البسلَّة، أو أنني وضعت عليه مثبت شعر، لن تقول أي شيء يا سبستيان. أنا حزين للغاية يا سبستيان لأنني لم أكن راغبًا في رؤيتك على هذا الحال مُطلقًا، جالسًا على الأرض مثل السجين، مربوط مثل الحيوان، فمك مغطى مثل العدو. هذا هو النقيض التام لكل ما فكرت من أجلك. كان كل شيء سيصبح أسهل، وكما يجب أن يكون، إن لم تكن قد توقفت عن المجيء، إن لم تكن قد تظاهرت بأن شيئًا لم يحدث. كنت تعتقد أن مصاحبتك لألبرت آبات ستمحو كل حياتك. لأنك كما أنت يا سبستيان، ولا يمكنك محو الحياة كأنك رسمتها بقلم رصاص. هل يعرف ألبرت

آبات من تكون؟ هل قلت له أي شيء عن خطتنا العظيمة؟ عن مشروعاتنا؟ هل حدثته عن حياتنا المشتركة دون أن نأخذ أي شيء أو أي شيء في الاعتبار بينما يعيش الجميع بينما يأخذوننا في الاعتبار؟

لا يا سبستيان، لا تنظر لي هكذا. أنا أعرف حيلك، أعرف نظراتك. تنظر لي كأنني أهذي، كأنني أخترع كل هذا، كأن...

وتتوقف عن الكلام. يوجد شيء ما يشبه العتمة يحيط بكما شيئًا فشيئًا. شيء يميل للعتمة أكثر من النور. إنها عتمة ملموسة تقريبًا، حية، يمكنك الكلام معها. عتمة لكنها في الحقيقة حزن: حزن مثل رداء تضعه لكي لا تخرج للتمشية، لكي لا تذهب لأي مكان، رداء تضعه لكي تنظر لنفسك في المرآة فقط وتكتشف شخصًا ما لم يخرج بعد من خلف الجدار.

– لا يهم. أنا أعرف أنك تعتقد أنني لم أخرج من البيضة بعد، لكنني سأبرهن لك على أن هذا غير حقيقي. هل تريد أن تعرف من هو الفتى الذي كان جالسًا معي بالأمس؟ هل تريد أن تعرف؟ إنه صديقي الجديد، راؤول، جاري، الذي أصبح الآن صديقي الجديد الكبير. ربما يجب عليك أن تفكر أنني يمكن أن أكون أنا ذاتي من دونك. لكنك أخطأت الجانب يا سبستيان. ماذا؟ هل تضع نظرة كأنك لا تعرف عما أتحدث؟ أم أنك لا تريد الاستماع لي؟ هل تفضل الذهاب مع ألبرت آبات لتواسيه بعدما مات أبوه؟

هل تفكر أن ألبرت آبات يبكي الآن أمام حلم الأب الميت وفي أحد أركان دموعه لديه الوقت ليتساءل كيف لم تصل بعد؟ مساكين... نعم يا سبستيان، مساكين، أنا وأنت وآل كلاتر. هذا الجار، ذلك الفتى راؤول، كان خداعه سهلا للغاية. ها! ها! ها!، أنا رائع.

تستمع لنفسك. تتحدث مثل ممثل في فيلم يعرض في التلفزيون في العصر. اليوم تغير الموقف. شرح الأشياء لا يتساوى مع فعل الأشياء. تشم رائحة حساء سمك، الذي يسبب لك القيء. تجلس بكتاب على فخدك، لم يكن يتركك تحدثه. لكنك، يومًا بعد يوم، أخذت ترسم الخطة الكاملة. كان راؤول فتى مثل أي فتى، فتى حياته مريرة مثل أي فتى، طفل رائحة يديه كريهة أيضًا، وفاض به الكيل من أبويه ومن المدرسة ومن الحياة حيث يعيش. أنت شخص تجاوز كل هذا. أنت وحدك اقتربت، نظرت له وقلت له إنك تتفهم ما يحدث له، لكن هذه أمور تروح وتجيء، وتدعوه للتدخين، وتقول له إنه أصبح كبيرًا، وتأخذان في الكلام، أحيانًا تكونا جالسين على الدكة بالقرب من البيت، أحيانا تذهبان للتمشية في الأراضي الخلاء خلف المستشفى، ذات يوم ذهبتما للطريق الوردي وقال لك إنه لا يريد الذهاب هناك، إنه يشعر بالخوف، وتألقت خلال برهة. نظرت إليه وقلت له: «ماذا حدث يا راؤول؟ ألا تحب الخوف؟ هل تعرف معنى حياة الخوف؟ الشعور بالخوف؟»، ونظر لك باندهاش وقال إنه يجب أن يذهب واتجهتما للبيت، وعندما كنت جالسا أثناء العشاء، تخيلته في غرفته يستمني مرة بعد الأخرى.

– وفعلت هذا يا سبستيان. أقسم لك أنني فعلت هذا. كانت معي مدية أبي....

بالطبع، سألته عن بيته، إن كانت لديهم أشياء ثمينة، إن كان قد فكَّر في سرقة بيته، قلت إن الآباء يمتلكون دائمًا صندوقًا حيث يحتفظان بالمال، ومن السهل للغاية فتح الصندوق عندما تذهب أمه للشراء وأخذ ورقة مالية أو اثنتين، لن يعرف أبواه مُطلقًا، توجد أوراق مالية دائمًا في محافظ الآباء، لكنهم لا يعدونها. وإن وجدوا أنها قليلة، يضعون المزيد...

– هل تعتقد أنني كنت أريد فعل هذا؟ كانت العتمة شديدة. بعد ذلك الصعود للدور العلوي: كانت هناك غرفة آل كلاتر. طلبت منهم بتهذب أن ينزلوا معي ويرافقونني للجراج. لكنني تركته في الغرفة. نعم، ربطته برقة. طوال الوقت كنت أفكر أنك كان يجب أن تكون معي هناك، تراقب من النافذة، تتوخى ألا تستيقظ الطفلة.

لكن ماذا فعلت لكي تلتقي براؤول؟ من الصعب تنفيذ الخطط العظيمة، يجب أخذ الكثير من الأشياء في الحسبان... خاصة إذا كانت الخطة صادرة عن عقل ذكي وفريد مثلك، خطة بلا شائبة، مُعقمة، لا رائحة، لا راد لها... كنت جالسًا على المقعد الهزاز، بينما تسمع ضجيج الملاعق، أمامك سبستيان الذي يشكو من ألم عضلاته بسبب الربط خلال وقت طويل إلى خلاط الأسمنت، ولديك راؤول الذي ينهض في منتصف الليل ويشير لك من النافذة

لأنه يريد أن يبدأ معك حياة جرائمية. راؤول الصغير سيكون أقل مجرمي البلاد عمرًا، سيكبر معك، وستعلمه كل ما تعرف، ويجب أن يقوم بالضربة، أن يحمل بعض المؤن ويرحل بجيوبه ممتلئة، لأن امتلاك المال جيد للغاية لربما كانت هناك ضرورة لسد فم شخص ما، أو شراء مستندات هوية مزورة، وضع السيارة باسم شخص آخر، إلخ.

سبستيان يريد فك قيوده، وجهه أحمر وترى أنه يبكي، وتشفق عليه قليلًا، وتستند على ركبتيك لتُقبِّل دموعه وتشربها، وأيضا تفكر أنك قد تعرض نفسك للموت من أجل دمعة من دموعه، إن كانت بسبب الحب.

- واستيقظت الطفلة، كان السيد كلاتر في الجراج، بذارعيه خلف ظهره، ومعصماه مربوطان إلى عقبيه، بمنديل على فمه، المنديل يحمل الأحرف الأولى من اسم العائلة. السيدة كلاتر ترقد على الفراش: لم تضطر لربطها، كان يجب أن تبدأ بشخص ما. تخيل إن لم أفعل هذا يا راؤول. تخيل أنني أتركها تتصل بالشرطة وتنهار خطتنا. يجب أن نحمي أنفسنا يا راؤول. أبواي لن يقولا أي شيء. يمكن أن يخبراهما أنني فعلت أي شيء، لأن أبي، حتى وإن شك لبرهة، سيضحك وسيربت على شعري ويعطيني مالًا لأشتري كتابًا أو قميصًا.

ولبرهة تشعر بالرغبة في فك الرباط عن فم سبستيان لكي يقول لك «جاومه، لماذا تفعل هذا؟»، أو لكي يقول لك «جاومه،

لماذا فعلت هذا دوني؟»، أو لكي يبكي، لكنك تخشى أن يأخذ في الصراخ، أن يقول لك كل الأشياء التي لا ترغب في سماعها، وتعود إلى عتمة عيني راؤول، أمام باب غرفة أبويه، وأنت تبحث عن الخزانة، الموجودة خلف لوحة، وداخل الخزانة يوجد مال ومستندات وحلى، ولا يوجد أي صوت في ذلك البيت.

– وفعلت هذا يا سبستيان. لقد أخبرتك أنني سأفعل هذا. راؤول ينتظرني. طلبت منه أن يحبس نفسه في غرفته ويغلق الباب.

لا. أنت لا تُصدق عندما تقول هذا. بل إن سبستيان المربوط الجالس على الأرض، المقضي أمره، تحت قدميك، سيقول إنك ورقة بسلَّة عاهرة، إنه يتحدث هكذا.

– كان هذا هو مصيري يا سبستيان: أن أنفذ هذا. سأذهب الآن. راؤول ينتظرني. إنه مختبئ في مكان معتم، رطب، آمن. لقد أعددنا كل شيء. أنا آسف لتركك، لكنك اخترت تركي. يجب أن أقوم بمهمة قبل أن أرحل.

وينظر لك سبستيان بخوف، بذات الوجه الخائف الذي نظرت لك به أخت راؤول عندما أمسكت بفكها، تحديدا عندما أريتها المدية النظيفة، التي تم تلميعها، براقة، بمقبضها الرمادي، المدية التي اشتراها أبوك في ذلك المتجر حيث كانت العجوز تتحدث بصوت عال كالصراخ وكان الجميع يقولون إنها مخبولة إلى حد ما ولا يجب أن تمضي يومها محاطة بنصال حادة وإنها ذهبت لتعيش في دار إقامة لأن أبناء أخوتها حملوها إلى هناك، وكانت الصرخات

مسموعة في أخر الشارع، المدية التي كان أبوك يحتفظ بها في الدرج الأخير في الدولاب، تحديدا في اللحظة التي ينعكس فيها وجهك على نصل المدية وترى أن شخصًا ما كان يمتلك السيطرة لكنه سيبكي في هذه اللحظة. تحديدا عندما تفتح فمك لكي تقول له أنك ستذهب الآن لقتل ألبرت آبات في المستشفى، وبعد ذلك ستعود لقتله، تنادي أمك «يا جاومه، العشاء جاهز! اغسل يديك!»، وتسمع ضجيج موتوسيكل تم تعديل أنبوب عادمه حيث يمر في الشارع مثل البرق.

25

وفي ذلك اليوم كان ميكيل أنجيل يهبط سلالم بيته. وبما أن موعد لقاءه مع سبستيان سيحين بعد ساعتين، قرر القيام بجولة. كان ميكيل أنجيل الفتى التقليدي الوحيد في الحي: كان يتخفف من كل شيء بالتمشية. يسير في الشوارع، ينظر للمحلات، لواجهات البيوت، لشقوق الجدران، للمباني الجديدة وأعمال البناء الجارية. مثل شخص يدخل متحفًا وينتقل بين القاعات، خاصة إذا كان الجو حارًا بسبب وجود تكييف هواء في المتحف، وأثناء السير والنظر يقوم بترتيب العالم ويتصل بالعالم. يسير دون وجهة محددة، مختنقًا، الرطوبة تبلل ملابسه، حمام الشمس يحرق حاجبيه في الصيف، وفي أمسية الشتاء يتكفل بهذا المطر والرياح الجليدية والضباب.

كان ذلك اليوم بلون منتصف شهر مايو. يطول اليوم، يمتد لأطول مدى. كان ميكيل أنجيل مبتهجًا لأنه سيلتقي بصديقه سبستيان، لكنه كان متوترًا لأن صديقه سبستيان يمتلك صديقًا فقد عائلته كلها حرفيًا في عطلة نهاية أسبوع. كان قد قرر لقاء سبستيان في ذلك اليوم ليمنحه القوة والدعم وليأخذ منه القوة والدعم أيضًا. في اليوم التالي كان يجب أن يلتقي بالشخصين اللذين لا يعدان صديقاه: بيب وجان، تاجرا مخدرات بجسدين

مصقولين في قاعة الجمنازيوم، وكانا سعيدين لأنهما خدعا فتى صغير. كل منا يمتلك الحق في أن يكون محبوبًا. كل شخص يمتلك الحق في أن ينطق صوت محبوبه بصوت عال. كل شخص يمتلك الحق، أيضًا، في يجعل الآخرين يعتقدون أنهم خدعوه ليخلق حالة من المتعة.

في ذلك اليوم، بينما كان ميكيل أنجيل يدخل المذبح البلدي القديم، الذي أصبح الآن مركزًا يشتمل على سوبر ماركت ومحلات ومكتبة وسينما ومقاهي وحمامات، كان قد قام ببروفة لكل شيء، كل شيء مرتب حسب فكرته للترتيب الجيد. سيلتقي بهما في اليوم التالي، سيتحدثون، إن كانوا يريدون تناول فنجان قهوة في أحد المقاهي خارج الحي، وسيقول لهما إنهم يلتقون منذ فترة، لكنه لا يريد الالتقاء بهما بعد ذلك، إنه يشكرهما كثيرًا، ولن يخبر أي شخص، ويمكننا تبادل التحية إن التقينا في الشارع، اتفقنا؟ وكل شيء سيكون عاديًا، بين أشخاص كبار مهذبين، كما يجب أن يكون العالم، كما قالت له ذات يوم ماريسا، المشرفة الاجتماعية في المدرسة، إنه سينظم العالم الخارجي وكل ما يحدث له عندما يكبر ويعمل ويدخل ويخرج دون التفكير أن هناك من يقبل أو يرفض هذا.

كان ميكيل أنجيل يسير في الشارع منذ فترة، وفي لحظة ما بدا له غريبًا أنه يسير في الحي منذ ساعة ولم يلتق بأي شخص معروف ولم يحيه أي شخص: شعر أنه لم يعد ينتمي لعالم هذا الحي. أحيانا كان يمشي، حتى وإن كان هذا في عز النهار، ويبدو

له أن كل ما يرى كان إيهامًا غريبًا يطفو وسط الليل. كانت هذه الفكرة تتملكه منذ وصل ذات يوم للمدرسة، كالعادة، بأمل أن يمكنه الجلوس أو الوقوف بجوار جويل، وأن يتحدثا كما يتحدث الأصدقاء، وأن يتسليا، وأن يهربا من إحدى الحصص ويذهبا للسير في الأراضي الخلاء الموجودة خلف محطة البنزين، وأدرك، لأن شخصًا ما كان يقول هذا همسًا، أن موتوسيكل قد صدم جويل في الشارع وأنه مات، وفكَّر ميكيل أنجيل أن الموت هو أكثر شيء طفولي في العالم، عندما لا يلوثه الذنب أو الأخلاق أو الجريمة أو الألم. وتذكر أنه كان ينام في فراشه عندما كان صغيرًا، ويلعب أنه ميت في الفراش، ولم يكن ينهض، يظل ساكنًا، بيديه على صدره دون مسبحة، وروحه تطفو فوق جسده، وتذهب إلى الدولاب، وترى كيف تدخل أمه وتجده ميتًا، وتبكي وتركع على الأرض، وتأتي العمات والخالات والجارات ويشترون تابوتًا أبيض، وينظر ميكيل أنجيل لكل شيء من موقعه داخل الدولاب، ولم يكن أبوه يدخل الغرفة ليراه للحظة واحدة.

اقترب ميكيل أنجيل من المدرسة، ودون أن يعرف كيف، فكَّر في شرائح الخبز بالفواه جراس الموجودة داخل دولابه، وأنه لن يكون موجودًا لتفريغه. وفكَّر أيضًا فيما سيحدث إن لم يذهب للمدرسة مرة أخرى، على الأرجح سيكون هناك فتيان يسألون عندما يعرفون أنه لم يعد موجودًا «من؟ من هو الذي اختفى؟ لا أعرفه». واقتربت الساعة من السابعة، وعاد من نفس الطريق متجهًا إلى ميدان «بورتشوس». نظر إلى شبابيك بيته عندما وصل:

كانت مغلقة. بار «بورتشوس»: مفتوح، لكن المقاعد شاغرة. لم يكن هناك أي شخص في الميدان، كان خاويًا مثل حديقة عندما تغيب الشمس ويمكن سماع غمغمة الماء البارد. كان الشارع خاويًا مثل حلم يطفو وسط الليل. وبعد ذلك سبستيان الذي خرج من باب بيته، وابتهج ميكيل أنجيل كثيرًا، لكن ليس تلك البهجة التي يتم التعبير عنها برفع الذراع والتحية ورسم الابتسامة والشعور بالرغبة في الاندفاع لشمع العنق وتقبيل القفا. وعلى الرغم من هذا، كان ميكيل أنجيل قد خطط ليطلب من صديقه الذهاب للطريق الوردي.

26

كنت متجهًا للطريق الوردي في ذلك اليوم، على مهل، كانت ساقاك تقولان لك «اجري»، لكنك لم تكن راغبًا في الركض لأنك لم تكن راغبًا في أن يرى سبستيان أنك تجري لتتحدث معه. رأيته، كان يدخن بالقرب من خلاط الخرسانة، هناك حيث سترتبطه وبعد ذلك لم تدرك أي شيء... دائمًا ما شعرت بالخوف الشديد من الصمت، وكان الصمت في كل مكان... أنت، على الأخص، لم تكن تريد أن يذهب سبستيان مع ألبرت آبات، لم تكن قادرًا على تَحمُل هذا، ورأيت أنه يتحدث مع ميكيل أنجيل. انتظرت بجوار بضعة أعشاب. كان حلقك جافًا من كثرة التفكير في أن ساعة لقاءكما قد حانت وهو ما زال يتحدث مع الآخر كأنما لا يهمه أنك ستصل. بعد ذلك سيرحل ميكيل أنجيل. لم يتحرك سبستيان. ظل منتظرًا. بعد ذلك اقتربت منه يا جاومه.

- سبستيان...

- كيف حالك يا "بسلَّة"؟

- من فضلك يا سبستيان...

- ماذا تريد يا جاومه؟

وأوشكت على الانقضاض على عنقه، ليس لكي تقتله وإنما

لكي تعانقه وتقبله وتشكره لأنه لم يخاطبك بلقب "بسلَّة" مرة أخرى. كان سبستيان هو حلمك الخاص وحضوره طاغ أمامك. كان سبستيان هو كل شيء لم تكنه أنت يا جاومه.

– أريد سؤالك لماذا لا ترد على مكالماتي، وأيضًا أريد سؤالك لماذا تسير مع ألبرت آبات، وماذا تفعل مع أبوي ألبرت آبات وسؤالك أيضا لماذا تهملني ولماذا تتصرف كأن شيئًا لم يكن بيننا.

– لم يكن هناك أي شيء بيننا. ولا أنتوي الكلام معك أكثر من هذا يا "بسلَّة".

ومرة أخرى تشعر بوخزة في قلبك، وتشعر أنك شربت بمفردك براد قهوة يحتوي على اثني عشر فنجانًا.

– أنا وأنت لدينا....

– لا أنت ولا أنا يا جاومه. لا تتصل بي ولا ...

وقال لك كل شيء، طلب منك أن تقول له أي شيء، أن تتركه يرحل، وإن سعيت خلفه يمكنك أن تموت بينما تحاول. وأضاف:

– وإن لم يكن لدي ألبرت آبات، لصاحبت بوثا قبل مصاحبتك، أو "الشيخ" أو ميكيل أنجيل. سأرحل بعيدًا قبل أن أصاحبك يا "بسلَّة".

– أنا أعرف أنك تمشي مع ميكيل أنجيل. بل إن ميكيل أنجيل أفضل بالنسبة لك مني. كيف فعلت بي هذا؟ كيف فعلت هذا بي؟

– لا يجب أن تفعل أي شيء يا جاومه. الوداع يا جاومه. أنت لم تعد تعني أي شيء بالنسبة لي. هناك من ينتظرني.

وتركك وحيدًا. كنت ترى ردفي سبستيان المتمايلين، وركبتيه المتقافزتين وذراعيه اللذين ينتقلان من جانب لآخر، رأيت سبستيان الذي يبتعد جاريًا ولا يلتفت ليحيك: كان سبستيان يخرج منك ويتبع رياح أخرى ويبحث عن البهجة. كنت وحدك داخل الغروب. لم يكن هناك أي شيء ينبض، لم تكن هناك ظلال أو حركة في أي مكان. مرت أسابيع يا جاومه، الآن تتذكر صمتًا آخر. الآن تتذكر الأشياء بدلًا من أن تعيشها. لم تكن تعرف بما يجب أن تشعر. لم تكن تعرف إن كنت تشعر بألم أكبر، بغضب أكبر، بحيرة أكبر. على الرغم من هذا، كانت هناك لحظة حيث خطرت لك فكرة عن ذاتك، وأنك لم تعش ما يكفي لكي تشعر بكل هذا الحنين: لم تكن تمتلك الكثير من الماضي لتفتقد كل هذا المستقبل.

ربما كان عليك أن تركع على ركبتيك في تلك اللحظة يا جاومه، وكان يجب عليك أن تبكي بكل قواك، وكان يجب عليك أن تعود للبيت، تُقبِّل أباك وأمك، تتناول العشاء، تنام مُبكرًا، وتبدأ يومًا جديدًا في اليوم التالي. لكن هذا لم يحدث. وسط هذه الحالة من النبض الوحشي، وسط الغروب الذي كان يحل فوق رأسك، البرد الخفيف بجوار الطوب الأسمنتي المتراكم بالقرب من خلاط

الخرسانة، لاحظت أنك لم تكن بمفردك، أن هناك من يتنفس بتوتر بالقرب منك، أن هناك شخصًا ما لم يذهب هناك عرضًا، باحثًا عما لا ترغب في المنح في تلك اللحظة، أو أنه كان يختبئ خلف الجدار وسمع أو وصل إلى أسماعه حواركما. هذا التنفس الحاد، العميق، القصير، المتوتر، كنت تعرفه. دون ضجيج، حاولت ألا تدوس على أي حجر كبير أو أي فرع جاف، وذهبت خلف الجدار، وجلست مقرفصًا، هادئًا مثل الأعشاب البرية، كان ميكيل أنجيل ينظر لك بعينين متسعتين للغاية تحتلان وجهه بالكامل.

أنت ذكي وعادل وطيب، وعلى الرغم من هذا لم تكن تنتظر هذا الأحمق ميكيل أنجيل خلف الجدار. لم تعد للتفكير مرة أخرى. كنت قلقًا بشأن الحزن الذي سببه لك سبستيان ولم تتذكر الغضب الذي انتابك عندما رأيت ذلك الفتى هناك، في اللحظة التي كان يجب أن تلتقيا فيها. وتذكرت كلمات "الشيخ"، الذي كان يقول «لا أندهش من ذهابهم للتمشية في الأراضي الخلاء وراء السجن أو في الطريق الوردي».

- جاومه.

- ميكيل أنجيل؟ ماذا تفعل؟ هل تتبول جالسًا؟

- لا. لم أكن أريد السماع. كنت راحلًا. أنا ذاهب. إلى اللقاء.

- لا. أنت لن تذهب إلي مكان.

- أمي تنتظرني على العشاء. إن وصلت البيت متأخرًا

سيضربونني.

– لكن لا يهمك أن تتأخر عندما تأتي هنا مع سبستيان، أليس كذلك؟ كم مرة في الأسبوع تأتيان هنا؟ مرتان في الأسبوع؟ أكثر؟

– أنا لا آتي مع سبستيان. إنه مشغول هذه الأيام مع ألبرت آبات. لا أعرف أن كنت قد علمت أن أبويه...

– لا يهمني أبويه في أي شيء. ما علاقتي بأبويه؟ وأنت يا ميكيل أنجيل، ماذا عن أبويك؟ ما علاقتكم الآن؟ شلة أصدقاء حميمين؟

لقد فقدت سيطرتك على الموقف يا جاومه. كان ميكيل أنجيل قد نهض ويبحث عن طريقة ليجري هاربًا. كنت تقترب باضطراد، كان أنفاكما متلامسين تقريبًا، كان يمكنك شم أنفاسه التي تفوح برائحة الخبز العفن. كان ميكيل أنجيل خائفًا أمامك وينظر لك بهاتين العينين الخائفتين كأنه لا يجد مخرجًا في أي مكان. كان الجدار إلى جانب، وفي الجانب الآخر الأراضي الخلاء، الحقول. وفي الخلف توجد فوهة البئر لصق ظهره. وميكيل أنجيل، الذي كان كالحبيس بين أربعة جدران، خائف أمامك، كأنك الصياد وهو الذئب.

– هل كنت تسمعنا يا ميكيل أنجيل؟ ماذا كنت تفعل هنا مع سبستيان؟

– أنت لم ترغب بمعاملتي كفتى مُطلقًا. دائمًا ما عاملتني ككلب.

كلب تحمله للتمشية، تربت على ظهره مرتين أو ثلاث وبعد ذلك تشم يدك لترى إن كانت رائحة الكلب قد انتقلت لها.

- لماذا تخاف مني يا ميكيل أنجيل؟ لماذا تبدو كطفلة؟

- انزع قميصي يا «بسلَّة».

- أنت ترتدي هذه الملابس القديمة دائمًا. تقترب من الشلل والشواذ. تقف دائمًا في أخر ركن وتنظر عن بعد كأن شخصًا ما سيأتي وسيعطيك شيئًا تنتظره منذ زمن.

- أنت لا تعرف من أكون يا «بسلَّة».

- أنا أعرف يا ميكيل أنجيل. أنت أقذر شيء، أقذر شيء أمسك به سبستيان من أحد الأركان ونظر له بشفقة لأنه ولد طيب.

- أنت مثلي يا «بسلَّة». أنت «بسلَّة». أنت أيضًا تؤذي الناس. أنت كل ما لا تظن بنفسك. أنت تؤذي سبستيان. لقد قال لك إنه لا يريد أي شيء معك. وقال لي، في مرات كثيرة، إنك لا شيء بالنسبة له. أنت عفن يا «بسلَّة»، أنت...

أمسكت بعنقه. أنت جاومه. أنت شخص لا يفهمه الآخرون، أنت أيضا تبحث عن الحب وتريد إعطاءه. أنت تجلس بمفردك لأن الحياة جعلتك وحيدًا. أنت تشعر بحزن من يجب عليه أن يكون ذكيًا دائمًا، من يجب عليه أن يتخذ قرارات تؤثر على الآخرين. أنت كنت هناك، مع ميكيل أنجيل الذي تمسك بعنقه، بينما تقول لنفسك إن صديقك الوحيد، صديقك الوحيد والكبير، قال لك إنه

لا يريد أن يربطه أي شيء بك. ميكيل أنجيل لم يكن عدوك. قال لك «لا يا جاومه». كنت قد جررت ميكيل أنجيل وجعلته يجلس تقريبًا على فوهة البئر: كان يبكي. خلال لحظة شعرت أن دموع ميكيل أنجيل تمنحك قوة: تلك الدموع كانت تشعرك بالقوة، بالثقة، بأنك شخص عادي.

أطلقته. كنت قد جعدت قميصه، كان يبدو كأنما تشاجر مع أحد أهالي حي «سون باريرا». عدلت عنق القميص، ولمست إحدى أذنيه. كأنها ملاطفة. بل أنك فكرت خلال لحظة في تقبيله. كان ينظر بعينين متسعتين، مندهشتين، كأنه غائب عن الوعي.

– اِذهب يا ميكيل أنجيل.

وانطلق ميكيل أنجيل في الجري، لكن ليس في اتجاه المدرسة، نحو محطة البنزين، وإنما في اتجاه بيوت «سون باريرا»، هناك حيث يبدأ الطريق الذي يتصل بعد ذلك بالطريق السريع. هناك حيث كانت الشاحنات تذهب داخل الإقليم. هناك حيث القمر، عندما يكبر ويكون مُحملًا بالضوء، ينير الطريق الذي يبتعد عنكم. وفكرت أن ميكيل أنجيل يشبه روحًا موقدة تبحث في مكان ما عن العزاء الموعود منذ زمن طويل.

27

بالطبع، بدلًا من السير وراء «بسلَّة» في لعبة الموتوسيكل، استدرت وذهبت راكضًا على قدمي. كنت سأدفعه ليسقط على مؤخرته، هو ورأسه الخرب، كان يريد حملي إلى الطريق الوردي بحكايات تافهة، لكن إن ضربته أو ركلته، كان سيصنع فضيحة أمام الجميع، وكنت قد أعطيته ما يكفي من الفضائح، وعلى الأخص كان يجب أن أذهب. لم أفكر حتى في أن أقول وداعًا لبارتوميو، المدير، الذي كان جالسًا على الدكة الحجرية المجاورة للباب، خافض الرأس، غارقًا في شكوكه، كأنه مفزوع. أخذت أجري ووصلت للمستشفى بأنفاس مقطوعة. بينما كنت أجرى كان الناس الذين أمر عليهم ينظرون لي، لم أكن أشعر بألم ألبرت، لم أكن أتخيله. ولم أتساءل خلال لحظة واحدة إن كان قد سلَّم بموت أبيه، إن كان يعتبره ميتًا، حيث كان ممددًا على الفراش أمامنا، مثلك يا جدتي، حيث ظللت على الفراش حتى نزلوا بك على السلم وتلقيت الضربات في كل مكان وكنت أسمع الخبطات الحادة في التابوت. كنت أجري وأبكي، لأن أبا ألبرت مات. لأن خالته آديلا ستكون موجودة، وستقول له «حسنا يا ألبرت، لقد انتهى الأمل، يمكنك أن تعد حقائبك». كنت أبكي لأنني رأيت «بسلَّة» عندما بدأت أجري في الطريق المسفلت. كان

واقفًا على قدميه، مثل دمية في مسرح عرائس أطلقوا خيوطها، وشعرت بالشفقة على «بسلَّة»، الذي كان يريد إقناعي أنه يمتلك موتوسكيل، ربما لأنه يعتقد أنه يمتلك موتوسيكل، وكان يريد حملي للمستشفى، وكان يريد الدخول كأننا جميعًا مجموعة من الأصدقاء، نشد على أكتاف بعضنا البعض في اللحظات الصعبة، وكل منا يشعر بألم الاخرين. كأن حياتنا تشبه ليلة مكتملة القمر، مثل اليوم. كأننا نعيش في الليل، لأن العتمة في كل مكان، ونحن نبحث عن الضوء بيأس، ولدينا القمر مثل نقطة مرجعية، ينير لنا الأشجار والطرق وكل ما يغيب عن نظرنا عندما نخرج من الحي ومن المدينة ومن الحياة التي تقتصر على ما هو يومي.

وشعرت بالشفقة على «بسلَّة» يا ألبرت، لأنه فتى وحيد، تزداد وحدته باضطراد، أكثر وحدة من جويل، الفتى الميت، في قبره، أكثر وحدة من ميكيل أنجيل الذي يتيه في طرقات لا نعرفها، أكثر وحدة من أبي ألبرت آبات، الذي لم يعد طرف الجهاز في أنفه وداخل فمه.

عندما وصلت المستشفى ودخلت الغرفة كان فراش أبي ألبرت آبات شاغرًا، غير مرتب، والخالة العاهرة آديلا جالسة على الأريكة، بعينين زجاجيتين، حمراوين، الوجه أزرق، الساقان أخضران، كان ألبرت ينظر من النافذة. كنت أعتقد أنني سأجد بوثا وكارلا والآخرين. بدا لي ألبرت كبيرًا، أعني أكبر من عمره، عندما رأيته من الخلف بينما ينظر عبر النافذة، بتلك الوقفة التي تدعو للتفكير أن بقية حياته موجودة خلف النافذة. بدا لي ألبرت

كبيرًا مثلي. وقلت «أشعر بالأسف على ما حدث». ورفعت خالته آديلا رأسها بحدة، بحركة شبه هيستيرية، ونظرت لي بذات الوجه المتقزز الشبيه بوجه أبي ميكيل أنجيل عندما يراني في الشارع. واستدار ألبرت، وابتسم لي شيئًا فشيئًا، لكننا تبادلنا النظرات كما يفعل شخصان يظنان أنهما بمفردهما، وفجأة يدركان أنهما ليسا بمفردهما، عندما تجمع النظرة بينهما، ويتحول الليل إلى نهار. ولهذا نوجد هنا، في هذه اللحظة، مستعدين للانطلاق في الجري، وسنجري حتى نمتلك سيقانا، وتصبح سيقاننا هي جواز سفرنا، وسنكون مضيئين بينما نجري.

28

وفي ذلك اليوم ذاته، عندما كان الليل قد التهم النهار، في مساء ذلك اليوم، أخرج ميكيل أنجيل الساعة من جيبه، الساعة في العلبة السوداء، وأعطاها لسبستيان. بدت دهشة كبيرة على وجه سبستيان، لم يكن ينتظر هذا، لكن ميكيل أنجيل لم يشعر أيضًا أنه أفضل أو أكبر لمجرد أنه أدهشه، لأنه أعطاه هدية، لأن تقديم هدية لسبستيان هو أكثر شيء عادي في العالم. وضع سبستيان الساعة حول معصمه، وفكر ميكيل أنجيل أن سبستيان بينما يرتدي الساعة يمتلك حضورًا أكبر في العالم منه هو شخصيًا عندما يرتدي الساعة، لأن الزمن مرتبط بسبستيان أكثر من ارتباطه به هو ذاته، ميكيل أنجيل. وطلب منه سبستيان أن يرحل، لأن «بسلَّة» قادم، و»بسلَّة» هو الصياد، وتذكر ميكيل أنجيل فيلمًا من عصر جده، حيث كان هناك ممثل اسمه روبرت ميتشوم يقوم بمطاردة طفلين في نهر لا نهاية له.

ميكيل أنجيل لم يكن راغبًا في الشعور بالخوف من «بسلَّة»، وكان يعرف أيضًا أن ظهر «بسلَّة» ليس مقوسًا، وأسنانه ليست معوجة، وأنفه ليست مدببة.

عندما كان ذاهبًا، خلف المبنى تحت الإنشاء، دون أن يكون هناك أي شخص يتجول أو يدخن أو يفعل أي شيء هناك، انتبه

إلى أنه لم يطلب من سبستيان أن يوصل لألبرت آبات قبلة من طرفه، قبلة، نعم، ربما كانت ستعينه قليلًا في مأساة العائلة التي صدمتها سيارة.

عندما رجع، رأى «بسلَّة» من خلف الجدار بينما يقترب من سبستيان مثل الكلاب الخائفة التي تقترب من حيوانات أخرى. توخى ميكيل أنجيل الوقوف خلف الجدار دون إصدار أي ضجيج. أوشك على العودة للبيت وتركهما بمفردهما، لكنه لم يستطع: خوفه من ترك سبستيان مع الصياد وفضوله لمعرفة كيف سيخرج الذئب أمام الصياد تركاه جامدًا، مختبئًا، خلف الجدار. سمع «ماذا تريد يا جاومه؟». كان سبستيان هادئًا، لم يكن يتحرك. كان الصياد متوترًا، كان يحرك كتفيه بهيستريا، كانت رأسه تتحرك بشكل لا أرادي، لم يكن يستطيع البقاء ساكنًا على قدميه.

شهر الذئب إصبعه وقال له يكفي، إنه لن يعود ثانية. انتاب اليأس الصياد: كانت الفريسة تفر منه، ولم يمتلك الشجاعة أو سلاحًا أو رباطة الجأش ليواجهها. شعر ميكيل أنجيل بالفخر بسبستيان، ذلك الفتى الذي كان يشبه حركة في الرقص الكلاسيكي، الذي كان يحمل ساعة في معصمه ويترك الصياد ليذهب مع صديقه الكبير. شعر ميكيل أنجيل بغيرة شديدة من عالم سبستيان، كان يشعر برغبة كبيرة في ألا يكون هو ذاته، وأن يكون مثل الآخرين، وفجأة أخذ يبكي. لم يكن راغبًا في إصدار أي ضجيج، كان الصياد قد تحول إلى ذئب: كان ينتقل من جانب

لآخر، يركل الأحجار، ينزع الأعشاب البرية. وضع ميكيل أنجيل قدمه على حجر وبهذا أصدر صوتًا. رآه الذئب واقترب. تراجع ميكيل أنجيل خطوة للخلف، كان دمه جليديًا. رأى أن الذئب قد تحول مرة أخرى إلى صياد، وفكر أنه سيقضي عليه. كان ميكيل أنجيل جالسا على ردفيه، بركبتيه مثنيتين، كان يعانق نفسه ليتوخي الحماية.

– ميكيل أنجيل؟ ماذا تفعل؟ هل تتبول جالسًا؟

هجم عليه الصياد. على الرغم من هذا، لم يعد ميكيل أنجيل يشعر بالخوف. فكر أن سبستيان قد تخلص من الخوف، وهو أيضًا سيفعل هذا. فكر أن هذا ربما كان اختبارًا لكي يكون هو ذاته: ميكيل أنجيل. في البداية سيتخلص من الصياد، وبعد ذلك من بيب وجان. وبعد ذلك سيبدأ في الحياة، وربما يختفي هذا الشعور بأن اليوم يطفو وسط الليل.

كان الصياد خارجًا عن أطواره. أمسك بعنق قميصه. شعر ميكيل أنجيل بخوف شديد من أن يقطع له القميص، لأنه كان يجب أن يذوق حزام أبيه في هذه الحالة. كان الصياد كتلة من النار بعينين متقدتين. كان الصياد يريد إرهابه، لكنه واجهه. أجلسه الصياد على فوهة البئر. لاحظ ميكيل أنجيل أن هذه الأحجار كانت مخلخلة منذ فترة طويلة. كما شعر بذلك السلك الشائك، الذي لم يعد حادًا تقريبًا، والذي يمكن أن يمزق بنطلونه أيضًا. لكنه لم يكن يشعر بالخوف مما يوجد خلف ظهره. كانت

عينا الآخر أمام عينيه.

- أنت لا تعرف من أكون يا «بسلَّة».

ميكيل أنجيل أمامه، بينما يمسك الآخر بعنق قميصه، لم يكن ذات ميكيل أنجيل الذي لاحقه منذ بضعة شهور، وعرض عليه مؤخرته في ذلك المكان ذاته. لم يكن ميكيل أنجيل الذي كان يجلس في أحد أركان الفصل وينظر للزملاء. لم يكن ميكيل أنجيل الذي كان يقضي الفسحة بجوار صنابير المياه.

- أنا أعرف يا ميكيل أنجيل. أنت أقذر شيء، أقذر شيء أمسك به سبستيان من أحد الأركان ونظر له بشفقة لأنه ولد طيب.

وشعر ميكيل أنجيل بالشفقة على جاومه «بسلَّة»، لأنه كان يقف أمامه وكان «بسلَّة» يستخدمه كمرآة، وكان يقول للآخر كل ما يجب أن يقول لنفسه. وخلال برهة شعر ميكيل أنجيل برغبة في عناقه، مواساته، لأن أي منهما لن يمضى أي مساء مع سبستيان وألبرت آبات، لكنه شعر بالشبكة الحديدية التي تتراجع للخلف، وكيف أن الحجر الذي يجلس عليه يتحرك من مكانه، وعندما مرت دفقة هواء على ظهره انتصب شعر جسده بالكامل، وشعر بالخوف، وانتبه مرة أخرى إلى أن إحدى وجنتيه تلامس الأرض والأخرى تحت قدم فتى يعتقد أنه أفضل منه، وبدأ يكره «بسلَّة»، لأنه كان مقدودًا من ذات قذارته وكان يحاصره على فوهة البئر الذي يخدش ملابسه.

- أنت مثلي يا «بسلَّة». أنت «بسلَّة». أنت أيضًا تؤذي الناس.

أنت كل ما لا تظن بنفسك. أنت تؤذي سبستيان. لقد قال لك إنه لا يريد أي شيء معك. وقال لي، في مرات كثيرة، إنك لا شيء بالنسبة له. أنت عفن يا «بسلَّة»، أنت...

ولم يمهله الوقت سوى ليقول «لا يا جاومه». انهارت الفوهة. أطلق الصياد قميص الذئب، وأغلق ميكيل أنجيل عينيه، ولم يلحظ حتى أنه كان يدمي أثناء السقوط، وأن ردفيه يتهشمان لدى ارتطامه بقاع البئر، وأن عموده الفقري ينكسر إلى جزئين، وأن عنقه الذي كان يميل للخلف، كان يستريح غارقًا بين الأحجار في العتمة.

29

أشعلت الخالة آديلا النور وقالت إن الجلوس في العتمة يثير أعصابها. كنا في الغرفة منذ ساعتين، كنا جالسين في شكل مثلث: أنا وألبرت على مقعدين وخالته آديلا على الأريكة، وكان الفراشان خاويين. كان ألبرت يمسك بيدي، ولم يكن يشعر بالخجل أمام خالته. لاحظت طوال كل الأيام أن حضور خالته يوتره، كان يملئه بالخجل، كان يشق عليه إبداء عواطفه. «الآن تغير كل شيء»، كان ألبرت يكرر هذه الكلمات كأنه يقولها لنفسه، بصوت خفيض كأنما لكي يفهم نفسه، كأنه يضع خارطة طريق مرتجلة. «يجب أن نفعل أي شيء يا ألبرت»، قالت خالته. دخلت ممرضة منذ عشر دقائق لكي تقول لنا، بشيء من الخجل فيما أعتقد، إننا يجب أن نبدأ في إخلاء الغرفة لأن مريضًا يجب أن يدخل. وكان وجه ألبرت مصمتًا، مات أبوه قبل قليل ويجب عليهم أن يضعوا مريضًا آخر في الغرفة. أعتقد أن خالته كانت تنظر له دون اكتراث، ولم تكن تتخذ موقف وهيئة القريبة التي لم أفهمها طوال الأيام السابقة، وكنت أتساءل كيف يمكن أن يواجهوا ألبرت آبات بهذه التعبيرات؟ حتى وإن كان لديه أبان وثلاث أمهات يعيشون حوله، كيف يمكن أن يواجهوه بهذا الوجه. وكأن عينا ألبرت تتوسلان «سهر على ميت آخر، لا من فضلكم.

جنازة أخرى، لا من فضلكم». وكانت عينا ألبرت آبات تتيهان في نظرة غير موجهة لأي مكان.

بعد ذلك خرجنا من المستشفى، ورافقتنا خالته آديلا إلى بيت ألبرت آبات بالسيارة. كانت جراثيا، وهي المرأة التي تذهب للتنظيف، موجودة، وعانقت ألبرت طويلًا بقوة ، جلست خالته آديلا في ركن، وكانت جراثيا طيبة معي للغاية لأنها داعبت وجنتي وكنت لأعانقها، لكنها أخذت تبكي وابتعدت، وقبل أن تخرج، ألقت نظرة بانورامية على الصالون وعلى باب الصالة، كأن لديها فكرة بأنها لن تدخل مجددًا. كانت خالته آديلا في أحد أركان الصالة، وأنا وألبرت أمام الباب ونغلقه، وتوقفنا أمام مرآة المدخل، وتذكرت يوم الحفل، عندما كان ألبرت قد أصبح بلا أبوين لكنه لم يكن يعرف، وكان يحلق في هذا المكان بسبب قرص أعطاه «الشيخ» إياه»، ونظر لنفسه في المرآة، كان ينظر كيف يقبلني ويتكلم عن فتى آخر لا وجود له في الحقيقة، وأنا لم أعد الرجل الذئب، وإنما شيء آخر، شخص قادر على التغلب على السم، شخص قادر على أن يكون أكثر بريقًا من البريق، وأكثر حيوية من أي شيء، وأكثر صداقة من كل الناس. وكنت قد عانقته طويلا، ولم يبك أكثر من هذا، ومر وقت طويل ونادته خالته آديلا. كان الظلام قد حل عندما نادته. كنت قد خرجت للشرفة ونظرت للقمر الذي ما زال واطئًا. وكنت هناك: يا صديقي الحنون الشرير، يا مرشدي وقبلتي وشوقي، أيها القمر.

– يا ألبرت، يجب أن تبدأ في التفكير أنك يجب أن تعد حقائبك

خلال بضعة أيام وتأتي لتعيش معنا. لقد ضاع عليك هذا الفصل الدراسي، لكن لا تحزن. سأساعدك. سنذهب هذا الصيف إلى «سایاجوسا» لنمضي شهرين. سيكون مفيدًا لك أن تبتعد عن كل هذا قليلًا. سيأتي ابن خالتك مارسيل خلال أسبوعين أو ثلاثة. يمكنك ركوب الدراجة، السباحة في النهر، الصيد. يمكنك البدء في مدرسة أخرى في سبتمبر، توجد مدرسة بجوار البيت، ستكون بخير هناك. ذات يوم ستبلغ الثامنة عشر وستفعل ما تريد.

- وسبستيان؟

- سترى سبستيان عندما تريد. ويمكنه أن يأتي لقضاء عطلة نهاية أسبوع في «سایاجوسا»، إن أراد.

ونظرت لي خالته آديلا بشيء من المودة، لكن كان هناك حاجز بيننا أيضًا، كأن وجهها يقول «لا تعتقد أنني سأتركك تجلس داخل البيت طوال اليوم يا فتى».

- لا. لن أذهب معك.

- ألبرت. لا يجب أن نتحدث الآن.

- لا. لن أذهب. هيا بنا يا سبستيان!

وأمسك بيدي وجذبني وخرجنا من الباب وأخذنا نجري على السلم، بينما تقول خالته من مكانها على البسطة «ألبرت، ألبرت!». وأخذنا نجري كالممسوسين في شارع ألبرت آبات وفي ميدان «باريس» وعبر الطريق إلى المدرسة. وكان المارة

ينظرون لنا وربما كانوا يتساءلون عما نفعل بينما نجري بهذه الطريقة، وكانت السماء مظلمة تمامًا، والقمر أصغر باضطراد وأكثر صفرة. وتركنا المدرسة خلفنا. كنا أنا وألبرت فقط، ولم ألحظ وجود «بسلَّة» في الطريق الوردي، ولم يكن لدي عينان في قفاي مثل جدتي، وجرينا حتى المبنى تحت الإنشاء، وعندما وصلنا توقفنا لبرهة لنستريح، وبالقرب من البئر، شبه المتهدم، كريه الرائحة ليلًا ونهارًا، وقلت لألبرت:

– هل ترى هذا؟ – كنت قد خلعت الساعة، وقلت لألبرت آبات إننا لم نعد نمتلك الوقت، وإن كان الوقت في جانب، لنجرى في الجهة الأخرى، وأمسكت بالساعة وألقيت بها في البئر. لم نكن قادرين على رؤية أي شيء. يُقال أن البئر عميق ولا يوجد ماء على الإطلاق في أعماقه. في البداية صدر صوت كأنها ترتطم بظهر حيوان ميت، كأنما مات كلب وألقى به شخص ما في البئر لكي يتخلص منه، وبعد ذلك ارتطمت بالأرض. ضحك ألبرت. أنا أيضا ضحكت. ضحكنا، لعبنا وتعاركنا، كنا سعيدين، كانت الليلة ليلتنا. ونظرنا للبئر للمرة الأخيرة. وبعد ذلك نظرنا للأمام. كان القمر فوق سلسلة الجبال، وأخذنا طريقًا لم نره من قبل خلف الطريق الوردي، طريق يتجاوز الطريق الذي يؤدي إلى بيوت حي «سون باريرا»، طريق غير موجود فعليًا، طريق يحمل إلى طريق آخر، حيث نوجد الآن، بينما نجري ونسير ونتكلم عن أشياء كثيرة. أحيانا نتكلم عن جويل وميكيل أنجيل، وكنا واثقين أنهما معا في مكان واحد، وأنهما جالسان متواجهين، كما كان ميكيل

أنجيل يريد أن يجلس معنا، وأنهما يضحكان وينيران ولا يخافان الليل، بينما نحن نواصل السير عبر المدن والأحراش والسنوات والأشياء، وبسبب السير، حتى عندما كنا نمر لصق هاوية، لم نكن نسمع العواء اليائس لـ «بسلّة»، الذي ما زال يبكي ويتعذب لأنني لم أعد موجودًا معه.